رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الدكتور محمد فريز منفيخي
مدرس الأحصاء والاقتصاد القياسي
في كلية الاقتصاد والتجارة
جامعة دمشق

النظام الاقتصادي القرآني

تحليل التخلف ونظام التقدم

١٣٩٨ - ١٣٩٩ هـ

١٩٧٨ - ١٩٧٩ م

دار قتيبة
دمشق - بيروت

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

النظام الاقتصادي القرآني

تحليل التخلف ونظام التقدم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الدكتور محمد فريز منفيخي
مدرّس الأحصاء والأقتصاد القياسي
في كلية الأقتصاد والتجارة
جامعة دمشق

النظام الاقتصادي القرآني

تحليل التخلف ونظام التقدم

١٣٩٨ - ١٣٩٩ هـ

١٩٧٨ - ١٩٧٩ م

دار قتيبة
دمشق - بيروت

جَمِيعُ الحُقُوقِ محفُوظَة لِلنَّاشِرْ

الطبعة الأولى

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

دار قتيبة

دمشق - شارع مسلم البارودي - ص.ب ١٣/٤١٤٠

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا المؤلف حصيلة بحث علمي منهجي بحت اردت فيه أن أقدم الخبرة العلمية مدعومة بالايمان بالقرآن الكريم ليكونا معاً نموذجاً حياً لفهم عصري تقدمي للقرآن وآياته وأحكامه كمحاولة لربط الدين بالواقع السائد في مجتمعاتنا الإسلامية وتقديم حلول عملية ناجحة وفعالة لمشاكلنا الاجتماعية بشكل عام والاقتصادية منها بشكل خاص ، ولم يخطر بذهني لحظة واحدة ولم أرد لعملي هذا أن يكون أداة بيد أي جماعة سياسية أو حزبية ولا محاولة لاستغلال الدين والبحث العلمي كاداة لاغواء الناس خدمة لمآرب طالب زعامة أو سياسة ، كما فعلت ذلك أغلب الجماعات السياسية التي تستخدم الشعارات الإسلامية ، كاطار لجلب الجماهير المؤمنة سلفاً بالعقيدة لتكون فيها قنطرة تصعد فوق رؤوسها لتحاول الوصول بذلك إلى منافع أو زعامات ، ولكن الجماهير المؤمنة كانت دوماً واعية لهذا الدجل السياسي المتستر خلف الشعارات الاسلامية المقبولة من الناس سلفاً فكانت تخذل دوماً جميع هؤلاء الوصوليين وتعريهم وتفضح دعاويهم في تمثيل ايمان الناس وتكشف زيف ادعاءاتهم وعدم اخلاصهم حتى للعقيدة التي يدعون تمثيلها وقد تجلى ذلك في عدد

من المجتمعات العربية والاسلامية التي نكبت بأمثال هؤلاء الوصوليين ، حيث أنهم كشفوا أنفسهم بأنفسهم لان بعضهم قد وصل بهذا الادعاء إلى مقاعد تمثيل الناس في المجالس النيابية أو في المجالس التنفيذية السياسية في بلادهم فلم يعملوا شيئاً لا لمجتمعهُم ولا للاسلام ونسوا شعاراتهم ونسوا ايمان الجماهير وتطلعاتهم ، وكشفوا انفسهم أيضاً عند وقوفهم من الأحداث والأشخاص والجماعات الأخرى المنافسة مواقف تناقض تعاليم الاسلام مدفوعين إلى ذلك بالألاعيب السياسية والمناورات الحزبية ضاربين عرض الحائط بالأخلاق والشرع والدين ، كما كشفوا انفسهم على المستوى الشخصي بعدم تمسك ، من يفترض أنه قادة وزعماء اسلاميين ، بأهداب الدين وتعاليمه التي كلها سماحة وإخاء ورحمة وتعاون وايثار وحسن ظن بالناس وطلب الهداية والرحمة لهم كما كان النبي ﷺ رحمة للعالمين للعرب ولغير العرب لمن آمن بدعوته أو بدعوة أي من اخوانه الأنبياء قبله ، وقد ارسل النبي عليه السلام للكفار وللطغاة ولصغار العقول وللظالمين وللمستثمرين لهدايتهم للخير ورحمة بهم وبذريتهم ، وكلما اشتط هؤلاء الكفار المعاندون في عداوته كلما توسع في رحمته لهم وطلب الهداية والمغفرة لهم ، فعندما ذهب للطائف هادياً معلماً منوراً وطالباً للعون والنصر والحماية والتأييد ردوه اقبح الرد وأغروا به صبيانهم وغلمانهم وطردوه وضربوه فلم يستعدِ عليهم السماء بل كان موقفه [اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون] وكذلك عند آخر محاولة حاول فيها كفار الجزيرة العربية بالتعاون والحث مع اليهود الحاقدين على العرب والعروبة (لأن خاتم الأنبياء كان عربياً من نسل اسماعيل بن ابراهيم الخليل أبو الأنبياء ، وكانوا يودون لو أن هذا النبي الذي بشرت به الأنبياء والكتب السماوية من نسل بني اسرائيل) فحزبوا الأحزاب وقادوا حملة كبيرة تتمثل فيها كل قبائل العرب واليهود لاستئصال الدين الاسلامي ونبيه

الكريم واهله في المدينة المنورة بمعركة فاصلة نهائية ، عندها لم يرد رسول الله الرحمة المهداة للبشرية جمعاء أن تكون معركة يقتل فيها كثير من العرب بل حفر خندقاً يفصل بينهم وبين ما يريدون ، لأنه يعلم بعلم الله أن هؤلاء أعداء اليوم سيؤولون جميعاً إلى الايمان بالنور والحكمة والحقيقة إلى الايمان بالإسلام ويتحولون إلى جنده وحراسه والداعين له بحكمة وموعظة حسنة ، ذلك على المبدأ النبوي [عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يؤمن بالله ورسوله]، كان النبي ﷺ يحث دائماً على طلب العلم [اطلبوا العلم ولو في الصين] فما هو العلم الذي يطلب في ذلك الوقت في الصين أهو الفقه أو تفسير القرآن أو علم الحديث أو علوم اللغة العربية بل أراد أي علم نافع للأمة ولو أُخذ من أبعد أمم الأرض مكاناً وديناً وعقيدةً وقومية ، وكان يقرر عليه السلام [ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل] [ولا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إن أفضلكم عند الله أتقاكم].

اللهم واجعل هذا العمل خالصاً مخلصاً لوجهك الكريم .

د. محمد فريز منفيخي

دمشق في ٢٠ / ربيع الأول ١٣٩٩
السابع عشر من شباط ١٩٧٩

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

موجبات التقدم والسعادة

١ ـ أهمية اكتشاف الطرق العلمية :

إن أول ما يبدأ به المسلم المؤمن بربه وبدينه على المستوى الشخصي ، يبدأ بتركيز جهده وإمكاناته وطاقاته نحو آيات الله في قرآنه الحكيم تلاوة وحفظا ، فإن توسع أكثر يحاول دراسة تفسير القرآن ودراسة سيرة الرسول الكريم ﷺ وسيرة الصحابة الكرام ثم يدرس أحكام الفقه للعبادات ومن ثم المعاملات مغرقاً نفسه بالاعجاب المحق باعجاز آيات الله وسمو دينه وجمال أوامره وتوجيهاته وحكمة نواهيه .

ونجد في نفس الوقت أن أغلب الأمم التي نعرفها في العصر الحالي بأنها أمم اسلامية سواء منها الأمة العربية والتي كرمها الله بأن لغة كتابه الكريم لغتها وخاتم انبيائه منها وأنهم حملة رسالته ومبلغيها ودعاتها الأوائل المجاهدون بحقها أو الأمم غير العربية ، نجدها رغم دراستها للاسلام لا تتصف بصفات المجتمع الاسلامي ولا تظهر فيها نتائج الايمان التي يعلن الاسلام أنها العزة والكرامة والسيادة والنجاح والفلاح في كل الميادين وعلى جميع الأصعدة ، لقد أصبحت معاملات الأكثر ممن يتسمون بالمسلمين غير اسلامية وعلاقاتهم الاجتماعية والعائلية غير اسلامية سهراتهم وسمرهم غير شرعي إنفاقهم وتجاراتهم وأعمالهم لا تنطبق عليها

الأسس الاسلامية مع أن كثيراً منهم يدعون الاسلام ويذهبون إلى المساجد ويحضرون الجمع وبعض الصلوات الجماعية ويعيدون الأعياد الاسلامية ويؤمنون بالله ورسوله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى . فأين مكمن الداء لهذه الحالة الدهماء العصية ولماذا وصلت الشعوب التي حملت يوما أعظم حضارة وأنجبت حضارة القرن العشرين ، إلى ما وصلت إليه بابتعادها عن المعايشة اليومية واللحظية لشرع الله وبتفككها وتخلفها حتى أنها حملت راية اطلق عليها « الدول المتخلفة »، مع أن القرآن العظيم الذي فجر طاقات العرب والمسلمين هو هو لم يتغير وأننا لا نزال نحفظ سنة النبي ﷺ وتراث وفكر واجتهاد اجيال متجددة من العلماء الأفذاذ . فلم ضاع الاسلام بين أهله وعشيرته ؟.

ومن مظاهر هذا الانفصام بين الشريعة السمحاء المولدة للعز والنجاح وبين التطبيق العملي اليومي للمسلمين المظاهر التالية :

ـ لماذا رجعت عادة الثأر ولو من أقارب القاتل الأبرياء بما يخالف شرع الله بأنه ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾

ـ لماذا عاد الناس يكرهون المولودة الأنثى ويفضلون الذكر وقد استنكر الله عز وجل ذلك ، علماً بأن قانون الله في خلقه يقضي بأنه لكل مجتمع من المجتمعات تكون نسبة المواليد الذكور إلى الإناث تتراوح بين ١٠٣ ـ ١٠٥ مولود ذكر يقابلهم مائة مولودة أنثى هذه الزيادة في نسبة الذكور لأن نسبة الوفيات بين المواليد الذكور أعلى منها بين الاناث ولأنهم اكثر تعرضاً للموت في جميع مراحل الأعمار بحيث يبقى التوازن محفوظاً حتى يجد كل عريس عروساً ولا يبقى في المجتمع عازب ولا عانس .

ـ لماذا صارت المعاملة نوعين الأولى للقريب والصاحب والصديق ومن يلوذ بهم وأخرى مناقضة للغريب والبعيد ، والذي هو بنفس الوقت اخ

في الدين أو أخ في الوطن أو حتى أخ في الانسانية ، ومن مظاهر ذلك أن يرفض سائق حافلة عامة انزال كهل أو مواطن لا يعرفه في غير الموقف الرسمي ويقف بسهولة وبرحابة صدر لصديق أو لمن يعرف ، وكذلك أن يعقد الموظف ويسيء معاملة المواطن الذي لا يعرفه أو لا يسهل له معاملته بينما يقدم القهوة وخدمة قضاء العمل لقريب أو صاحب أو لموصى به ، لماذا أصبح الناس يحترمون المليء منهم أي ذوي الجاه والغنى والمكانة الرفيعة دون بقية خلق الله ولو كانوا فضلاء انقياء اتقياء ، لماذا أصبح رب الأسرة ظالماً لأسرته أو جاهلاً لحقها عليه وجاهلاً بحقه على أسرته ، فحق أسرته عليه بأن لا يظلم زوجه وأولاده ويحترم دور زوجه كأم ومدبرة ومربية وراعية وحانية وحق ولده في التربية الفاضلة النقية على اساس من الدين والايمان والتقوى ، وحقه على اسرته في احترامهم له ومواساته وحمل العبء معه ونصرته ومساعدته وأن يرى منهم كل خير وتقوى وصلاح .

لماذا أصبحت الأثرة نعمة والبخل فضيلة والشح مبدأ ، ولماذا سادت النميمة ولم عم الخداع والكذب ولم قلت الأمانة ولم عم الاخلال بالوعد ولم ساد الحلف الكاذب أو الحلف بالطلاق وهو ليس بيمين ، لم لا يأمن بعضنا بعضا لم المحاكم ملأى بالقضايا لم لا تنتهي الخصومات والشحناء لم يقتتل الأبرياء ويطغى بعضنا على بعض ويأكل القوي الضعيف لماذا تتصف أغلب الشعوب المسماة بالشعوب الاسلامية بالفقر المادي والعلمي وقلة النظافة مع أن الدين يأمرهم بالوضوء لكل صلاة بعد كل احداث، لم يقف المسلمون موقف العجز وتسلخ من بلادهم اجزاء كبيرة يعسف بأهلها وتنهب خيراتها ولا يستطيعون الدفاع عنها والأمثلة كثيرة كثيرة . . .

وبعد هل نيأس ؟ ابداً فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون

إذن كيف نعيد المواءمة بين السلوك اليومي العملي لأفراد المسلمين وبين المبادىء الاسلامية السليمة والتي يمكن تطبيقها والتي اذا طبقت بنجاح تنتج عزا وكرامة وحضارة وسيادة ، أي كيف نستطيع أن نرى الاسلام مطبقاً ومتمثلاً باناس يمشون على الأرض وأن نجعل سلوك المسلمين نابعاً من دينهم ومنطلقاً من مفاهيمه ومقيداً بقيوده؛أي كيف نردم هذه الهوة التي حدثت بين المبدأ والتطبيق بحيث لا يجتمع فقر ولا ذل ولا تشرد ولا ضعف مع الاسلام الحقيقي .

٢ ـ كيف نحقق النجاح

حتى ينجح المسلم في كل عمل يقوم به وفي كل شأن من شؤونه وحتى يستفيد من عمره المتاح له على ظهر الأرض في تأمين حياته وعزته وحياة اسرته وشرفها وشرف امته؛وحتى يضمن مستقبله الحقيقي في حياته الأخرى بأن يكون رصيداً مجزياً من الأعمال الصالحة والعبادة الحقة والصلة المستمرة بالله عز وجل على المسلم أن يتقن اسلوب ادارة حياته حتى يحقق النجاح في دنياه وفي الحياة الآخرة ، فكيف السبيل إلى ذلك هل نجده في العلم ونحن نرى بعض كبار الاخصائيين والدارسين والعلماء والمثقفين إما يخلطون الحقائق، أو يغالطون في عرض الحقائق أو يسيئون أو لا يتخذون قرارات سليمة فكيف تجتمع ثقافة وعلم مع فشل وخسران ، كأن نجد طبيباً يعرف مضار شرب الخمور أو تدخين التبغ ثم يشرب الخمر ويدخن التبغ ومن هذا نجد أن العلم والثقافة ليست بالأسباب المباشرة للنجاح والفلاح والسعادة بل إن هناك وسائل اضافية أخرى فما هي هذه الوسائل ؟

حتى نجيب على هذا التساؤل سنحلل أولاً آلية التنقل عند

الانسان ، فنجد أن العقل الذي وهبنا الله اياه عبارة عن آلة وأداة للتفكير والمناقشة والتخيل والفهم والذاكرة بحيث يتمكن من القيام بالمهام التالية :

١ ـ ادارة أمور الجسد من حيث حفظ عمله ونظامه وراحته وغذائه ونموه .

٢ ـ حماية هذا الجسد من البيئة من الحر والبرد والأعداء والأمراض .

٣ ـ البحث والوصول إلى الحقائق في جميع المجالات .

فبينما تقوم عقول الانسان والحيوانات والخلائق أجمع بالمهمتين الأولى والثانية ينفرد الانسان بتمكن عقله من القيام بالمهمة الثالثة أو هي البحث والوصول إلى الحقائق في جميع المجالات ، هذه المهمة يمكن تقسيمها إلى مراحل ثلاث ايضاً تأمينا لادارة أمور المسلم بنجاح دائم وهي :

أ ـ **البحث عن الحقيقة** : أي تحصيل أكبر ما يمكن إن لم يكن كل ما سبق من علم ومعرفة بأقصر وقت ولآخر العمر وبتفان واخلاص .

ب ـ **الوصول إلى الحقيقة** : يحاول العقل بعد استيعاب جميع ما سبق من معلومات وحقائق أن يواجه الحالات الطارئة عليه فإن وجد معه علم بحالة مشابهة تصرف حيالها كما استعد لذلك ودرس ، إلا أنه يقف بالوسائل العادية للمناقشة والفهم والدراسة عاجزاً عن أن يخطو خطوة جديدة ليكتشف جديداً غير معروف ، فكيف يتم اكتشاف المكتشفات اذن ، إن ذلك لا يتم إلا بالهام من الله الذي هو مصدر العلم والمعرفة يضعه في قلب وعقل المستعد لهذا الالهام وهذا ما يخبرنا به كل عالم ومكتشف

ومخترع عندما يقف به علمه عند نقطة لا يستطيع لها تجاوزا ولا اضافة فيبقى ليله ونهاره في صحوه وغفلته يتفكر بهذه النقطة المستعصية عليه بعد أن علم كل النقاط السابقة عليها فعندما يرى الله اللطيف من عبده هذا الاستعداد وهذا الطلب والالحاح على تحصيل العلم يلهمه اياه بطرق مختلفة برؤ يا أو بلفتة أو تنبيه ما كما حدث مع أحد علماء الكيمياء عندما توقف عند اكتشاف التركيب الكيميائي لاحد المواد فلما عجز عقله عن معرفتها بوسائله المتاحة واصبحت هذه النقاط شغله الشاغل رأى رؤ ياًبأن لسان اللهب يخرج من الموقد ويعود ليلتف على نفسه ليتصل بمبدئه فعرف أن الصيغة التي يبحث عنها هي على شكل دائري يسعى آخرها للارتباط بأولها ، وكما الهم الله (نيوتن) مكتشف الجاذبية عن طريق ملاحظة سقوط تفاحة من على شجرة يجلس تحتها ، وكما ألهم الله (ارخميدس) مبدأ طفو الأجسام في الماء من ملاحظة طفو الصابونه في حمامه فخرج صائحاً وجدتها وجدتها ، والأمثلة كثيرة وقدْ تحدث مع كل شخص منا .

جـ ـ الاستفادة من الحقيقة : أي الافادة الكاملة من المعارف السابقة والمكتشفات الجديدة في النجاح في تحقيق كل السعادات للانسان الدنيوية والأخروية وهي ما عبر الفقهاء عنه بأنه الحكمة وهي رأس العلم وعرفها ابن تيمية بأنها :

(معرفة الحقائق على ما هي عليه في الواقع ثم العمل بمقتضاها مع الاصابة في القول والعمل)

ولكن هل يكفي ما ذكرنا أي هل أن بحث الانسان عن الحقيقة والوصول إليها والاستفادة منها يحقق له النجاح والسعادة نقول إن ما ذكرنا ضروري وهام وأساسي ولكنه يمثل نصف الطريق ، كيف ذلك ما دام الانسان قد درس ودبر وخطط وبحث وعلم نقول إنه بعد الدراسة والبحث

والتخطيط يبقى للنجاح مرحلة أهم وهي مرحلة « التنفيذ العملي » وهذه المرحلة مستقبلية وغير محكومة أي أنه قد يطرأ اثناء مرحلة التنفيذ هذه عوامل كثيرة إما تساعد في تحقيق الهدف أو تعاكس هذا التحقيق على الرغم من اتقان الوسائل فكيف يضمن المسلم أن تواكب تنفيذ خططه العوامل المساعدة أو ما يسميه العوام بالحظ السعيد ، إن الذي يضمن سلامة التنفيذ وحسنه والتوفيق به هو الاتكال على الله عز وجل بعد الايمان بوحدانيته وربوبيته والطلب منه المعونه والنصر والرعاية وتسديد الخطى والحفظ والسلامة مع الاعتقاد بأن ما درسه وخططه وعلمه ما هو إلا وسيلة فقط لجلب التوفيق الالهي الذي هو المعول الأوحد عليه في النجاح في المقاصد لما فيه خير الانسان نفسه واهله وقومه وسلامة تطبيق دينه والدعوة إلى ربه ولخير الانسانية اجمع لانهم جميعا خلق الله عز وجل .

وكنتيجة لذلك نستطيع الآن أن نفسر كيف تجتمع ثقافة وعلم مع فشل وخسران ، وهذا التفسير هو أن العلم بحقائق الأمور هو جزء من المعرفة وهو ما عبرنا عنه بالمرحلة الأولى والثانية أي البحث عن الحقيقة واكتشاف الحقيقة وتبقى المرحلة الأخيرة الهامة وهي مرحلة الاستفادة العملية من الحقائق وهذا يتطلب أمرين :

أولاهما : أن يكون لدى العالم ارادة السمو الروحي والأخلاقي بحسب قواعد الشرع الالهي ، لأن هذه الارادة (هذا القرار الداخلي النفسي هو المعول الأول والأخير في تحقيق الكمالات وتحقيق مراد الله من سعادة الانسان في دنياه وآخرته وحتى يستطيع نقل القواعد العلمية والحقائق من معارف نظرية وشروحات فلسفية إلى واقع حي ملموس ، لذلك كان سلفنا الصالح يعمد بعد تحصيل جماع علوم عصره إلى تركيز إرادته حتى يستطيع تحقيق المرحلة الثالثة وهي مرحلة الاستفادة من

الحقيقة أو نقل العلم من السطور إلى الأعمال والأخلاق والسلوك على يد استاذ متخصص في هذا الفرع التطبيقي وهو استاذ تزكية النفس أو كما كان يسمى (العارف بالله وشريعته) لأنه المرحلة التالية للمعرفة بالعقل بعد توقف العقل عند حدود لا يتجاوزها تأتي هذه المرحلة التالية لتكوين معارف جديدة مستمدة من مصدر لمعرفة الله عز وجل .

الأمر الثاني : لتحقيق الاستفادة العملية من الحقائق كما ذكرنا التوكل على الله عز وجل لتهيئة العوامل المساعدة والظروف الموائية للكمال الروحي والأخلاقي للمسلم لتحقيق سعادته في دنياه وأخراه .

٣ ـ هل تتعارض الحرية مع العقيدة :

هل الانسان حر في أن يقول ما يعنْ له على بال وعلى مسمع من أي شخص ؛هل هو حر في أن يفعل في نفسه ماشاء ؛هل هو حر في أن يفعل بماله ما يشاء فينفقه فيما يشتهي ويرغب أو يحبسه عمن يشاء ويريد ، هل الانسان حر في أن يعتقد ما يشاء سواء انسجم في هذه العقيدة مع أهله أو قومه لو لم ينسجم . هذه الأسئلة الأزلية التي حيرت المفكرين والفلاسفة فألفوا فيها المؤلفات وأحدثوا لها النظريات من وجهة النظر الفلسفية البحتة والتي لم يصل ، أي منهم بعد لنتيجة محددة كما هي عادة الفلاسفة . وكما أننا نجد أن الحرية قد اسيء فهمها وأسيء استخدام لفظها لدرجة توصف بها منتهى العبودية والاذلال للجماعات والفئات والأفراد ، ويوصف بها منتهى الشح والبخل والاثرة ، هذا في الاطار الفكري العام أما في الاطار الفكري الاسلامي فيمكن أن تتردد نفس الأسئلة الواردة أعلاه وترد اسئلة اخرى مثل : هل يحد الاعتقاد بالشرع من حرية الانسان المسلم في قواله وتصرفاته بنفسه وبماله وبفكره ، هل الايمان الكامل بالله يتناقض مع

حرية الانسان المسلم هل تحد اوامر الشريعة ونواهيها من حرية الانسان المسلم هل يستطيع الانسان المسلم أن يكون حرا في التصرف خارج حدود الشريعة؟ للاجابة على هذه الأسئلة ولتحديد المعاني الدقيقة لتعبيرات الحرية والعبودية سنبدأ باستعراض المشكلة من أولها :

أ ـ حرية الانسان الفرد : خلق الله الانسان حرا في أن يعتقد ما يشاء وحرا في ان يتصرف بنفسه وبماله وبفكره ما يشاء وهذه الحرية يفترض أنها ممنوحة لكل انسان فرد وبكمية متساوية مع غيره من الأفراد ، إلا أن هذه الحرية وبهذا الشكل المطلق اصبحت مشكلة الانسان الاساسية وذلك لأنه كما خلق الله الانسان حرا خلقه أيضاً يحب الاستقرار النفسي والهدوء الفكري لضبط حياته ومسيرته في دنياه فبدون عقيدة محددة تنفلت الأشياء ويفقد الانسان راحته وهدوءه واتزانه ويقع فريسة الحيرة والبحث عن حقائق الأشياء ، لهذا وجدنا أن الانسان عندما ضل هداه عن معرفة خالقه الواحد الأحد وتحكم فيه هواه وشهواته ومصالحه حاول أن يخترع لنفسه وبنفسه الهه وذلك لسد الحاجة الكامنة في فطرة الانسان لمعرفة ربه والصلة به .

وخلق الله أيضاً الانسان اجتماعيا أي أنه لم يخلق فرداً واحداً وإنما خلق أيضاً له زوجاً ومكن له أن يصبح له بنون وحفدة يكونون مع بعضهم بعضا أسرة متضامنة هي الخلية الأولى للاجتماع الانساني الكبير، هذا الاجتماع يحتاج لتنظيم علاقاته حتى لا يبغى فرد على فرد باسم الحرية ولا تظلم فئة اخرى بادعاء الحرية وهذا التنظيم لترشيد النزعات المتشابكة والمصالح المتضاربة والتناقض على التملك وحتى لا يعيش الانسان في صراع طويل وخطير ومورق .

ب ـ حرية الجماعة الانسانية : ولكن هل يستطيع كل فرد في الجماعة الانسانية أن يتمتع بحريته كاملة دون الاساءة إلى اخوانه أو أقاربه

أو بقية أفراد المجتمع، وحتى لا يستطيع انسان ما أن يتصرف كما يحلو له متجاوزاً حقوق الآخرين وحرياتهم أيضاً . لذلك اصبحت الحرية المطلقة مشكلة كبرى للانسان فما هي القيود التي تتطلبها حياة الانسان حتى يعيش في اتزان داخلي مع نفسه وفي اتزان خارجي مع مجتمعه واقرانه :

١ ـ القيد الأول الذي يتيح حرية اسعد للانسان هو قيد فكري :

وهو قيد داخلي أي أنه على الانسان أن يقيد حريته الفكرية المطلقة ويجعلها ضمن اطار عقيدة عقلانية ربانية محددة لأنه بدون عقيدة محددة يعيش الانسان في اضطراب وحيرة ويفقد راحته واتزانه النفسي ويقع فريسة الحيرة والبحث المستمر عن شيء غير محدد ، ولكن هل كل عقيدة محددة مقيدة لحرية الانسان تعطيه الراحة والهدوء النفسي؛وهل ايما شخص أو مجموعة تواضعت على قيود محددة اسمتها عقيدة تنتج سعادة الانسان؟ كلا والف كلا لأن هناك خصائص يجب أن تتوافر في هذه العقيدة المحددة المنشودة حتى تنتج سعادة الانسان وراحته النفسية وانسجامه الداخلي وهذه الخصائص هي :

أ ـ ان تنظم هذه العقيدة حرية الانسان لأن هذه الحرية هي الهدف الأصلي الذي تطلب وجود العقيدة .

ب ـ أن تنسجم العقيدة مع بناء الانسان الروحي والنفسي والعقلي .

جـ ـ أن تنتج هذه العقيدة السعادة لكل إنسان .

د ـ أن تعبر هذه العقيدة عن الحقيقة المطلقة الأزلية .

ولا اعتقد أن أحداً يستطيع أن يحدث هذا القيد الفكري مع شروطه أي أن أحدا لا يستطيع أن يضع عقيدة تحقق شروط تنظيم حرية الانسان وتنسجم مع بنائه الروحي والنفسي والعقلي؛ ثم تحقق سعادته وتعبر عن

الحقيقة المطلقة الأزلية إلا من خلق الانسان وبنى روحه ونفسه ويعلم كيف تتحقق سعادته ، لذلك نجد أن الشرع والدين الالهي السماوي وهو العقيدة الوحيدة التي تحقق حرية الانسان وانسجامه الداخلي وسعادته .

٢ ـ القيد الثاني الذي يتيح حرية أفضل للانسان هو قيد اجتماعي :

بما أن الانسان اجتماعي اصلا أي أنه يعيش بين جماعة من أقرانه بحيث لا يستطيع الاستغناء عنهم والابتعاد عنهم لذلك لا بد وأن توجد النزاعات والمصالح المتشابكة والمتضاربة وحتى لا تتحول هذه النزاعات وهذا التنافس إلى صراح خطير مدمر لا بد من وجود قيد اجتماعي ينسجم مع العقيدة اي مع القيد الفكري الأول ويحقق أيضاً تنظيم علاقة الانسان بإخوانه وأقرانه والانسانية جمعاء .

جـ ـ موقف الشريعة الاسلامية من الحرية : اكدت الشريعة الاسلامية حرية الانسان ضمن اطارها العقائدي الاجتماعي اي ضمن القيدين الأول والثاني واضافت ايضا مسؤولية الانسان المسلم (اي المعتقد لهذه العقيدة المطبق قيودها) ، عن أعماله وتصرفاته ونواياه وأكدت أنها ستحاسبه عن هذه الأعمال والتصرفات والنوايا بالمكافأة إن أحسن وبالعقاب إن أساء حساباً مستمراً في جميع مراحل حياته سواء على الأرض أم في البرزخ (بعد الموت وقبل البعث) لو في الحياة الآخرة . فكيف حددت الشريعة الاسلامية قيديها وكيف تحققت بذلك حرية الانسان التي تنتج له سعادة داخلية نفسية وسعادة خارجية اجتماعية .

القيد الأول الفكري الاسلامي هو قيد الحقيقة :

هذا القيد أعطى الانسان المسلم الراحة الداخلية والأمن النفسي وهي حقيقة الحق الابدي وحقيقة الخلق ، حقيقة أن الذي خلق الكون

والانسان والهوام والأرواح والأجسام والجماد هو الله الخالق الواحد خالق الزمان والمكان وأن كل ما عداه مخلوق يستمد وجوده واستمراريته من رعاية الله وحفظه ، وحقيقة أنه اختار أناساً بشراً خصهم بإمكانات ذاتية أهلتهم لتلقي وحي الله عز وجل عن طريق الملائكة أو محادثة هذا الوحي يتضمن الحقائق كلها لنشرها بين الناس بالحكمة والموعظة الحسنة لطفاً وكرما من الله ،هؤلاء البشر سموا الأنبياء وقد تكاملت رسالاتهم واتم بعضها البعض وتكاملت حلقاتها بخاتمة الشرائع والرسالات على يد آخر نبي ارسل للبشرية هو محمد بن عبد الله العربي ﷺ الذي تلقى آخر كتاب انزله الله يتضمن كل الحقائق وكل المعارف ولكل البشرية ولكل الأجيال وتعهد أيضاً بحفظه ورعايته أبد الدهر .

القيد الفكري الثاني الاجتماعي الاسلامي هو نظام الشريعة :

هذا النظام اعطى الانسان الراحة والسعادة ، في تعامله مع أقرانه واخوانه بني الانسان فسمحت له الشريعة الاسلامية ببعض التصرفات ومنعت عنه بعضها بهدف اقامة السلام والرحمة العدل والإحسان بين الناس والأمم .

والآن لا بد وأن يثور السؤال التالي كيف تحققت حرية الانسان ضمن قيدي الحقيقة والشريعة . للاجابة على هذا السؤال نقول : إن الحرية المطلقة للانسان قد سببت له أزمة داخلية مع نفسه وفطرته وانسجامه وازمة خارجية مع بقية افراد مجتمعه ومع المجتمعات الأخرى وكيف أن الله أنقد مخلوقه الانسان من هذه الازمات ، فهداه إلى الحقيقة التي أراحته من الأزمة الداخلية ، كما هداه إلى نظام الشريعة التي نسقت وحددت علاقات الانسان مع نفسه وأقرانه ومجتمعه ومع المجتمعات الأخرى، فأراحته من الأزمة الخارجية فأين حرية الانسان مع قيدي الحقيقة

والشريعة رغم فوائد هذين القيدين، عندما يعتنق الانسان الخام عقيدة الاسلام يكون قد تنازل بارادته واختياره عن حريته المطلقة بكل انطلاقاتها وازماتها واستبدلها بحرية جديدة قائمة على أسس الحقيقة والشريعة ، هذه الحرية الجديدة اساسها التصرف وفق ما أباحته الشريعة واستحسنته والامتناع عما منعته الشريعة من الأقوال والأفعال والنوايا التي فيها الضرر لنفس المؤمن أو لبقية الخلق من انسان او حيوان أو نبات أو جماد إذن ضاق مجال الحرية المطلقة فاصبحت حرية المؤمن ضمن دائرة محددة لا تتجاوزها هي دائرة الحقيقة والشريعة . وهناك مجال واسع جدا للتحرك ضمن هذه الدائرة ، وهناك درجات ومستويات لمقدار انجاز المؤمن من الأعمال الصالحة ضمن هذه الدائرة ، يستطيع المؤمن أن يسابق ويبارز أقرانه ليفوز بأعظم درجة ومنزلة أعطيت للمؤمنين بعد الأنبياء ، وهي درجة الصديقية التي أول من نالها أبو بكر الصديق رضي الله عنه . هذه الدرجات المختلفة لحسن التصرف ضمن دائرة الحقيقة والشريعة تؤهل للجائزة الكبرى في الحياتين الحياة الدنيا المؤقتة والحياة الابدية الخالدة التي سينتقل اليها الانسان بعد مرحلة الحياة الارضية وهي الخلود في جنة الله بأحسن حال وأهنأ عيش وأفضل مجتمع . وإن أساء التصرف فأخطأ وانحرف مع الإصرار وعدم التوبة واصلاح السلوك إن أصر على العودة إلى الحرية المطلقة البهيمية أي بعودته إلى الجهل بالحقيقة وعدم التقيد بالشريعة ، استحق العقاب والجزاء واستحق الخلود في أسوأ حال وأسوأ عيش وأسوأ مجتمع وهذا جزاء من رأى الحقيقة وعلم الشريعة ثم رفض النور واختار الظلام واختار السلوك السيىء واختار ايذاء الخالق والخلق وهذا الجزاء هو عين العدل، لأن ما يسمونه الحرية المطلقة هي في حقيقتها عبودية كاملة وخضوع لشهوات النفس وعاداتها السيئة وملذاتها البهيمية ، فالنفس تميل إلى إرضاء شهوات الجسد بكل أشكال الشهوة السوية

والمنحرفة وتميل إلى التمتع بلحظات تخديرية للاعصاب ولو في ذلك ضرر كل الجسم وكل الحياة ، ضاربة عرض الحائط بالعلم والعقل والذوق والكرامة والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر مثل :

ـ الزعيم بين أقرانه الذي تسول له نفسه الشذوذ الجنسي فيفقد بذلك زعامته واحترامه لنفسه واحترام الناس له وأي ذل ذلك .

ـ مثل الرجل المحترم الناجح ، الذي تسول له نفسه الادمان على الخمور أو المخدرات

ـ ومثل الرجل او المرأة أو الطفل ، الذي تسول له نفسه تدخين التبغ على ما فيه من ضرر مادي وجسمي وذوقي .

ـ ومثل الشاب الذي تسول له نفسه اضاعة زهرة أيام عمره ركضاً وراء الشهوة الجنسية واللذة العابرة أو التسكع في الشوارع تلصصاً على النساء أو إضاعة الوقت بالتسالي والضحك والمزاح فيمضي وقت الجد والاجتهاد ويضيع باقي عمره في كسب قوت يومه لا اكثر . فهل هذه هي الحرية ؟ إن الحرية الحقيقية هي تحرير الروح من اسار الشهوات والغرائز والمطامع المحرمة والغفلات والظلمات ، فإذا استطاع الانسان التخلص من هذه القيود ، ولا يستطيع ذلك إلا باعتناق الحقيقة والشريعة ، أصبح بامكانه ايضا الانتقال الى مرحلة ثانية أعظم فائدة له في الدنيا والآخرة وهي ايصال روحه بخالقها وربها بعد أن قطع المرحلة الأولى وهي تحرير روحه من إسار شهواتها ومطامعها ، فإن اتم سلوك المرحلتين حصلت له منافع عديدة وعظيمة منها :

ـ اطمئنان قلب وروح المؤمن ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾

ـ التخلق بأخلاق وصفات الله ﴿ أنا جليس من ذكرني ﴾

ـ اتصافه بمصدر العلوم والكمالات ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ ﴿ علم الانسان ما لم يعلم ﴾

ـ ضمان نصر الله وتأييده ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾

ـ ضمان سعادته في الدنيا ونجاحه ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة ﴾

ـ ضمان مستقبله في حياته الأبدية الخالدة ﴿ وفي الآخرة حسنة ﴾

إذن إن ما نسميه عبودية لله عز وجل هي في حقيقتها كمال حرية الانسان ، وكمال تحرره من اسار الشهوات والغرائز والمطامع ، ثم السمو الروحي حتى تتحقق له الصلة بالله عز وجل التي فيها سعادته ونجاته في دنياه واخراه .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني

مظاهر تخلف العالم الإسلامي

تتصف جميع الدول والتي تقع اغلبها في آسيا وافريقيا وذات الاكثرية السكانية التي تدعي الانتماء إلى الاسلام ، بصفات كثيرة أمكن إجمالها وإيجازها وإطلاق اسم واحد عليها هو أنها دول متخلفة ، ولا تقتصر تسمية التخلف على هذه الدول إنما تتعداها إلى دول اميركا اللاتينية ، هذا الواقع يثير في النفس اكثر من سؤال :

١ ـ لماذا يرتبط التخلف بالمجتمعات ذات الأكثرية التي تدعي الانتماء إلى الاسلام ؟ .

٢ ـ هل هناك علاقة بين الدين الاسلامي والتخلف الاجتماعي والاقتصادي ؟ .

٣ ـ ما المظاهر الاجتماعية لهذا الواقع المتخلف ؟ .

٤ ـ ما المظاهر الاقتصادية لهذا الواقع المتخلف ؟ .

٥ ـ كيف السبيل للتخلص من التخلف الاقتصادي والاجتماعي المسيطر ؟ .

للاجابة على هذه الأسئلة الملحة سنتعرف أولاً على المظاهر الاجتماعية للتخلف مع تحليل اسباب التخلف وبيان كيفية التخلص من هذه الحالة المرضية العارضة ، ثم سنتعرف على المظاهر الاقتصادية للتخلف ايضا مع تحليل اسبابه تمهيدا لطرق الخطة الاقتصادية التي تمكننا من التخلص من سمة التخلف التي لصقت بنا .

اولاً ـ المظاهر الاجتماعية للتخلف :

انصبت جميع الدراسات التحليلية للتخلف على الجانب الاقتصادي البحت للموضوع ، واهملت اهمالا شبه تام الجانب الأساسي وهو الجانب الاجتماعي للتخلف وبما أن الدراسات الاقتصادية جزء من الدراسات الاجتماعية فإن تركيز الجهد على الجزء لا يعطي الصورة المتكاملة عن مجمل حالة التخلف التي نود تشريحها أولا حتى نهتدي إلى سبيل الخروج من هذه الحالة المشينة ، ثم لا يخفى أيضا ما للعوامل الاجتماعية البحتة من أثر بالغ في الحياة الاقتصادية فكما أن الجبان لا يمكن أن يكون شجاعاً كذلك الكسول العابث لا يمكن أن يكون منتجاً ، واللص لا يمكن أن يكون تاجراً أو صناعياً ، والمتواكل لا بد وأن يبقى فقيرا معدما ، لذلك لا بد من الافاضة في بيان أثر العوامل الاجتماعية في بناء حالة التخلف . والعوامل التي نرى أن وجودها علة مباشرة للتخلف الاجتماعي وبالتالي الاقتصادي هي المظاهر التالية :

١ ـ التفرق والتجزئة :

إن اهم ما ينخر في جسد الدول التي نسميها متخلفة هو تفرقها وعدم اجتماع كلمتها وتمزقها على جميع المستويات ، فنجد أن الأمة العربية مجزأة حتى الآن إلى اثنين وعشرين جزءا والهند إلى أكثر من أربعة أجزاء ،

وكذلك الشعب المغولي وشعب أندونيسيا والملاويين وحتى الاسبان في اميركا اللاتينية ، وعلى مستوى البلد الواحد نجد التمزق إلى أقليات أو مذاهب أو تيارات مختلفة وعلى مستوى العائلة الواحدة أيضاً نجد أن كل فرد فيها له اتجاهه وله تفكيره وله أسلوبه في الحياة فلا رابط يجمعهم ولا شامل يلمهم ، هذا التشتت والتفرق يعكس أثراً اقتصادياً في ضيق السوق واستحالة انشاء الصناعات الكبيرة التي تحتاج إلى الأسواق الواسعة وحتى التجمعات التجارية هي أيضاً ضعيفة في السوق الصغير حتى أن بعض المحللين قالوا إن الباعث الحقيقي وراء حركات الوحدة القومية في أوربا هو باعث اقتصادي سعت إليه البورجوازية الصغيرة ، وهي طبقة التجار والصناعيين الصغار والحرفيين ، بهدف تكوين الأسواق الاقتصادية الواسعة الصالحة لانشاء الصناعات الكبيرة والصفقات التجارية الواسعة المربحة ، لذلك انعكس اثر هذا التمزق الاجتماعي على المستوى الاقتصادي الذي بقي في اطار التخلف ولم تستطع جهود العلماء والمفكرين ايجاد حل لحالة التخلف ضمن اطار التجزئة والتمزق ، ولكن كيف وصلت شعوب العالم الثالث إلى هذا الوضع الممزق مع أن أكثر من عامل يجمعهم ويوحدهم .

لقد خلق الله الناس قبائل وشعوباً ليتعارفوا ويتحابوا ويتعاونوا على الخير رغم كونهم شعوبا مختلفة اللغة والعادات والثقافة والمفاهيم وطرق العيش والعادات ، أي أن هذا التعدد والتنوع والاختلاف اعجازي يدل على عظمة الله عز وجل ودقة خلقه وخصبه إذ أن نفس التركيب الخلقي الانساني لكل الناس أي نفس المواصفات ونفس الأعضاء ونفس اسلوب العمل ونفس اسلوب الحياة ، وفي آن واحد لكل واحد من هؤلاء الناس شكله الخاص بَصْمَته الخاصة صوته الخاص لونه الخاص مزاجه الخاص ومستواه الخاص فتبارك الله احسن الخالقين . أي أن هذا الاختلاف

اعجازي لا تمييزي أي ليدلنا على عظمة الخالق لا على عظمة المخلوق ، أو اي فئة من هذه المخلوقات على غيرها فأي شعب يدعي الافضلية على شعب آخر يجافي الحقيقة ويبعد عن منطق الأمور ، وإنما يوجد سبق حضاري لشعب على شعب نتيجة ظروف مواتية أو حافز ما يدفع بهذا الشعب للتقدم والحضارة ، كما حدث للعرب عندما أرسل الله لهم من يهديهم إلى الحق ويدفعهم للعمل والعلم والتقدم رغم جهلهم وبداوتهم فبنوا حضارة زاهرة ، هذا السبق إن وجد يجب أن يدفع الشعب المتحضر إلى مساعدة بقية الشعوب كي ترفع من مستواها العلمي والحضاري لا أن يمارس عليها أنواع السيادة والاستعمار والاستغلال والتكبر والعداء كما ينطبق هذا ايضا على المستوى الفردي فعلى الانسان الذي امتحنه الله بالاكرام والنعمة في المال والعقل والجسم أن يوظف ذلك في مساعدة من يحتاج مساعدته بكل الوسائل .

وبعد أن أتم العرب وبقية الشعوب التي آمنت برسالة الاسلام بناء حضارة متميزة يمكن أن نطلق عليها الحضارة الاسلامية والتي امتدت رقعتها إلى مساحات شاسعة من العالم وضمت كثيراً من الأمم والشعوب الذين تجمعهم عقيدة واحدة وراية واحدة وسوق اقتصادية واحدة بحيث يستطيع أي فرد أو جماعة التنقل والعمل في أي مكان ضمن هذه المساحات الشاسعة من الصين حتى الأندلس ، يتعاملون بعملة واحدة ويطبق عليهم نفس القانون ، وفرص العمل والربح والتجارة والصناعة والزراعة متاحة للجميع فكان الازدهار الاقتصادي والغنى والثروة وما يتبعها من الأمن من الجوع والفقر ومن الأعداء المتربصين ، وكان إلى جانب هذه الدولة الزاهرة شعوب أخرى امتنع على المسلمين التعامل معها وهدايتها لأمر يريده الله ولكن هذه الشعوب في مرحلة متخلفة بكل مظاهر التخلف من جهل وفقر وتمزق ، وهم شعوب وقبائل أوربا وآسيا الشمالية وأفريقية

الجنوبية . وكانت الشعوب الأقرب احتكاكا بالدولة الاسلامية وحضارتها الشعوب الاوربية التي كانت تقود الصراع مع الدولة الاسلامية وكان هناك عاملان دفعا بأمراء أوربا لقتال وعداوة الدولة والحضارة الاسلامية وهذان العاملان هما :

١ ـ رغبة امراء الاقطاعات الأوربية توسيع اقطاعياتهم ببلاد المسلمين التي كانوا يستعمرونها إلى وقت قريب وكانت خاضعة لهم بخيراتها وشعوبها فكانت مزرعة لهم ومملكة فمن ناحية ارادوا استعادة ملك زائل عاد لأهله واصحابه الشرعيين بالحق ومن ناحية اخرى ارادوا نهب خيرات الآخرين وامتصاص ثرواتهم وأرضهم وانتاجهم أي أن الدافع الأول دافع استعماري اقتصادي سياسي .

٢ ـ لما رأت الكنيسة الاوربية الحاكمة والمتسلطة والثرية أن كل الشعوب العربية وغيرها والتي احتكت بالعرب المسلمين قد تركوا عقيدة الكنيسة وآمنوا بالدين السماوي الجديد الذي يحترم جميع الأنبياء ويؤمن بالله الواحد الأحد ، مما يقلص دائرة نفوذها الشعبي والسياسي والاقتصادي ، فوقفت موقفا عدائيا عن جهل وعصبية دون أن تدرس هذه العقيدة الجديدة ومدى مطابقتها لجميع الشرائع السماوية الحقيقية ومدى احترامها للسيد المسيح وأمه العذراء القديسة وللمؤمنين بهما واحترامها لدينهم وعبادتهم وكنائسهم ورهبانهم .

وهكذا تعاون أمراء الاقطاع ورجال الكنيسة الأوربية على شحن نفوس الشعوب الأوربية بالعداء للمسلمين والعرب والاسلام يتشويه سمعتهم ودينهم وعقائدهم . وقادوهم باسم الصليب لحرب المؤمنين الموحدين الذين حرروا بلادهم من كل استعمار وقهر واستغلال ، وتم للاوربيين لفترة من الزمن تمزيق العالم الاسلامي وخاصة عندما (تحالفت

الكنيسة مع المغول والتتر) الوثنيين غير المتحضرين الذين كان همهم سحق جميع الشعوب والحضارات واستعباد العالم مع الوحشية والجهل والقسوة ، (تحالفت الكنسية معهم) لحرب المسلمين الذين يحبون الله وأنبياءه وكتبه ولهم حضارة وثقافة . وهكذا تمت أول عملية تمزيق وتحطيم لوحدة العالم الاسلامي ولدولة الاسلام واستمرت حتى الآن عمليات المقاومة وتحرير الأوطان ومحاولة اعادة وضعها وحضارتها ودولتها ، وذلك مع استمرار الهجمات المتكررة على بلاد العرب والمسلمين تمَّ للاوربيين ما ارادوا من تمزيق الوحدة الاسلامية واستعمار بلاد المسلمين والسيطرة على مقدراتهم ، باستخدام طريق ادهى واخطر من أسلوب الحرب العسكرية المباشرة التي توقفت الآن وهو طريق (الغزو الفكري) لعقائد المسلمين هذا الغزو الذي ما زال على أوج نشاطه وعنفوانه وهجومه ، حتى لا يفيق العرب والمسلمون إذاً من هزيمتهم الفكرية ولا يستطيعوا بالتالي محو هزيمتهم الحضارية .

هذا الغزو الفكري الخطير أخذ محاور مختلفة خطيرة كما يلي :

١ ـ التسلل إلى صفوف المسلمين وتكوين اتجاهات وحركات ومذاهب وطرق واجتهادات ظاهرها الصلاح والتقوى والعمل لخير الاسلام والمسلمين وهدفها الحقيقي تحطيم عقيدة الاسلام عند اهله وتفريق المسلمين وحربهم لبعضهم البعض مما يسهل تمزيقهم وتخلفهم وهزيمتهم من كل عدو صغيراً كان أم كبيراً .

٢ ـ ارسال البعثات التبشيرية التي تحاول تحويل المسلمين بشتى المغريات عن دينهم ، باستغلال علوم الطب والصحة والعلوم الطبيعية ولاظهار تخلف المسلمين ورقيهم تشكيكا للمسلم بدينه وحضارته وثقافته .

٣ ـ افتتاح المدارس لاستغلال تخلف المسلمين الحضاري بهدف ظاهري هو مساعدتهم بالعلم والحضارة ولكن الهدف الحقيقي تربية النشء المسلم الجديد على احتقار دينه وحب الغرب وحضارته ودينه وأن يكونوا في المستقبل ، رجال الاستعمار في حكم شعوبهم لمصلحة المستعمرين وضد عقيدة الاسلام .

٤ ـ نشر كل المبادىء الهدامة ولو كانت تخالف عقيدة الكنيسة أو الفكر الغربي عموماً فقط من أجل زحزحة المسلمين عن وحدتهم وقطع صلتهم الفكرية بالاسلام .

٥ ـ مهاجمة وتجريح رجال الدين المسلمين حيث أنهم القادة الفكريون واتهامهم بشتى التهم والأضاليل والأكاذيب ، وباستمرار لحجب الناس عنهم وزعزعة ثقة الناس بهم ، لأن في ذلك ضياع المسلمين أنفسهم وجهلهم بدينهم وقطع إمكانية ظهور علماء جدد يحملون لواء الدعوة والعلم بسبب هزء الناس وسخريتهم بهم ولعدم كفاية حياة العلماء المادية .

٦ ـ تسليط النساء على الرجال وتبرجهن وخروجهن للشارع بحجة تحرير المرأة أي تحرير المرأة من الدين والشرف والعفة والتستر إلى الاباحية والضلال وسوء الأخلاق وسوء المنقلب ، مساهمة في افساد المجتمع وتحويل اهتمامات رجاله ونسائه عن الجد والنشاط والانتاج إلى الشهوة وإضاعة الوقت والبطالة وخاصة الشباب منهم وسنعود لهذا الموضوع بالتفصيل فيما بعد .

٧ ـ تشجيع الناس على اقتفاء أثر أسلوب الحياة الغربية من شرب للكحول واختلاط ورقص ومجون وهو الجانب السيىء من الحضارة الغربية عن طريق الافلام والدعايات والحفلات وصرف انتباه الشعوب عن الجانب

الجاد من الحضارة الغربية ، وهو جانب العلم والعمل والاتقان والمحافظة على الوعد والأمانة والأخص في العمل وهذا ما يتفق مع العقيدة ولا ضرر منه على عكس الجانب الأول الضار والهدام .

٨ ـ عدم تزويد الشعوب المتخلفة بأسرار الحضارة الحديثة والخبرات الفنية التي يقوم عليها بناء التقدم الحضاري والصناعي ، مهما دفعت هذه الشعوب في سبيل ذلك من أموال وتحالفات واظهار حسن النوايا .

ونتيجة لهذا الغزو الفكري بعد الاستعمار السياسي تم لهم تمزيق وحدة المسلمين والعرب بحيث تشرذموا إلى فئات وقوميات وطوائف ومذاهب ، فكيف يمكن الوقوف في وجه هذا الغزو الفكري وكشف اساليبه لمنع آثاره من الامتداد بهدف اعادة الوحدة إلى الشعوب العربية والاسلامية اصلاحاً لوضعها المتخلف ووضعها في طريق التقدم والحضارة والتنمية الاقتصادية ؟ يمكن أن يتم ذلك بالعودة إلى العقيدة الصافية التي يؤمن بها جميع المسلمين والتي مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية المتفق على صحتها ، وأن تكون هذه العقيدة الواحدة السليمة هي مصدر كل الاجراءات والقوانين والتشريعات والاجتهادات ، وأن يجعل كل فرد في الأمة همه الوحيد اصلاح نفسه وتزكيتها مع الجد والعمل والدراسة والتعلم للعلوم والشرع وتحقيق النجاح في مستوى المعيشة المادية وفي المستوى الاخلاقي العملي .

٢ ـ التخلف العلمي الثقافي :

المظهر الثاني من المظاهر الاجتماعية لتخلف العالم الاسلامي ، هو التخلف العلمي الثقافي ، حيث أن الواقع المشاهد لجميع المجتمعات المتخلفة والتي كما قلنا أغلب شعوبها تدعي الانتماء إلى الدين الاسلامي

يرينا أن أكثر من ٩٠٪ من مواطنيه أميون أي لا يعرفون القراءة والكتابة وطبعاً بالتالي ليست لديهم أي نوع من الثقافة العلمية أو العملية أو الحضارية ، عدا عن بعض الحكم والروايات والقصص والتجارب والأمثال والسير الخيالية ، ولن نبحث عن الأسباب التي أدت بهذه الشعوب وأوصلتها إلى هذا الواقع العلمي والثقافي المتخلف لأن اهتمامنا سينصب على كيفية التغلب على حالة الجهل والامية السائدة ثم بناء حضارة ورقي وتقدم تقود إلى تحقيق تنمية في جميع الحقول والقطاعات .

بعد أن حققت الشعوب المتخلفة استقلالها السياسي ، عمدت لوضع نظام تعليمي ثقافي لتحقيق الهدفين التاليين : (الأول) القضاء على الجهل والأمية والتخلف العلمي والثقافي (الثاني) بناء قاعدة علمية ثقافية صالحة لتحصيل العلم وتطبيقه لبناء المجتمع المتقدم ، فهل نجحت هذه الشعوب في عملية التعليم والثقافة ، إن الاجابة القاطعة على هذا السؤال هو كلا لم تحقق أغلب الدول المتخلفة وخاصة ذات الأغلبية الاسلامية أي تقدم علمي وثقافي والبرهان على ذلك هو حالة التخلف التي ما زالت سائدة في هذه البلدان حتى الآن . ولن نضيع جهدنا أيضاً في بحث لماذا لم تحقق هذه الدول نظاماً علمياً ثقافياً يرشحها للتقدم بعد أكثر من ربع قرن من الاستقلال السياسي ولكن سنركز جهدنا لبحث نظام مقترح يهدف إلى تحقيق نظام علمي ثقافي يستطيع أن يحقق التقدم والتنمية وسنقسم البحث في هذا النظام المقترح إلى ثلاث شعب : الشعبة الأولى : التعليم ، الشعبة الثانية : الثقافة ، الشعبة الثالثة : الاعلام .

(١) السياسة التعليمية المثلى المرتبطة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية

بحث مقدم في الندوة الاقتصادية

جامعة دمشق الاتحاد الوطني للطلبة السوريين

١١-١٧/٣/١٩٨٠

الدكتور محمد فريز منفيخي

كلية الاقتصاد والتجارة

جامعة دمشق

الشعبة الأولى : التعليم (١)

أعطي التعليم في الماضي كثيراً من الوزن على أنه وسيلة للمساواة وقد افترض عموماً بصورة غامضة إلى حد ما بأن زيادة الانفاق الحكومي على التعليم يمكن أن يساهم في تحقيق هذا الهدف . وعلى كل فإنه من الواضح بأن الناس يعنون أشياء مختلفة عندما يشيرون إلى الدور المساوي لعملية التعليم . فبالنسبة للبعض كان التوسع التعليمي يعني توسع تدريجي للفرص نحو الأدنى معطياً الأطفال اللامعين من الفئات الفقيرة من المجتمع فرصة للارتقاء في السلم الاجتماعي . ويرى آخرون التوسع في التربية كعملية استبدال للتركيب الاجتماعي منقصة تشتت الدخل لأنها تنقص التشتت في الكفاءات بين الأفراد ، والبعض أكثر اهتماما بالنتيجة المباشرة للتعليم على مواقف الناس أي أنهم يريدون استعمال النظام التعليمي كواسطة للمحبة لانقاص الاختلاف بين اوضاع الناس ، وهناك في بعض الأحيان غموض حول أي بعد من أبعاد المساواة هو المعنى فالاقتصاديون يؤكدون عادة على الدخل والثروة لأنها وسائط ذات أهداف

عامة ملائمة للرفاه الاقتصادي الاجتماعي وهي صفة يمكن التأثير عليها بالاجراءات الحكومية ، ويستعمل علماء الاجتماع عموما تصنيف المهن حسب الاعتبار لأنهم أكثر اهتماماً بالوضع الاجتماعي من الدخل ولأن المهنة أسهل للقياس أو التذكر من الدخل وهناك خلافات اخرى عديدة بين الناس في المجال والقوة والقدرة والذكاء الخ . . والتي تؤثر بشدة على الرفاه الفردي والسعادة ولكنه لا يمكن عمل الكثير لاعادة توزيعها كما أن الكثير منها لم يقس أو أنها غير قابلة لوضعها بكمية وأن الاهتمام الأساسي هو في إبعاد التمييز الاجتماعي الذي يمكن اخضاعه لسياسة الحكومة ، إن أكثر الحكومات ملتزمة بشدة بتكافؤ الفرص وبالأخص في التربية التي اعتبرت بأنها هامة في حد ذاتها ، وبأنها وسيلة للكسب المرتفع والوضع الاجتماعي ، ولقد ابتدأ التأكيد على تساوي الفرص منذ اعلن الفاروق عمر لحكام المقاطعات وللعالم متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً . وهذا الهدف كان الموضوع الرئيسي للثورة الفرنسية والأمريكية ولتكافؤ الفرص جاذبية قوية لأنها تضع الاختيار على أساس أكثر كفاءة من نظام وراثي ، وهي تقدم صمام أمان للناقمين والموهوبين وتحفظ الحرية الشخصية . وفي السنوات القليلة الماضية تولد الكثير من النشاط بإحياء المناقشة حول اهمية العوامل الوراثية على الذكاء والتفوق المدرسي . ولقد أكد بيرت وجنسن وهرتشتين والسنك [1] على أهمية الوراثة وأنها تساهم في ٨٠٪ حسب نظريتهم في تنوع المهارات المكتسبة ، والمحيط (كل من العائلي والمدرسي) مسؤولان عن ٢٠٪ فقط ، أما النسب الحقيقية فهي موضوع نقاش حاد . إن معظم الذين يؤكدون اهمية مساواة فرصة التعليم يفعلون ذلك ليس لأن التربية جيدة بحد ذاتها فقط ، ولكن لأنه

---

(١) ج سي ايتشروا مينفات التربية والمساواة في فرنسا المعهد الدولي للتخطيط باريس فرنسا .

يفترض أن لها تأثيراً على فرص الحياة وأن الناس المنحدرين من عائلات ذات دخل منخفض أو مكانة اجتماعية منخفضة والذين يحصلون على تعليم جيد يتوقع أن يكونوا قادرين على استخدامها فيما بعد لتحسين وضعهم الاجتماعي أي يرتفعوا إلى الأعلى في السلم الاجتماعي أكثر من آبائهم ، وتزداد أهمية الكفاءات في مجتمع يحكمه الخبراء ويتوقع المرء بأن يكون التعليم عاملاً مسيطراً في التنقل الاجتماعي ولكنه من الواضح بأن التعليم ليس الطريق الوحيد للتنقل الاجتماعي ، فهناك العديد من المشاهير الأثرياء بدون ثقافة ، ويفترض بأن التوسع التعليمي عاملاً مسوياً لأنه يخلق عرضاً أوسع من الناس المتعلمين الذين يدفع لهم عادة أجور أعلى وينقص عرض غير المهرة . ولا يستطيع أحد أن يناقش بأن العلاقة بين التربية والكسب هي علاقة سهلة وهناك بالتأكيد عوامل أخرى كالذكاء والقدرة والمظهر الشخصي والصحة والخلفية العائلية والحظ التي تؤثر على الكسب وعلاوة على ذلك فجميع الاحصاءات المتوفرة تجعل من الواضح بأن الأفراد الذين لديهم مستوى معين من التعليم لديهم تشتت واسع في الدخل ، إن الدخل الحقيقي والرفاه يمكن التأثير عليهما بشدة بواسطة الانفاق الحكومي والجزء من الانفاق الذي يذهب إلى الدفاع والأمن أو إعانات للصناعة حيث فوائده لا يمكن أن نعزيها بسهولة لفئة من السكان والباقي ذو طبيعة اجتماعية ويذهب بشكل رئيسي إلى الصحة والتعليم والإسكان والضمان الاجتماعي ويمكن تقدير تأثيره نظريا ولكن ليس دائماً في الواقع .

ويمكن النظر لعملية التعليم على أنها استثمار انتاجي اقتصادي بحت ، على أساس أن جميع النفقات التي تنفق على عملية التعليم ، هي استثمارات وأن الزيادات المتحققة في الدخل والانتاج والناشئة عن زيادة مهارة وتدريب وعلم السكان العاملين في مختلف الأنشطة الزراعية والصناعية

والخدمية ، هي عوائد هذا الاستثمار . وحتى يكون هذا الاستثمار مجدياً ، يجب أن نحصر الانفاق على عملية التعليم ، وبالتالي عدد المتعلمين ونوع العلم الذي يتلقونه بحيث يؤدي إلى أفضل استخدام لليد العاملة المتاحة وافضل مردود اقتصادي .

والسؤال الملح في بناء عملية التعليم ، هو ماذا نهدف من وراء عملية التعليم ، أي لماذا نعلم الأجيال ، وماذا نعلمهم ، ولماذا ننفق كل هذه النفقات على عملية التعليم . فاذا استطعنا تحديد اهداف عملية التعليم سهل علينا تنظيم هذه العملية الحيوية وتحقيق ربطها في عجلة التنمية الاقتصادية بحيث أن كلا منهما يخدم الآخر ، ويسهل عليه امكانية التحقق لأنه لا تنمية بدون متعلمين ومدربين احسن تدريب ، ولا تعليم بدون انفاق استثماري على عملية التعليم الذي يصبح ممكنا اذا تحققت التنمية الاقتصادية المنشودة .

وفي محاولة لتحديد الأهداف التي يراد تحقيقها بواسطة عملية التعليم يمكن ذكر الأهداف التالية ، والتي يمكن توجيه أقصى عناية ممكنة لتحقيقها بأقصر فترة زمنية ممكنة :

١ ـ تحرير الناس من أمية القراءة والكتابة ، وأمية الثقافة والخبرة .

٢ ـ ترشيح الطالب ليكون عضواً منتجاً نافعاً لنفسه وأهله ومجتمعه .

٣ ـ تأهيل الطالب بمهارات تساعده على أن يكون منتجاً نافعاً .

٤ ـ رعاية المتفوقين وتأهيلهم ليصبحوا علماء .

٥ ـ تأهيل الطلاب لاستيعاب عناصر الحضارة الحديثة العلمية ونشرها والافادة منها .

٦ ـ تأهيل الكوادر اللازمة لعملية ادارة الدولة ومؤسساتها .

٧ ـ تلبية حاجات المجتمع من حرفيين ومهنيين وعمال مهرة ومساعدين فنيين .

٨ ـ بناء المواطن السوي الخالي من الانحرافات والمنضبط اجتماعيا وسلوكيا .

٩ ـ بث روح التقدم والعزة والكرامة والوطنية والأخلاق والدين في الأجيال الناشئة .

فإذا قررنا أن هذه هي اهدافنا من عملية التعليم ، وجب بناء نظام تعليمي يضمن تحقيق هذه الأهداف بأقصر الأوقات ، لأن الزمن يلاحقنا وكلما مر وقت أطول كلما ازدادت الفجوة بين الحضارة والتخلف ، وكلما احتجنا إلى مجهود أكبر وإلى تكاليف أكثر ووقت أطول للحاق بركب الحضارة والتقدم وتحقيق التنمية الاقتصادية .

ومن هذه المقدمة يتبين أن لعملية تخطيط التعليم وجهين أساسيين أو جانبين :

الجانب الأول :

ندعوه جانب العرض وهو ما يتعلق باعداد السكان المتوقعين في المستقبل ، ونسب من سنسجلهم منهم في المستويات التعليمية الثلاث (المستوى التعليمي الأول هو المستوى الابتدائي ، وهو حالياً من سن ٦ ـ ١١ والمستوى التعليمي الثاني ، هو المستوى الاعدادي والثانوي ، أي من سن ١٢ ـ ١٧ حالياً . والمستوى الثالث هو المستوى الجامعي ، وهو حالياً من سن ١٨ ـ ٢٣ سنة) هذا الجانب يعتمد بصورة مطلقة على اعداد

السكان في كل فئة عمرية وعلى النسب المحددة مسبقاً والتي تتحكم في اعداد الطلاب المقبولين في جميع المستويات التعليمية الثلاث ، وفق التصنيف الدولي للمستويات التعليمية المذكورة .

الجانب الثاني :

ندعوه جانب الطلب وهو ما يتعلق باعداد الجامعيين وخريجي بقية المستويات التعليمية المتوسطة والثانوية والمهنية المطلوب تواجدهم في كل مهنة من المهن الأساسية التي تحتاجهم (وهي بحسب التصنيف الدولي أيضاً للمهن التالية : ١) المهن العليا ، ٢) الاداريين ، ٣) الكتبة ، ٤) البائعون ، ٥) العمال ، ٦) المزارعون . وذلك اعتمادا على ما يمكن أن يتوفر من يد عاملة لكل مهنة من كل قطاع اقتصادي ونسبة كل مستوى تعليمي في كل مهنة من هذه المهن . وعلى أساس تشغيل اكبر عدد من السكان من كل فئات الأعمار .

ويفترض بعد ذلك تأمين التوازن بين جانبي العرض والطلب بحيث لا نخرج طلاباً ليس لهم عمل ولا نحرم طلاباً من العلم والتخرج والاقتصاد بحاجة اليهم . فكيف تتم العملية التعليمية في قطرنا العربي السوري : يمكن تصوير هيكل النظام التعليمي في القطر العربي السوري كما في الشكل في الصفحة التالية :

فهل هذا هو النظام التعليمي الأمثل الذي يحقق ما ذكرناه من أهداف في تهيئة كوادر علمية عالية ومتوسطة ومهنية متدربة تفي بحاجة تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية حقيقية وسريعة ، تحقق لنا هدف اللحاق بركب الحضارة العالمية ، إن لم يكن سبقها ؟ للاجابة موضوعياً على هذا السؤال لا بد من تفصيل مثل هذا النظام التعليمي كما هو في الواقع ، كما

هيكل النظام التعليمي في القطر العربي السوري

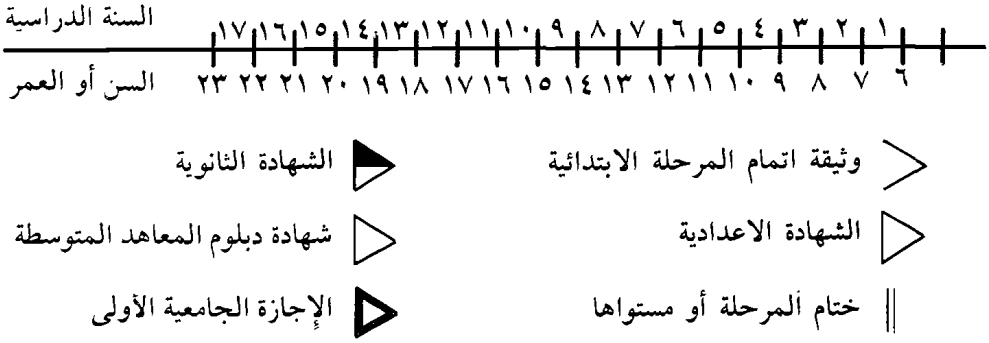

ترينا التجربة الحقيقية الواقعة والتي نشاهدها كل عام دراسي هذه المثالب هي التالية :

١ ـ طول الفترة التعليمية وهي في بلدنا ، كما هو موضح في الشكل السابق ، تمتد طوال سبعة عشر عاما ، أي حتى الثالثة والعشرين من العمر على أقرب حال ، إن لم يرسب الطالب في أي سنة دراسية . فلو فرضنا بالمتوسط أن عمر خريجي الجامعة سيكون في الخامسة والعشرين وعليه خدمة علم بلده لمدة سنتين ونصف أو ثلاث ، أصبح عمره الثامنة والعشرين فمتى سيعمل ويجمع بعض المال ليكوّن لنفسه بيتاً وأسرة وحياة خاصة . إن ذلك مستحيل بامكانات الطالب وحده دون مساعدة من الأهل وهذا يخالف سنة الحياة إذ يفترض أن الشاب يساعد أهله لا العكس .

٢ ـ كثير من المواد الدراسية وعلى كافة المراحل يمكن الاستغناء عنها دون أن تتأثر ثقافة الطالب أو تنقص ولا ترابط بين مواد سنة ومواد السنة التالية ، وقصر فترة الدراسة بالنسبة للسنة بحيث أن العطلة الصيفية طويلة إلى درجة أن الطالب يأتي في السنة التالية وقد نسي تماماً ما كان قد درسه في السنة السابقة .

٣ ـ إذا أحصينا نسبة المواد العلمية إلى مجموع المواد فإنها لا تتجاوز ثلث هذه المواد لكل السنوات الدراسية أي أن اتجاه موادنا الدراسية ما زالت نحو الاداب ولم تتجه بعد نحو العلوم مع أننا متخلفون لأننا مقصرون علميا لا ادبيا ويفترض أن يستكمل الانسان ما نقصه أي يفترض الاكثار من المواد العلمية والاقلال إلى أدنى حد ممكن من المواد الأدبية والاجتماعية التفصيلية الزائدة عن الحاجة .

٤ ـ لا يوجد في نظامنا التعليمي الحالي أي عناية أو مادة للتدريب المهني أي للمهن التي يحتاجها كل منا في بيته وفي عمله كمبادىء التمديدات الكهربائية والصحية والدهان والصناعات الخفيفة المختلفة مما يوحي بضرورة وجود فئتين من المواطنين كما كان يقال ذوي الياقات البيضاء ، وهم الذين لا يعرفون أي عمل يدوي بل ويترفعون عنه وذوي الياقات الزرقاء وهم الفئة العاملة غير المثقفة والتي عليها أن تبقى في خدمة الفئة الأولى ، ولا أظن أن أي نظام تقدمي يحرص على بقاء هذا التمييز غير المرغوب فيه فكل مثقف عامل وكل عامل مثقف .

٥ ـ النظام التعليمي الحالي بامكاناته المادية ، لا يسمح باستيعاب جميع اعداد الطلاب في المدارس والجامعات لكل مراحل الأعمار ، وهذا على عكس سياسة استيعاب جميع ابناء الوطن في عمر الدراسة في المدارس نشراً للعلم والثقافة والتخصص والتدرب وتأهيلاً للمساهمة مباشرة بخدمة تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية حقيقية وسريعة .

٦ ـ عدم وجود أي نظام للتعليم الفني المتخصص في مراحل التعليم المختلفة ، ويوجد توزيع ضعيف لبعض الطلاب نحو المدارس التجارية والصناعية دون وجود نظام متكامل للتعليم الفني ، يرغب الطلبة في التوجه إليه لا يغصبون عليه غصباً ، عن طريق فتح آفاق مستقبل ناجح أمام التعليم الفني .

٧ ـ لا يوجد أي نظام لرعاية الطلبة المتفوقين لاكتشافهم وتشجيعهم بل خلقهم وتحقيق المجالات التي يمكن أن يبدعوا فيها ويخفقوا بذلك ذواتهم وفائدة بلدهم ومستقبلهم .

٨ ـ قصور مناهجنا التعليمية عن استباق المعرفة العلمية السائدة بمعنى أن من نعلمهم هم جيل المستقبل ، فما فائدة أن نعلمهم فقط ما تم

تحصيله في الماضي ، ولكن علينا أن نعلمهم الآفاق المتوقعة للتقدم العلمي في المستقبل ، ليكونوا قادرين على التعامل مع هذا التقدم واستيعابه بل اضافة الجديد له .

٩ ـ ضعف التعليم الحضاري الاجتماعي الانساني للانسان العربي الجديد بما يتضمنه من قيم اخلاقية وانسانية وسلوكية سليمة .

١٠ ـ لا يوجد أي دور لميل الطالب أو لمواهبه في اختيار فرع الدراسة على جميع المستويات التعليمية .

١١ ـ المنفذ الوحيد للنظام التعليمي الحالي هو الجامعة والتي لا تستطيع استيعاب إلا نسبة فقط من السكان في عمر المستوى الثالث أي من عمر ١٨ ـ ٢٣ سنة والتي تخرج حالياً اداريين فقط ، يفضلون الجلوس في المكاتب ويشكلون بطالة مقنعة هي عبء على الاقتصاد لأنهم لم يعلموا وهم يدرسون العمل اليدوي المنتج ولم يهيئوا اصلاً لهذه الأعمال وحتى المواد العملية تدرس نظرياً فقط أولا يعتني بالجانب العملي منها ، بينما المفروض أن يتم تدريس حاجة التنمية الاقتصادية من الكوادر العلمية والفنية والمهنية للفترة القادمة ، ثم تحويل النظام التعليمي كله لتخريج هذه الحاجة من القوة العاملة المدربة المثقفة ، أي أن يكون التعليم بهدف تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة .

وفي محاولة لوضع نظام تعليمي يحقق ربط عملية التعليم واستثماراتها بعملية التنمية الاقتصادية ويحقق أهدافها ويحقق مستقبل افضل للشباب المتعلم عن طريق اختصار فترة الدراسة له ، وللوطن عن طريق بناء المواطن الصالح الذي تهيأ علمياً ونفسياً للمستقبل :

أ)ـ تقسم المواد التي ستدرس للمرحلتين الأولى والثانية أي

المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية إلى المجموعات الثلاثة التالية :

مجموعة المواد العلمية :

١ ـ الكتابة والقراءة والثقافة العامة .

٢ ـ الجبر والحساب والهندسة (الرياضيات)

٣ ـ الصحة والتشريح والثقافة الطبية

٤ ـ الطبيعيات : جغرافيا حيوان نبات فلك .

٥ ـ العلوم الحيوية : الفيزياء الكيمياء الذرة .

مجموعة المواد الاجتماعية :

١ ـ الدين

٢ ـ اللغات العربية والأجنبية وآدابها وترجماتها .

٣ ـ العلاقات الاجتماعية : التعاون والايثار والآداب الاجتماعية .

٤ ـ الفلسفة وعلم النفس .

٥ ـ تحليل التاريخ الانساني .

٦ ـ الاداب والفنون ، الالقاء والانشاد الموسيقي ، الزخرفة ، الرسم الطبيعي ، والهندسة والمخترعات .

مجموعة المواد العلمية :

١ ـ المهن والحرف ، زراعة ، صناعة ، طيران ، آلات دقيقة .

٢ ـ قواعد المرو للمشاة والسائقين .

٣ ـ التدريب العسكري .

ثم يجري توزيع هذه المواد على فترة الدراسة التي يمكن تقسيمها

أيضاً إلى ثلاث فترات ، خلال عشر سنوات فقط ، إسراعاً في عملية التنمية عن طريق انجاز عملية التعليم في أقصر وقت ممكن ، مع الحفاظ على مستوى جيد ومحتوى متقدم لمواد الدراسة ، وأن تبدأ الدراسة من سن خمس سنوات حتى ينجز الطالب المراحل الثلاث ، ويكون قد بلغ الخامسة عشرة من عمره ، وينتهي من الدراسة الجامعية المتخصصة وهو ابن عشرين سنة مما يعطيه فرصة انتاجية كبيرة في حياته العملية ويتم توزيع السنوات على المراحل بأن تكون المرحلة الابتدائية أربع سنوات فقط والاعدادية ثلاث سنوات والثانوية ثلاث سنوات ، وعلى مبدأ تكامل تدريس كل مادة على المراحل كلها والمواد التي يستمر شرحها على أكثر من سنة دراسية واحدة يتم تلخيص ما شرح في الكتاب السابق في الكتاب اللاحق حتى يتذكره الطالب ويكون حاضراً في ذهنه باستمرار .

وفي فترة الدراسة يرصد الطالب بموجب بطاقة خاصة تسجل فيها ميوله ومواهبه وخبراته الخاصة حتى يتمكن من توجيهه إلى الفرع من الدراسة الذي يستطيع أن يبرز فيه كل طاقاته ومواهبه بشكل يستفيد لنفسه ويفيد مجتمعه بأكبر فائدة ، وبشكل عام يتم التركيز والتوسع في التخصصات الهندسية والاقلال إلى أدنى حد ممكن من التخصصات الادبية والفنية ، لأن الهدف الأول وهو رفع الكفاية الانتاجية واستيعاب احدث المخترعات والأساليب الفنية الحديثة وتحقيق التقدم والتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ب)- يتوزع طلاب الجامعات في القطر العربي السوري وفق آخر احصاء على الكليات المختلفة على النحو التالي :

- الطب البشري الصيدلة ، طب الاسنان ، الطب البيطري ١١,٣٧٪

ـ الهندسة والزراعة	٪٢٥,٨٩
ـ آداب حقوق شريعة تربية وفنون	٪٤٤,٠٠
ـ علوم اقتصاد وتجارة	٪١٨,٧٤
	٪١٠٠,٠٠

أي أن توجه التعليم العالي في قطرنا حاليا هو نحو الآداب بنسبة ٤٤٪ على الرغم من عدم حاجة سوق العمل لهذه الاختصاصات وأن توظيفهم عبء على الخزينة ويمثلون بطالة مقنعة ، وعلى الرغم من امكانية تحويلهم للدراسات التخصيصية التي يحتاجها سوق العمل مثل الهندسة والزراعة والعلوم ، ويتوجه نحو الخدمات (الطب والعلوم الاقتصادية) بنسبة ٣٠,١١٪ حالياً ونحو الانتاج (الهندسة الزراعة) بنسبة ٢٥,٨٩٪ فقط حالياً وهذا عكس المطلوب لتحقيق قفزة انتاجية لاقتصادنا النامي .

جـ)ـ توقعت وزارة التربية اعداد الطلاب في الصف الثالث الثانوي والاعدادي الناجحين في كل منهم للشهادة الاعدادية فكانت النتائج كما يلي للسنوات الخمس ١٩٨٠ ـ ١٩٨٤ للجنسين .

أي بالمتوسط ينجح من الذكور (٥٦٪) ومن الاناث ، والباقي

اعداد الطلاب		اعداد الناجحين		نسب النجاح	
العام الدراسي	ذكور اناث	ذكور اناث		ذكور	اناث
٨٠/٧٩	٨٥٢٠٠ ٤٥٨٠٠	٤٧٦٢٨	٢٨٠٢٩	٥٥,٩	٦١,٢
٨١/٨٠	٨٧٦٠٠ ٥٠١٠٠	٤٨٩٥٠	٢٩٠٣٨	٥٥,٩	٥٨,٠
٨٢/٨١	٩٠٧٠٠ ٥٦٧٠٠	٥٠٠٠٥	٣٠١٩٨	٥٥,١	٥٣,٨
٨٣/٨٢	٩٤٤٠٠ ٦٠٨٠٠	٥٢٧٠٠	٣٣٦٠٠	٥٥,٨	٥٥,٣
٨٤/٨٣	٩٨٧٠٠ ٦٦٥٠٠	٥٥٤٠٠	٣٧٢٠٠	٥٦,١	٥٥,٩

يرسب ، فإما أن يعيد الدراسة بالمدرسة فتخسر عليه الوزارة نفقات سنة كاملة أو يتسرب إلى سوق العمل أو البطالة ولا يعود إلى التعليم أبداً فيبقى غير متعلم ولا متدرب طيلة عمره . وهذا يوجب إعادة النظر في سياسة الترسيب هذه في الشهادة الاعدادية . بحيث أن الأفضل أن ينجحوا ويتحولوا رسمياً إلى سوق العمل بعد تدريب مخطط ومبرمج .

د)ـ بما أن أعداداً كبيرة من الطلاب قد تخرجوا يحملون شهادة الدراسة الاعدادية وبهدف تزويد سوق العمل باليد العاملة المتدربة وتأمين استمرارية عملية التعليم والتخصص بشكل كفء يقترح أن يجري تشجيع الطلاب ليتوجهوا لمدارس تلبي حاجة السوق للعمل ، من مهارات ومهن وحرف (نجار ، دهان ، صائغ ، حداد ، حلاق . . . خراطة ، تسوية ، ميكانيك ، كهرباء . . .) ويدرس في هذه المدارس حامل الاعدادية لمدة ستة أشهر براتب بسيط ، ثم يجري توزيع المتدربين على القطاعين العام والخاص ليشاركوا مباشرة بسوق العمل والانتاج والمساعدة في تحقيق التنمية الاقتصادية، ونقترح أن تكون نسبة الطلاب الذين سيتوجهون لاكمال تعليمهم الثانوي نسبة ٦٠٪ في عام (١٩٧٩ ـ ١٩٨٠) تتدرج هذه النسبة انخفاضاً حتى تصل إلى نسبة ٤٠٪ في عام (٢٠٠٠) أي بمقدار ١٪ سنويا انخفاض وذلك للذكور والاناث معا بنفس الاتجاه .

هـ)ـ يتوجه الذكور والاناث الذين قبلوا في المرحلة الثانوية إلى تخصصات ثلاثة صناعية وفنون نسوية وتجارية وعلمية عامة وفق النسب التالية

	صناعي	تجاري	فنون نسوية	علمي عام
ذكور	٣٥٪	٥٪	-	٦٠٪
اناث	-	٢٥٪	٢٥٪	٥٠٪

و)- بعد أن يتخرج طالب الثانوية الصناعية والتجارية والفنون النسوية يتوجه إلى ثلاثة اتجاهات وفق النسب التالية :

٢٥٪ للمعاهد المتوسطة لاستكمال اعدادهم العلمي

١٥٪ للجامعات من المتفوقين في دراستهم .

٦٠٪ إلى سوق العمل مباشرة .

ز)- وبعد أن يتخرج طالب الثانوية العلمية العامة يتوجه الذكور والاناث بالنسب التالية :

ح)- يمكن أن يتابع نسبة ١٠٪ من خريجي وخريجات المعاهد

للدراسة المتوسطة	للدراسة الجامعية	لمراكز التدريب وسوق العمل
ذكور ٢٥٪	٥٥٪	٢٠٪
اناث ٢٥٪	٣٥٪	٤٠٪

المتوسطة دراستهم الجامعية إذا كانوا من المتفوقين ورغبوا في استكمال الدراسة العلمية المتخصصة .

ط)- يمكن أن يسمح لمن حمل الشهادة الاعدادية وتوجه لمدارس مهارات سوق العمل والمهن والحرف ووجد في نفسه الامكانية والرغبة لمتابعة الدراسة النظرية المتخصصة أن يعود وينتسب إلى الثانوية الصناعية بحدود نسبة ٢٠٪ من طلاب الثانوية .

ي)- توزع كليات الجامعات إلى اربع تخصصات أساسية وهي :

١ ـ علوم الصحة :

١ ـ الصحة العامة والفردية .

٢ ـ الطب البشري والعلاج الطبي
٣ ـ الصيدلة .
٤ ـ طب الأسنان .
٥ ـ الطب البيطري

٢ ـ العلوم الطبيعية :

١ ـ علوم الفضاء والفلك .
٢ ـ علوم الذرة
٣ ـ علوم الكيمياء .
٤ ـ علوم الفيزياء .
٥ ـ علوم الرياضيات والاحصاء .
٦ ـ العلوم الاقتصادية والتجارية .

٣ ـ العلوم الهندسية :

١ ـ الهندسة المدنية
٢ ـ هندسة العمارة .
٣ ـ هندسة الديكور .
٤ ـ هندسة كهرباء .
٥ ـ هندسة ميكانيك .
٦ ـ هندسة صناعية .
٧ ـ هندسة زراعية
٨ ـ هندسة الكترونية .

٤ ـ العلوم الانسانية :

١ ـ علوم اللغة العربية وآدابها .

٢ ـ علوم اللغات الاجنبية وترجماتها .

٣ ـ التاريخ .

٤ ـ الجغرافية .

٥ ـ الفلسفة وعلم النفس .

٦ ـ الصحافة والاعلام .

٧ ـ الحقوق .

٨ ـ الشريعة .

٩ ـ التربية .

١٠ ـ الفنون الجميلة .

يوزع طلاب وطالبات الجامعة إلى التخصصات الأربعة الأساسية كما يلي :

الكليات الانتاجية :

العلوم الطبيعية	٣٠٪
العلوم الهندسية	٤٠٪
	٧٠٪

الكليات الخدمية :

علوم الصحة	٢٠٪
العلوم الانسانية	١٠٪
	٣٠٪

بهدف تغطية حاجات الخطط الاقتصادية من كوادر وتخفيف عبء خريجي العلوم الانسانية الذين ليس لهم فرص عمل منتجة .

يوزع طلبة كل تخصص على الكليات المختلفة وفق حاجات القطر العملية لكل سنة من سنوات الخطة .

ويلخص المخطط التعليمي المقترح في الشكل التالي :

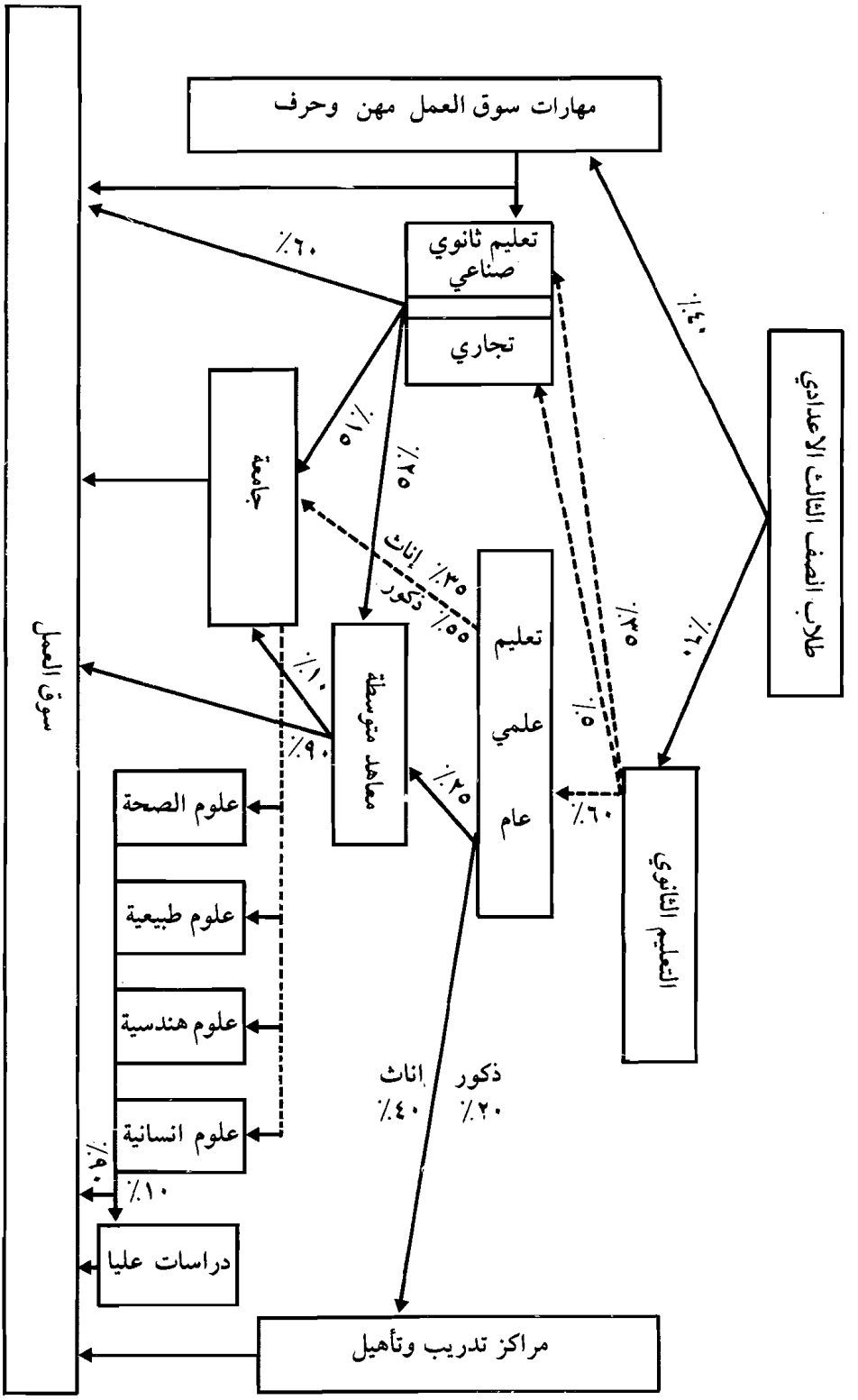
مهارات سوق العمل مهن وحرف
تعليم ثانوي صناعي
تجاري
٦٠٪
٤٠٪
طلاب الصف الثالث الاعدادي
٦٠٪
٣٥٪
٥٪
٦٠٪
التعليم الثانوي
جامعة
١٥٪
٢٥٪
إناث
ذكور
٣٥٪
٦٥٪
تعليم علمي عام
٢٥٪
معاهد متوسطة
١٠٪
٩٠٪
سوق العمل
علوم الصحة
علوم طبيعية
علوم هندسية
علوم انسانية
٩٠٪
١٠٪
دراسات عليا
إناث ٤٠٪
ذكور ٢٠٪
مراكز تدريب وتأهيل

الشعبة الثانية : الثقافة :

الثقافة تشكل حيزاً كبيراً من حضارة أي شعب من الشعوب ، فبقدر ما يكون هذا الشعب مثقفاً ، بقدر ما يكون متحضراً ، وتحصيل العلوم الأساسية ، يعتبر الحد الأدنى في سلم الثقافة ، فكيف نستطيع القول أن شعوب العالم الثالث المتخلفة مثقفة ونسبة الأمية امية القراءة والكتابة هي بحدود ٩٠٪ . وفي أغلب هذه الشعوب،اذن حتى نجعل من شعب من الشعوب شعباً متحضراً متقدماً ، وجب أن يكون مثقفاً ، وحتى يكون مثقفاً ، وجب أن يكون متعلماً العلوم الأساسية ، وحتى يتعلم وجب ألا يكون امياً . هذا العلم وهذه الثقافة غير مقتصرة على الصغار والطلاب وإنما هي ميدان مفتوح للصغار والكبار للرجال والنساء بالتساوي .

ويثور سؤال ملح ، ماذا نطلب بالإضافة إلى تعلم العلوم الأساسية حتى نقول إن هذا الانسان وهذا الشعب أصبح إنساناً أو شعباً مثقفاً . للاجابة على هذا السؤال نقول إن العناصر الأساسية التي يجب توفرها بالاضافة إلى العلوم الأساسية حتى نعتبر الانسان مثقفاً هي العناصر الأساسية التالية :

١ ـ **خلق قويم مبني على دعائم الايمان** : لا أظن أننا بحاجة للبرهان على أن أي درجة علمية يصل إليها أي إنسان إذا لم تكن مقترنة بالأخلاق القويمة التي أمر الله لها من خلال شرائعه ، لأن العلم بدون اخلاق قد يعطي نتائج مدمرة وعكسية ، لأن العلم بدون خلق قد يدفع بصاحبه إلى استغلاله للاثراء أو لبسط النفوذ بوسائل غير اخلاقية وغير شرعية ، ولكن إذا توج العلم بأخلاق كريمة عالية شكل هذا المزيج بداية الانسان المثقف المتحضر .

٢ ـ **البحث المستمر عن الحقيقة** : إن هدف المثقف دوماً يجب أن

يكون البحث عن الحقيقة والرضوخ لها ، عند اكتشافها ، بل التلذذ باكتشاف الحقيقة ، واقتناعها سواء اتت من عالم أو شخص عادي أو حتى طفل أو عالم منافس .

٣ ـ **تحصيل خبرات الآخرين** : يسعى المثقف باستمرار إلى تمثل أكبر قدر من خبرات الاشخاص والجماعات والشعوب ، لأن هذه الخبرات هي ذخيرة للانسان في مسيرة حياته الشخصية وحياته بين اسرته وجماعته وأيضاً ذخيرة في مسيرة حياة شعبه بين الشعوب ، لأن هذه التجارب هي أمثلة حية يأخذ منها المثقف العبرات والحكم ويتعلم أصول مواجهة المواقف الصعبة للتصرف حيال الحالات الطارئة ، وحيال طوارىء الدهر وهي كثيرة كثيرة ، ويستطيع بذلك أن يحضر فكره للتعامل مع الحالات المستجدة التي لم تقع سابقاً ليستطيع معالجتها بحكمة وتبصر ويخرج منها منتصراً ، لأن فترة حياة الانسان قصيرة ولا يستطيع خلالها أن يتعلم كل شيء ولا أن يجرب كل شيء . ويعتبر هذا النوع من الثقافة نقلاً وتمثلاً لخبرات أجيال كثيرة وشعوب مختلفة .

٤ ـ **اجادة الاتصال بالناس** : إن الجزء الأهم من ثقافة الانسان ، هو تمكنه من الاتصال الجيد بالآخرين وتبادل الخبرات معهم ، لأنه ليس من السهل الوصول إلى قلوب الآخرين ودعوتهم لاعطائك خبراتهم في الحياة سواء اكتسبوها هم أم تعلموها من غيرهم . ثم جعل قلوب هؤلاء الناس أيضاً ، تستمع اليك وتتقبل منك تجاربك إذ أن هذا التبادل الثقافي بين الناس هو المصدر الأساسي لنقل الخبرة والمعرفة واختبارها أيضاً ، إذ إما أن يقبل الآخرون تلك الأحكام والنتائج فتقوى بذلك قناعتك بها ، وأما أن يبينوا موضع الخطأ ، أو نقاط الضعف فتزداد بذلك معرفة وثقافة .

٥ ـ **التواضع** : لا يمكن أن يتم ما سبق أن ذكرناه إلا بتواضع

الانسان مع أخيه الانسان ونستطيع أن نعتبر هذا الخلق جزءاً ، من ثقافة المرء إذا فقده لن يتمكن من الاتصال بالآخرين ولا تعلم علومهم وخبراتهم وثقافتهم .

أما وسائل تحصيل هذه الثقافة فهي جميع وسائل الاتصال المعروفة .

الشعبة الثالثة : الاعلام :

إن من أهم وسائل الاتصال ، وبالتالي من وسائل الثقافة ، والذي يقوم بدور كبير في عملية الاعلام ، هو وسيلة البث المرئي (التلفزيون) ، الذي ينقل للمشاهد صورة وصوت المتحدث عبر الاجهزة الخاصة ، والصور عادة أما أن تكون بلونين أسود وأبيض أو بالالوان الطبيعية ، إن هذا الجهاز يلعب دوراً خطيراً في حياة الشعوب فهو عبارة عن ناقل صوت وصورة لمجموعة كبيرة من الناس يجلسون لمشاهدته ، وقد فرغوا أنفسهم من كل عمل موجهين كامل انتباههم لما يعرض أمامهم من برامج ومشاهد وآراء فالجهاز ، في هذه الحالة ، يلعب دور المعلم بكمال تام ، والمشاهدون يأخذون دور التلاميذ المتعلمين ولو لم يريدوا ذلك فما هي الدروس التعليمية التي نراها تبث الآن على محطة هذا الجهاز الذي يستقبل البث المرئي لجميع الناس بمختلف أجيالهم واجناسهم وأعمارهم . إن ما يذاع الآن في بلادنا هو التالي :

١ ـ برامج تعليمية تكرر ما يجري داخل الصفوف ، دون أن تستثمر الامكانات الهائلة التي يتيحها هذا الجهاز ، من إمكانية عرض الأفلام التعليمية ، أو صور الاماكن التي يدرسها ، أو صور الأحداث التي يشرحها ، مما يصبح له أعمق الأثر في المتعلمين بحيث ترسخ هذه المعلومات في مخيلتهم ، وتساعدهم على تذكرها باستمرار .

٢ ـ برامج اخبارية أقرب إلى الاذاعة غير المرئية منها إلى الاذاعة المرئية . فنسبة الصور قليلة التي تغطي أحدث الأخبار أي أن هذه البرامج أيضاً لا تستثمر إمكانات الجهاز بتغطية جميع الأخبار بالصور ، حتى يتابع المشاهد الحادث بعد حدوثه مباشرة كما توزعه وكالات الأنباء .

٣ ـ بعض البرامج الموجهة ، كبرنامج الاسرة والعمال والطلاب والصحة والأطفال ، تعرض هذه البرامج دون دراسة علمية مركزة تجعل البرنامج مملاً يشعر المشاهد أن فقراته ، تعرض باسلوب الحشو المتتالي الفارغ من كل فكرة علمية مدروسة ، وأيضاً دون الاستفادة من امكانيات الجهاز في عرض برامج يعدها علماء الاجتماع والنفس لحل بعض المشكلات العامة للقطاع المدروس لوعرض الصورة المثالية الجيدة التي يحسن بالناس الاقتداء بها لرفع مستوى تفكيرهم ومعيشتهم وعلاقاتهم والسير بهذا كله نحو الأفضل والأحسن ونحو الكمال .

٤ ـ كثير من برامج الحشو والتسلية واضاعة الوقت واللغو ، من أغاني وتمثيليات ومسلسلات وقصص وأفلام وبرامج منوعات ورياضة بدنية ، بحيث أن ضرر هذه البرامج شديد وفتاك للأسباب التالية :

آ ـ إن برامج التسلية هي اضاعة كاملة للوقت ، فلو فرضنا أن هذا النوع من البرامج يعرض لمدة ساعتين يومياً ، وأن ربع السكان فقط يشاهدون هذه البرامج على الأقل فسنجد في سوريا أن $\frac{٨}{٤}$ =٢ مليون شخص يشاهد هذه البرامج ×٢ =٤ ملايين ساعة في اليوم ، تضيع من الناس في مشاهدة برامج اللغو وفي الشهر ١٢٠ مليون ساعة . فكم من الأوقات تضيع هدراً كان من الممكن الاستفادة منها في ما يفيد أو في انجاز أي عمل آخر .

ب ـ بعض هذه البرامج يسعى لتحطيم القيم الأخلاقية ، هدف إلى

ذلك، أم لم يهدف بحيث يقدم الشخص المستقيم، كالاهبل والانسان الشريف كالمتخلف والمثابر المجتهد تجعله محط الهزء والسخرية وتشجع اللص اللئيم المرائي المخادع ، وتجعله عنوان النجاح والفلاح .

حـ ـ تركز بعض البرامج على العلاقات الجنسية بين الناس ، بحيث باتت هذه الشهوة محور حياة جميع الناس كما تصورها هذه البرامج ، وهذا بالاضافة إلى أنه عكس الواقع ، يسعى إلى تضخيم مشكلة المراهقين القائمة لا إلى حلها صيانة لاعراض الناس وأوقاتهم وصيانة للقيم الأخلاقية النبيلة . وحتى لا نقع في المشاكل الكبيرة التي وقعت بها المجتمعات الغربية الناتجة عن الحرية الجنسية غير المنظمة ، والتي انتجت لهم الأمراض الفتاكة وتدهور الأسر والقلق المستمر ، وازدياد الأطفال غير الشرعيين أو غير المعترف بهم من أسر محددة ، مما يحطم حياة الطفل المستقبلية عندما لا يعرف لنفسه أما ولا أبا ولا أقارب ولا أسرة.

٥ ـ إن فترة البث طويلة تزيد عن ٦ ساعات في معظم المحطات دون السعي للاستغلال التجاري لفترة الارسال بحيث يكون لها مردود مادي يغطي بعض تكاليف الارسال المادية ، التي يتحملها باجمعها دافع الضرائب .

أي أن هذا الجهاز عوضاً عن أن يكون عاملاً مساعداً في التغلب على مشكلات الناس ، ثم رفع مستواهم الفكري والعقلي والثقافي والسلوكي في مسيرة نحو الكمال والأفضل والأصلح ، مما يوفر للناس حياة سعيدة رغدة ، وجدناه ، في ما يعرضه حالياً ، على العكس من ذلك يضيع وقت الناس ويسمم أفكارهم ، ولا يساعدهم في شيء ، ويعمل بعضها على تحطيم عقائد الناس وأساليبهم في المحافظة على الدين والأخلاق والشرف والقيم النبيلة .

يبقى السؤال الأهم ، كيف نستفيد من هذا الجهاز في تحقيق أهداف نبيلة شريفة ؟ لا بد قبل الغوص في تفاصيل الأسلوب الجيد لاستغلال عمل جهاز البث المرئي ، لا بد من تحديد أهدافنا من ادخال هذا الجهاز إلى منازل مواطنينا ، ويمكن أن نستعرض فيما يلي ما يصح أن يكون هدفنا من استخدام اجهزة البث المرئي :

١ ـ التعمق في دراسة بعض المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسلوكية التي لها صفة العموم وطرح حلول علمية واقعية لها .

٢ ـ تصوير الوضع الأمثل لما يجب أن يكون عليه مجتمعنا في جميع الميادين العلمية والعملية ، حتى يصبح قدوة للناس يتأسون بها في حياتهم وفي تصرفاتهم الشخصية .

٣ ـ تحليل وقائع تاريخنا وتاريخ العالم للعبرة من احداثه في تجنب أخطاء الماضي ، واكتشاف عوامل النجاح والعز والسؤدد فيه . .

٤ ـ مساعدة جميع فئات المواطنين في ارشادهم السلوك الصحيح وفي حل مشاكلهم وعرضها والوصول إلى انصاف مظلومهم وتشجيع عصاميهم ومكافحهم .

٥ ـ ابراز مواهب المتفوقين في جميع القطاعات ليكونوا اسوة لباقي الناس .

٦ ـ اشراك اكبر قطاع من الشعب في التوجيه والاتصال وتبادل الرأي .

٧ ـ رفع السوية الثقافية والدينية والعلمية والسلوكية لجميع المواطنين .

فإذا سلمنا بهذه الأهداف لقطاع الاعلام المرئي ، وحتى نستطيع أن

نصل إلى أكبر عدد من مجموع المواطنين ، سنتعرف على أهم القطاعات التي ينتمي لها مجموع المواطنين ، حتى يكون لكل قطاع برنامج خاص بهم يعنى بمشكلاتهم وأوضاعهم . بذلك نضمن إهتمام البث المرئي بأكبر عدد من الناس ، فإذا نظرنا بشمول إلى مجموع المواطنين نجدهم توزعوا بحسب سنهم أو عملهم أو ثقافتهم إلى القطاعات التالية :

آ ـ بحسب السن : ١ ـ أطفال ٢ ـ شباب ٣ ـ متقاعدين فوق سن العمل .

ب ـ بحسب الثقافة : ١ ـ طلاب ٢ ـ معلمين ٣ ـ اقتصاديين ٤ ـ صحيين ٥ ـ اجتماعيين (رجال خدمة عامة ، جمعيات خيرية ، تعاونيين أسر)

جـ ـ بحسب عملهم : ١ ـ عمال ٢ ـ حرفيين ٣ ـ مزارعين ٤ ـ صناعيين ٥ ـ تجار وموزعين ٦ ـ جنود .

وإن تخطيط البرامج الموجهة لجميع فئات المواطنين ، بجميع أصنافهم ، بحيث تتألف من قصص وتمثيليات ومسلسلات ولقاءات وندوات وأخبار ، تسعى جميعها لتحقيق الأهداف التي ذكرت مسبقاً مع المرح والاثارة والتشويق الذي لا بد منه لجذب انتباه المشاهد ، مع عدم الاسفاف والهبوط وعدم السخرية من المبادىء الاخلاقية القويمة ، وبحيث أن هذا الارسال لا يأخذ وقتاً طويلاً يشغل الناس عن ضروريات حياتهم ، ثم يتم تقسيم فترة الارسال لتتناسب مع أوقات من توجه إليهم هذه البرامج . ويمكن ايراد المثال التالي لترتيب برامج البث المرئي .

٣ ـ مشاركة المرأة في الانتاج :

المظهر الثالث من المظاهر الاجتماعية للتخلف الاقتصادي

الزمن (دقيقة) / اليوم	٣٠	٤٥	٢٠	٤٥	٣٠
السبت الأحد الاثنين الثلاثاء الاربعاء الخميس الجمعة ٩٠ ٣٠ توجيه نشاط ديني رياضي	برامج الأطفال تحت سن الدراسة	الطلبة الحرفيين الصحة العامة العمال الزراعيين الشباب الاجتماعيين	برامج اخبارية و تحليلية و سياسية	الصناعيين الاجتماعيين التجارة والتوزيع المتفوقين الثقافة العامة الاقتصاديين جنود / معلمين	برامج للكبار فوق سن العمل والمتقاعدين

والاجتماعي ، الذي يسود مختلف بلدان العالم الثالث ، وخاصة تلك الدول التي أغلب سكانها يدينون بالاسلام هو وضع المرأة في هذه المجتمعات التي نهتم بدراستها ، مما نلاحظه في بلادنا أن الصليبيين والملاحده والشعوبيين والشيوعيين قد ركزوا هجومهم على الإسلام والمسلمين في عقر دارهم ، على موضوع المرأة في المجتمعات المسلمة لعلمهم بخطورة دور المرأة في المجتمع ، وانها من مظاهر تخلف أو تقدم أي مجتمع من المجتمعات ، وكانت ادعاءاتهم ومغالطاتهم تقوم على الأسس التالية :

١ ـ إن المرأة تشكل نصف المجتمع وبقاء نصف المجتمع في البيوت معطل عن العمل ، والانتاج أحد أسباب قلة الطاقة الانتاجية للمجتمع وبالتالي فقر هذا المجتمع وتخلفه .

٢ ـ إن عدم خروج المرأة للشارع ، واختلاطها بالناس ، حجز

لحرية إنسان وفيه ظلم كبير لذلك يجب أن تتحرر المرأة وتخرج وتمارس حياة اجتماعية كاملة .

٣ ـ إن لبس المرأة اللباس المحتشم ، لم يعد له مبرر وهو أيضاً قيد على حرية الانسان ، فعلى المرأة أن تخلع حجابها لاتمام عملية الاختلاط على أحسن ما يمكن ولتمارس المرأة الحياة الاجتماعية الكاملة ولتمارس المرأة العمل بحرية وراحة أكبر .

٤ ـ إن علاقة الرجل بالمرأة ، يجب أن تكون علاقة مساواة كاملة ، بحيث ينبغي أن تشارك المرأة مشاركة فعالة في اتخاذ جميع القرارات الاجتماعية والاقتصادية .

٥ ـ للمرأة حق اختيار شريك حياتها ويفضل أن يكون ذلك بعد مرحلة من التعرف والعلاقة لاكتشاف الميول والمزايا للتأكد من سلامة سير الحياة في المستقبل .

هذه هي أهم المغالطات والحجج التي رددوها كثيراً في جميع أنحاء العالم الاسلامي ، وشجعوا على اتباعها أَتْباعهم وتلامذتهم ، ومن درس في مدارسهم التبشيرية ، أو في بلادهم وبجميع الوسائل بالدعايات والأفلام وتكوين الجمعيات والأحزاب ودس العملاء وحفلات اللهو والسمر المختلطة وحفلات الجمعيات والنوادي الخاصة ، أو دعوات ممثلي الشركات والوكلاء والسماسرة والوسطاء ، إلى أن وصلنا إلى ما نحن فيه الآن حيث تركنا مبادىء وقيم وعادات ديننا القويم واتبعنا أهواء اعدائنا واتبعنا شهواتنا فلا نحن حصلنا تقدم الغرب فما زلنا قادة التخلف في العالم ولا حافظنا على اصالتنا وقيمنا وشرفنا وديننا ، وكان الأحرى بنا أن نسأل هؤلاء الناصحين المخلصين الاسئلة التالية :

ـ هل كان تقدمكم وحضارتكم وعلومكم هو بسبب خروج المرأة واختلاطها وعملها ؟ .

ـ هل المرأة عندكم سعيدة موفورة الكرامة والهناء بهذه الحرية ، وبهذا الأسلوب في الحياة ؟ .

ـ هل انتهت جميع مشاكلكم الاجتماعية على ضوء الواقع الجديد ؟ .

ـ كيف تربون أولادكم وهل انتم سعداء بابنائكم وهم سعداء بكم ؟ .

لو سألنا الغربيين هذه الاسئلة ، وصدقونا الجواب ولو ذهبنا إلى بلادهم نتلمس نتائج الأسلوب المتحرر في وضع المرأة ، لكان لنا موقف آخر من دعاويهم ومن أسلوب حياتهم ولرفضناه رفضا قاطعاً عوضاً عما فعلنا وتبنيناه عن جهل وعمى ، ولكننا كنا كالابله الذي يصدق كل ما يقال له وكالببغاء يردد كل ما يسمعه وكالحيوان الاعجم الضخم الذي يتبع بكل ذل قائداً حقيراً صغيراً دون مستواه كما تسير مجموعة من الابل وراء حمار صغير .

إننا في حل من دراسة آثار هذا الأسلوب في الحياة في بلاد الغرب حتى نستنتج النتائج السيئة له ، ويحسن بنا عدم تطبيقه ، لأنه فات الأوان لذلك ولان جميع العلل الناتجة عن هذا الأسلوب قد اصبنا بها ولبسناها وانتهى الأمر فالأولى بنا دراسة نتائج هذا التحرر فينا ، لنقرر هل نستمر كذلك أم نختار أسلوباً آخر. ولنرى ماذا قدمت لنا نظرية تحرير المرأة في الواقع العملي بعد أربعين سنة من تطبيقها .

سنقسم دراستنا على المغالطات الخمس التي قدمها لنا الفكر الغربي ، حتى نتبين أثر كل دعوى واحدة فواحدة كما يلي :

المغالطة الأولى : (إن نصف المجتمع من النساء مما يحتم خروجها للعمل والمشاركة في الانتاج زيادة في طاقة العمل وبالتالي زيادة الانتاج) .

لا بد في البداية ، من التأكيد على أننا إذا احصينا عدد المواليد الذكور وعدد المواليد الاناث في أي تجمع بشري كبير سيكون حتماً بين ١٠٠ ـ ١٠٥ مولود ذكر لكل مائة مولودة انثى ، ولكن الذكور أكثر تعرضاً للموت في جميع مراحل العمر لذلك ستعود نسبة الاناث في مراحل العمر المتأخر للزيادة على نسبة الذكور في هذه الأعمار ، وإن ثبات هذا الوضع لأي تجمع بشري شرقي أو غربي أسود أو أبيض أم أصفر يدل أيضاً على ثبات ووحدانية مصمم هذا القانون ، والذي يحفظ له استمراريته على مر العصور وهو الله الخالق الأوحد ، إذن صحيح أن نصف المجتمع من الرجال والنصف الآخر من النساء ، وهذا هو الجانب الأول من المغالطة ، وهذا الجانب لا يقود أبداً إلى الجانب الباقي والذي هو خطأ تماماً ، (وهذا **معنى كلمة مغالطة** وهي أن نبني على أسس صحيحة بناء خاطئاً بحيث يعمى على بسطاء التفكير، النظر في القسم الخاطىء اعتماداً على مشاهدته للقسم الصحيح من البناء . لذلك لا بد لنا جميعاً من فحص جميع الأقوال من أولها لآخرها ، وارتباط أقسام الكلام مع بعضه البعض حتى لا نقع في فخ المغالطة) . والمغالطة التي نحن بصددها تقول أنه بما أن المرأة نصف المجتمع ـ وهذا هو القسم الصحيح من القول ـ إذن لا بد من خروج المرأة لتعمل ـ وهذا هو القسم الخاطىء من القول كما سنبرهن على ذلك كما يلي :

اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا
بيروت

معهد التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية
دمشق

الحلقة الدراسية عن التخطيط الوطني
وادماج المرأة في التنمية
دمشق ، ١٠ ـ ٢٣ كانون أول / ديسمبر ١٩٧٩

أهمية المعطيات الاحصائية في التخطيط لمساهمة المرأة في التنمية الاقتصادية[١]

إعداد
الدكتور محمد فريز منفيخي
مدرس الاحصاء في كلية الاقتصاد والتجارة
جامعة دمشق

---

(١) بحث مقدم إلى الحلقة الدراسة حول ادماج المرأة في التنمية التي تنظمها الأمم المتحدة / اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا بالاشتراك مع معهد التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية بدمشق في الفترة من ١٠ ـ ٢٣ كانون الأول / ديسمبر ١٩٧٩ .

اكتسب هذا الموضوع أهمية متزايدة خلال السنوات الماضية نتيجة تراكم جهود الجمعيات والأفراد والدول التي جعلت من مهامها الأولى بحث موضوع زيادة اسهام المرأة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، واكتسب بذلك هذا الهدف أبعاداً اقتصادية وإجتماعية وحتى سياسية محلية ودولية ، واختلطت في هذه الجهود الحقائق بالأوهام والأهداف الخفية بالشعارات والباطل بالحق ، لذلك نجد أن منظمات دولية كالأمم المتحدة ومعاهد بحوث ودراسات مختلفة عمدت إلى دراسة هذا الموضوع منهجياً بالأسلوب العلمي لفرز الحقائق واستنباط التوصيات الجيدة المدروسة واكتشاف العوامل الصحيحة التي تودي كلها إلى رفع مكانة المرأة في حاضرها ومستقبلها وصون كرامتها وحفظ حقوقها الطبيعية وتنمية مشاركتها في بناء حضارة وتقدم مجتمعها .

ولما كان هدف المجتمعات جميعها تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية هدفها النهائي سعادة الانسان في اسرته وفي بلده ومع المجتمعات الأخرى في العالم ، وجب الحرص كل الحرص على تحقيق هذه السعادة بما يرضي أفراد كل مجتمع فما يسعد قوم قد يشقي آخرين ، وهذا يخالف المقولة البسيطة التي تحدد أن التنمية هي فقط زيادة الانتاج ، لذلك نؤكد هنا أن التنمية هي كل اجراء يضمن تحقيق سعادة الانسان ورخائه وامنه الاقتصادي والسياسي .

وليس أفضل من المعطيات الاحصائية سبيلاً إلى الدراسة العلمية المنهجية لموضوع حيوي كهذا لأنه يعطينا الصورة الرقمية الدقيقة عن الوضع الراهن بمحاسنه ومساوئه وعلى الباحث اكتشاف مواطن الخير فينميها واكتشاف مواطن السوء والخطأ والتقصير فيلفت النظر إليها لتلافيها في المستقبل ، فكيف يسهم الاحصاء في بحث ودراسة موضوع التخطيط لاسهام المرأة في التنمية الاقتصادية .

سنقسم هذا الموضوع إلى عناصره الأولية تسهيلاً للدراسة الجزئية للموضوع ، ثم نجمع نتائج بحث كل جزء من هذه الأجزاء لنخرج بالتوصيات الكاملة التي تزيد في سعادة المجتمع بجنسيه وهي ما نسميه اصطلاحاً تحقيق التنمية الاقتصادية .

١ ـ نسبة الجنس :

إن صفات الجنس في الانسان هي التالية :

١ ـ اختلاف الجنس بدائي أي حاصل من بداية الولادة بل هو أبكر من ذلك إذ يتعين منذ الحمل .

٢ ـ اختلاف الجنس ثابت مستمر مدى الحياة حتى الموت .

٣ ـ الاختلاف في الجنس بيّن لا جدال فيه .

٤ ـ الجنس مثنوي أي الذكورة والانوثة .

٥ ـ نسبة الذكور إلى الاناث قريبة من التساوي .

٦ ـ كل من الجنسين يتم احدهما الآخر ويكمله ولا بد من كليهما لضمان النسل على الأقل .

ولا ريب أن اختلاف الجنس أمر حيوي صرف ولكن لا يخفي أن الحياة الاجتماعية تأتي فتزيد في إبراز هذا الاختلاف أو تخفف منه حين تفرق أو تساوي بين أفراد الجنسين وان ذلك تابع لتفاوت العادات والاعتبارات في المجتمع هذه الفروق الاجتماعية المتفاوتة الدرجات أمور واقعة في جميع المجتمعات وليس معنى هذا أن أحد الجنسين أعلى من الجنس الآخر أو أقل منه وإنما معناه أن الحياة الاجتماعية المستندة إلى دعائم حيوية ونفسية تجعل الجنسين متتامين متضامنين ، فلو جاز أن

نلتمس شبها للتتام والتضامن بينهما لاعتبرناهما بمثابة جناحي المجتمع لا يستطيع التحلق إلا باعتمادهما وتعاونهما .

على أن أهم صفة من صفات اختلاف الجنس من الوجهة الاحصائية تقارب الجنسين في العدد ، لذلك سنبحث في نسبة الجنسين أحدهما إلى الآخر في كل تجمع بشري وفي سورية بشكل خاص ، وكان الظن قبلاً أن مواليد البنات اكثر من مواليد البنين ولا سيما في البلاد التي تقر تعدد الزوجات ، ثم استطاع تقدم الاحصاء أن يتحقق نسبة البنين إلى البنات عامة وهي ١٠٥ ذكر إلى كل ١٠٠ انثى وهي نسبة ترتفع قليلاً فتصبح على أكثر تقدير ١٠٧ وقد تنخفض إلى ١٠٢ ولكنها تبقى دائماً حول ١٠٥ . وثبوت هذه النسبة متعارف لدرجة أنه لو وجدت نتيجة الاحصاء تزيد على ذلك أو تنقص بمقدار كبير لصح لنا أن نتخذ ذلك دليلاً على خط الاحصاء وقلة ضبطه .

إن ثبوت هذه النسبة عبارة عن قانون وفسر حساب الاحتمال هذا الثبوت بقانون الاعداد الكبيرة وهذه النسبة اجمالية بين المواليد الاحياء وترتفع نسبة البنين بين المواليد الأموات فنجدها ١٣٥ إلى ١٠٠ وترتفع كذلك بين الأسقاط والاجهاضات وربما كانت نسبة الحمل بالبنين اليه بالبنات قريبة من ١١٢ أو ١١٦ إلى مائة وهي نسبة ما تزال قريبة من الواحد وتدل على أن البنين اعطب من البنات اثناء الحمل ، وقد وجد أن البنين اعطب من البنات بعد ميلادهم أيضاً لا اثناء الحمل وحده ووجد بوجه عام أن الذكور أكثر موتانا في جميع مراحل الحياة من الاناث في أحوال اجتماعية واحدة أي أن الاناث أقوى واصلب عوداً من الذكور تجاه الموت ، فإذا كان عدد البنين عند الولادة اكثر بقليل من عدد البنات فإن هذه الزيادة الضئيلة لا تلبث أن تزول بعد أمد فيتساوى الذكور والاناث عدداً ثم لا تلبث الاناث أن تزيد على الذكور عندما تتقدم الأعمار وهذا ما

يفضي بنا إلى فحص عدد الذكور والاناث عامة بين السكان[1] ، وفيما يلي الجدول رقم (١) الذي يبين نسبة الجنس في سورية في عدة أعوام :

الجدول رقم (١)

نسبة الجنس في سورية للاعوام ١٩٦٠ - ١٩٨٠

الجنس	١٩٦٠	١٩٧٠	تقدير ١٩٧٥	تقدير ١٩٧٨	تقدير ١٩٨٠
الاناث	٢٢٢١	٣٠٧١	٣٥٨٣	٤١١٧	٤٢٢٢
الذكور	٢٣٤٤	٣٢٣٤	٣٨٢٧	٤٢٧٣	٤٤٢٠
السكان	٤٥٦٥	٦٣٠٥	٧٤١٠	٨٤٠٠	٨٦٤٢
نسبة الجنس	١٠٦	١٠٥	١٠٦	١٠٤	١٠٤

المصدر : المجموعات الاحصائية السورية .

من هذا الجدول ، يتبين أن نسبة الذكور إلى الاناث تبقى ضمن المعدل الطبيعي ، مع أنها تميل إلى الانخفاض فبعد أن كانت ١٠٦ ذكور إلى مائة انثى عام ١٩٦٠ اصبحت عام ١٩٧٨ ١٠٤ ذكور إلى كل مائة انثى .

والخلاصة أن النسبة العددية بين جنسي الذكور والاناث ، مهما اضطربت تبقى دائماً قريبة من التساوي والتعادل سواء نظرنا إلى المواليد فقط أم إلى السكان كافة وأن العوامل الاجتماعية تستطيع أن تؤثر في هذه النسبة بعض التأثير إلا أنها لا بد من أن تعود إلى ما كانت عليه تقريباً بطريق المواليد فتمكث ثابتة وقريبة من الواحد .

٢ - المرأة الريفية :

يحسن التمييز بين المرأة الريفية والمرأة الحضرية ، لأن لهذا التفريق مكانة في علم السكان وفي علم الاجتماع ، لأن الكثافة الزراعية تشير إلى نوع المجتمع وإلى نمط اقتصاده . وتكاد تكشف عن درجة تقدمه

(١) عبد الكريم اليافي في علم السكان ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٦ .

لأن نسبة السكان الريفيين في مجموع السكان تقل عن ٥٠٪ في المجتمعات الصناعية . وتتجاوز هذه النسبة ٧٥٪ في البلاد التي ما زالت الصناعة الحديثة فيها ضعيفة ، وفي البلاد التي يكون الاقتصاد فيها متأخراً يتألف السكان الريفيون من فلاحين فقراء يستعملون ادوات بدائية في الزراعة دون الأساليب العلمية الحديثة ، معتمدين على الامطار التي تتبع دورات جفاف غير منتظمة . ويشذ عن ذلك عدد ضئيل من الفلاحين الاغنياء وبعض تجار القرية ، أما السكان المدنيون فيتألفون من فريقين سكان المدن الصغيرة التي يسود فيها نمط من الحياة سابق لنمط الحياة الرأسمالية ثم سكان المدن الكبيرة التي تكون جوانب الحياة فيها شبيهة بالحياة الشائعة في المدنيات الصناعية في اسوأ أحوالها ويمكن تصنيف السكان الريفيين على الوجه التالي :

أ ـ الزمرة الأولى تضم السكان الريفيين الذين هم فلاحون يعتمدون الاشكال القديمة للاقتصاد التي لا تخول إلا مستوى منخفض في المعيشة . وهنا نجد مساهمة المرأة الريفية كبير جداً بالأعمال الحقلية والأعمال المنزلية ، فلها مهمات محددة ومسؤولية في الحقل كما للرجل تماما اضافة إلى أعمالها المنزلية فهنا هي عاملة ومنتجة ومشاركة في العمل ومسؤولة عنه ويجب تصنيفها مع المشتغلات .

ب ـ الزمرة الثانية تضم السكان الريفيين الذين تغلب عليهم حياة الفلاحين السابقة ، ولكنهم اكثر تطوراً في مجال الصناعة عن طريق تجهيز الزراعة بالآلات وبعض الاختصاصات العلمية مع وجود تيارات تبادل بين الأقاليم . كل ذلك يؤدي إلى نشوء فريق من السكان الريفيين ليسوا بفلاحين بل هم مرتبطون باشكال اقتصاد حديثة ، وكذلك هنا نجد أن مساهمة المرأة الريفية بالعمل مرتفعة في الحقل والمنزل وتشارك في العمل والرأي والحياة الاجتماعية .

ج ـ الزمرة الثالثة ، يتميز السكان الريفيون فيها بصعوبة عن السكان المدنيين ، لأن وجوه النشاط الريفي والمدني تتداخل وتتشابك جداً كما في الولايات المتحدة ، وفي هذه الزمرة تقل فائدة التمييز بين السكان الريفيين والمدنيين .

د ـ الزمرة الرابعة تنطبق على الاتحاد السوفييتي ، حيث يزداد تأثر الحياة الريفية بالآلة والصناعة ، ولا فرق بين رجل وانثى في أي عمل من الأعمال ولكن عدد الريفيين ضخم .

وإن التوزيع الاحصائي للسكان إلى ريفيين ومدنيين يتم بأحد الأساليب التالية :

١ ـ بتعداد الريفيين والمدنيين أما باعتبار مساكنهم وأما باعتبار أماكن مؤسساتهم .

٢ ـ بنسبة أحد الفريقين إلى الآخر عدداً في كل وحدة إدارية مهمة بحسب درجة التدقيق المطلوبة .

٣ ـ بنسبة أحد الفريقين إلى الآخر .

٤ ـ بنسبة عدد السكان الريفيين إلى مجموع مساحة الأرض عامة أو إلى الأرض المزروعة أو الأرض القابلة للزراعة . وهذه النسبة الأخيرة ندعوها الكثافة الزراعية .

والأصل في التفريق بين الريفيين والمدنيين ، اشتغال الأولين بالزراعة على خلاف الآخرين المقيمن بالمدن ولكن هذا الأصل قد قل اعتماده بعض الشيء ، وحل مكانه اعتبار احصائي يتخذ حداً أعلى للمركز الريفي وذلك تسهيلاً للاحصاء وإن كان هذا الاعتبار لا يحصر عدد المشغلين بالزراعة حقاً ، ولا يفصلهم تماماً عن غيرهم من المواطنين والجدول التالي رقم (٢) يوضح لنا عدد الريفيات بحسب كل محافظة ومجمل عدد الحضريات ونسبة الريفيات إلى مجموع الاناث في قطرنا

العربي السوري خلال الفترة بين ١٩٦٠ - ١٩٧٨ :

جدول رقم (٢)

توزع الاناث في سورية إلى ريفيات بحسب كل محافظة وإلى حضريات ونسبة الريفيات إلى مجموع الاناث

بالآلاف

المحافظة	١٩٦٠	١٩٧٠	تقدير ١٩٧٥	تقدير ١٩٧٦	تقدير ١٩٧٨
دمشق	١٩٤	٢١٢	٢٥٠	٢٤٥	
حلب	٢٣٥	٢٩٩	٣٢١	٣٣٥	
حمص	١٢٣	١٤٥	١٥٧	١٥٢	
حماه	١٠٠	١٦٨	١٨٩	١٩٦	
اللاذقية	٢٠١	١١٦	١٢٥	١١٨	
دير الزور	٨٠	١٠١	١١١	١١٢	
أدلب	١٣٧	١٤٧	١٦١	١٦٢	
الحسكة	١٤٤	١٨٣	٢٠٥	٢٠٧	
الرقة	٧٨	٩٧	١٠٢	١٠٥	
السويداء	٣٨	٥٠	٥٧	٥٨	
درعا	٧٤	١٠١	١٢٢	١٢٨	
طرطوس	-	١٢٠	١٣٧	١٣٧	
قنيطرة	-	٨	٩	٩	
مجموع الريفيات ١٤٠٤		١٧٤٨	١٩٤٦	١٩٦٤	٢١٧٧
مجموع الحضريات ٨١٧		١٣٢٣	١٦٣٧	١٧٣٦	١٩٣٩
نسبة الريفيات إلى الحضريات ٦٣٪		٥٧٪	٥٤٪	٥٣٪	٥٢٪

من الجدول رقم (٢) يتبين لنا ميل نسبة الاناث الريفيات إلى مجموع الاناث إلى الانخفاض خلال الفترة من عام ١٩٦٠ وحتى عام ١٩٧٨ ، ولكنها بقيت باستمرار خلال هذه الفترة اكبر من ٥٠٪ حيث ابتدأت بنسبة ٦٣٪ عام ١٩٦٠ ، وانخفضت حتى وصلت عام ١٩٧٨ إلى نسبة ٥٢٪ ، أي أن اكثر من نصف الاناث في سورية ريفيات ، وبما أن أغلب القادرات على العمل في الريف يعملن في الحقل عملاً اقتصادياً منتجاً في القطاع الزراعي ، فعلينا اعتبارهم ضمن قوة العمل بحسب التوزيع العمري للاناث في الريف . وننتقل الآن إلى القسم الأساسي الثالث من الدراسة وهو المشتغلات .

٣ ـ المشتغلات :

الجدول التالي رقم (٣) الذي أخذت بياناته من المجموعات الاحصائية السورية يتبين توزع اناث القطرا لعربي السوري إلى فئات السن لاكتشاف عدد القادرات على العمل اصلاً من بين عدد الاناث ، فإذا وزعنا الإناث ضمن كل فئة عمرية إلى ريفيات وحضريات بنفس النسب التي ظهرت لنا من الجدول رقم (٢) السابق يتبين لنا عدد الريفيات والحضريات في كل فئة عمرية كما يظهر في الجدول رقم (٤) .

من الجدول السابق يتبين لنا أن فئة العمر المسموح لها قانونا بالعمل ، هي اعتباراً من العمر ١٩ وحتى العمر ٦٠ بموجب القانون . فما هو العدد المتاح من الاناث كقوة للعمل في بلدنا ، من الجدول يتبين أنه في عام ١٩٧٨ فإن قوة العمل المتاحة للاناث من العمر ١٩ ـ ٤٤ ٦٧٠٠٠٠ انثى في الريف و٥٩٧٠٠٠ انثى المدن وكمجموع للاناث للعمر بين ١٩ ـ ٦٠ نجد ٨٥٥٠٠٠ انثى في الريف و٧٦٢٠٠٠ انثى في المدن . وكما قررنا من قبل فإن المرأة الريفية في بلدنا تعمل بشكل منتج في الحقل

الجدول رقم (٣)

توزع الاناث في القطر العربي السوري حسب فئات السن بالآلاف

فئات السن / العام	تعداد ١٩٦٠	تعداد ١٩٧٠	تقدير ١٩٧٥	عينة ١٩٧٨	تقدير ١٩٨٠
٠ - ١٤	١٠٠٠	١٤٩٠	١٧٣٨	١٨٩٧	١٩٥٣
١٥ - ١٨	١٥١	٢٣٦	٢٧٦	٣٩٦	٤٠٤
١٩ - ٤٤	٧١١	٩١٥	١٠٦٦	١٢٦٧	١٣٠٣
٤٥ - ٥٩	١٩٣	٢٢٧	٢٦٥	٣٥٠	٣٥٩
٦٠ وأكثر	١٦٦	٢٠٣	٢٣٨	٢٠٦	٢٠٣
المجموع	٢٢٢١	٣٠٧١	٣٧٨٣	٤١١٦	٤٢٢٢
الذكور	٢٣٤٤	٣٢٣٤	٣٦٣٧	٤٢٨٥	٤٤٢٠
مجموع السكان	٤٥٦٥	٦٣٠٥	٧٤٣٠	٨٤٠١	١٦٤٢

الجدول رقم (٤)

توزع اناث القطر العربي السوري حسب الريف والحضر وفئات السن بالآلاف

فئات السن / العام	١٩٦٠ ريفيات	١٩٦٠ حضريات	١٩٧٠ ريفيات	١٩٧٠ حضريات	تقدير ١٩٧٥ ريفيات	تقدير ١٩٧٥ حضريات	تقدير ١٩٧٨ ريفيات	تقدير ١٩٧٨ حضريات
٠ - ١٤	٦٣١	٣٦٩	٨٤٨	٥٤٢	٩٤٤	٧٩٤	١٠٠٣	٨٩٤
١٥ - ١٨	٩٦	٥٥	١٣٥	١٠١	١٥٠	١٢٦	٢١٠	١٨٦
١٩ - ٤٤	٤٥٠	٢٦١	٥٢٠	٣٩٥	٥٧٩	٤٨٧	٦٧٠	٥٩٧
٤٥ - ٥٩	١٢٢	٧١	١٢٩	٩٨	١٤٤	١٢١	١٨٥	١٦٥
٦٠ وأكثر	١٠٥	٦١	١١٦	٨٧	١٢٩	١٠٩	١٠٩	٩٧
المجموع	١٤٠٤	٨١٧	١٧٤٨	١٣٢٣	١٩٤٦	١٦٣٧	٢١٧٧	١٩٣٩

فلا يمكننا اعتبار الريفيات في سن العمل عاطلات عن العمل مهما كانت نتيجة التعداد الاحصائي .

الجدول التالي رقم (٥) يحصر ما نشرته المجموعات الاحصائية السورية من اعداد القوة العاملة النسائية في بلدنا للفترة من ١٩٦٠ وحتى ١٩٧٦ ، لنرى أعداد المشتغلات بحسب هذه المجموعات الاحصائية :

جدول رقم (٥)

القوة العاملة النسائية في القطر العربي السوري بالآلاف

نوع العمل	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٧٦
معلمات مدارس ابتدائية	٥	٩	١٥	١٧
معلمات مدارس اعدادية وثانوية	١	٣	٧	٧
ممرضات			١,٣	١,٥
قابلات			٠,٨	٠,٩
محاميات	٠,٠١	٠,٠١٤	٠,٠٣٢	٠,٠٢٤
عاملات في الدولة				
عاملات في القطاع الخاص	-	١٣١	٣٢٩	-
مجموع	-	١٤٣	٣٩٣	-

هذه الأرقام الضعيفة ، لاعداد القوة العاملة للاناث ، تدفعنا للبحث عن حقيقة مشكلة عمل الاناث فكيف يعرف المكتب المركزي للاحصاء تعبير المشتغلين . يقول المشتغل هو (الفرد ذكراً أو أنثى الذي يزاول داخل المنزل أو خارجه ، عملاً ذا قيمة اقتصادية لمدة لا تقل عن ثلاث ساعات خلال يوم الاسناد الزمني ، أو كان مرتبطاً بمثل هذا العمل . ولكنه لم يمارسه بسبب طارىء كالمرض أو الاجازة أو سوء الأحوال الجوية وغير

ذلك . ويعتبر مشتغلاً أيضاً كل من كان يعمل في مشروعه الاقتصادي الخاص سواء كان صاحب عمل أو يعمل لحسابه أو لحساب أسرته ، بدون أجر ولو لم يمارس أي عمل طيلة اليوم المذكور) . أما الأشخاص خارج قوة العمل فهم بالتعريف أيضاً (ذلك الجزء من القوة البشرية الذي يتألف من جميع الأفراد ، ذكوراً واناثاً القادرين على العمل ، ولكنهم لا يعملون عملاً ذا قيمة اقتصادية ولا يرغبون القيام بمثل هذا العمل ولا يبحثون عنه ويشمل هذا الجزء الفئات التالية : (أ) المتفرغة للتدبير المنزلي : وهي كل أنثى متفرغة للأعمال المنزلية خاصة بأسرتها ولا تتقاضى لقاء ذلك اجراً بشرط ألا تكون طالبة . (ب) الطالب والمتقاعد يعيش من معونة ومكتفي .

فلم هذا التناقض في الحكم على عمل ربة المنزل ، في اعتباره اشتغالاً اقتصاديا أم لا ؟؟ فعندما نعرف المشتغل نقول أن الأنثى التي تعمل داخل المنزل ، عملاً فهو ذا قيمة اقتصادية لأن له أجراً ، وعندما تعمل صاحبة المنزل نفس العمل دون هذا التحويل للنقد نقول أنه عمل غير اقتصادي مع وجود استثناء لمن يعمل لحسابه بدون أجر كما في تعريف المشتغل فلم استثناء ربة المنزل من اعتبارها مشتغلة ، أي أن تعريف المشتغل اعتبر نفس العمل ولنفس الشخص مرة عملاً اقتصادياً ومرة اخرى غير اقتصادي ، هذا التناقض العلمي لا يمكن حله إلا باعتبار عمل المرأة في منزلها عملاً اقتصادياً وينبغى تصنيف ربات البيوت ضمن اعداد المشتغلات مع التضحية بآراء بعض الخبراء الأجانب مع احترامنا لآرائهم وعلمهم ولا نقفل عقولنا ولكن نقرر ما هو مع الحقيقة ، وهذا هو ما قرره بحث نشر مؤخراً[1] من (ضرورة الاعتراف بأن عمل المرأة في المنزل

---

(١) شفيق سلاح ـ نهاد حنبلي وضع المرأة العاملة في سورية والعواملَ المؤثرة في نسبة مساهمتها في النشاط الاقتصادي . مجلة الاقتصاد العدد ١٨٩ لعام ١٩٧٩ .

وتربية الأطفال عمل ليس اقل أهمية من العمل الانتاجي بالنسبة للأسرة والمجتمع ككل ، هذا على الرغم من أن عائدية عملها يعود لأفراد الأسرة فقط ويتصف بانتاجية هامة جداً بالمقارنة مع انتاجية العمل الاجتماعي . وأن عمل المرأة في المنزل وتربية اطفالها سيظل يملك أهمية كبيرة بالنسبة للأسرة والمجتمع ما دام المجتمع لم يوفر لها بعد الامكانيات والظروف التي تخفف عن المرأة عبء العمل المنزلي وعبء تربية الأطفال جيل المستقبل وقوة عمل المستقبل . من هذاالمنطلق نرى ضرورة الحذر في رفع شعار التشغيل الكامل للمرأة في سن العمل ، لأن ذلك سيخلق مشاكل لا حصر لها في وجه التنمية الشاملة وأهمها ايجاد خلل في سوق العمل ما بين الذكور والاناث وايجاد بطالة ظاهرة يستحيل على اقتصادنا الوطني امتصاصها خلال فترة قصيرة . ونقترح أن تبنى سياسة تشجيع دخول المرأة سوق العمل على اساس حجم الاحتياجات الفعلية لتطوير مختلف فروع الاقتصاد الوطني من القوى العاملة النسائية ، ومن جذب فئات النساء الأكثر جاهزية للمساهمة في النشاط الاقتصادي ونقصد هنا فئات النساء حاملات المؤهلات العلمية المختلفة والنساء الراغبات بالعمل اللواتي لا يملكن اطفالاً أو لديهن أطفالاً تجاوزوا سن الدراسة قبل الالزامية وهكذا) .

الجدول التالي رقم (٦) يبين عدد الاناث العازبات والمتزوجات بين الحضر والريف لعامي ١٩٧٠ و١٩٧٨ .

من الجدول السابق يتبين لنا أن نسبة ٣٩,٩٪ من النساء الحضريات ربات بيوت في عام ١٩٧٠ انخفضت هـذه النسبة حتى ٣٩,٢٪ من النساء الحضريات عام ١٩٧٨ ، بينما كانت هذه النسبة للريفيات عام ١٩٧٠ ٤١,٤٪ انخفضت ايضا لنفس نسبة ربات البيوت في الحضر أي ٣٩,٢٪ أي أنه لا فرق في موضوع الحالة الزواجية بين الريف والمدينة في بلدنا .

الجدول رقم (٦)

الاناث بحسب الحالة الزواجية في الريف والحضر للقطر العربي السوري لعام ١٩٧٠ و ١٩٧٨

بالآلاف

العام	لم تتزوج ابدا حضر	لم تتزوج ابدا ريف	لم تتزوج ابدا حضر	لم تتزوج ابدا ريف	ربات بيوت حضر	ربات بيوت ريف	مجموع عام حضر	مجموع عام ريف	مجموع الاناث
١٩٧٠	١٦٣	١٦٩	٦٣٣	٨٥٥	٥٢٨	٧٢٤	١٣٢٣	١٧٤٨	٣٠٧١
١٩٧٨	٣٣٩	٢٧٠	٨٤٠	١٠٥٤	٧٦١	٨٥٣	١٩٤٠	٢١٧٧	٤١١٧

فإذا حسبنا هذه النسبة لا للعدد الاجمالي للاناث ولكن لعدد الاناث المؤهلات للزواج أي فوق ١٥ سنة لوجدنا أن النسب تصبح ٧٦,٤٪ من الحضريات المؤهلات للزواج ربات بيوت عام ١٩٧٠ ارتفعت هذه النسبة ووصلت إلى ٧٨,٣٪ عام ١٩٧٨ وهذا يدل على زيادة من هن دون ١٥ سنة بين الاناث في المدن ، أما في الريف فقد كانت النسبة عام ١٩٧٠ ، ٨١٪ وهي أعلى بكثير من مثيلتها في المدن عادت وانخفضت عام ١٩٧٨ ووصلت إلى ٧٦٪ من الاناث الريفيات المؤهلات للزواج وهي قريبة من نسبة الحضريات وفي مجال الاناث في الريف والحضر نجد أن نسبة ربات البيوت إلى المؤهلات للزواج ، أي فوق ١٥ سنة ، كانت عام ١٩٧٠ ٧٩٪ انخفضت عام ١٩٧٨ ووصلت إلى ٧٢,٦٪ .

سنحلل الآن موضوع مشاركة المرأة في العمل تفصيلاً ، حتى نستطيع أن نعطي الحكم الصحيح وفقاً للبيانات الاحصائية التي مرت معنا ، صحيح كما مر معنا أن المرأة تشكل قريباً من نصف المجتمع ولكن كثرة أو قلة عدد الاناث ليس هو المعيار الذي يوجب دفع المرأة إلى العمل في السوق أو تقرير عدم عمل المرأة بل لا بد من توفر معايير اخرى

اقتصادية بحتة ، ثم هل نصف المجتمع هذا عاطل عن العمل حتى نوجب عليهم الخروج له ؟ وهل تم استخدام كامل النصف الآخر الذين هم الذكور وتم استيعابهم في سوق العمل ؟ للاجابة على هذه الأسئلة نقول :

إن ما يحدد وجوب عمل المرأة أم لا، معيار اقتصادي بحت وهو معيار قوة العمل اللازمة لتشغيل وسائل الانتاج المتاحة ، فإن كان هناك نقص في الأيدي العاملة لم نجد بداً من دعوة المرأة لتشغيل وسائل الانتاج التي تغطي بانتاجها الحاجات الاقتصادية لمجموع المواطنين ، وترك الأعمال الهامة التي تقوم بها في البيت وملخصها رعاية وتربية الأطفال ، ومساعدتهم في دراستهم وتكوين شخصيتهم ، وتأمين الاستقرار للحياة الاجتماعية لمجموع الأسرة ، ولعلاقة الأسرة بالأقارب والجيران ، بالاضافة إلى رعاية نظافة البيت وسكانه وأدواته ومفروشاته وتحضير الطعام ، فلو اضطرت المرأة للعمل خارج المنزل بهدف زيادة الدخل المادي للأسرة ، وبالتالي بهدف زيادة كمية السلع والخدمات المتاحة لزيادة رفاهية الأسرة وسعادتها ، فهل تتحقق زيادة رفاهية هذه الأسرة إذا عجزت عن القيام بالأعمال الضرورية لها ضمن المنزل والاستمتاع بالحياة الاجتماعية السليمة وهل يعوض هذا الدخل الاضافي عن فقدان الوقت والراحة والتقصير في تحقيق مهام الأسرة التي ذكرناها ، فإذا أرادت الأسرة التعويض عن هذا التقصير بالاستعانة بمن يقوم عن الأسرة بالأعمال المنزلية ، وتحويل جزء من دخل هذه الأسرة إلى هؤلاء المساعدين والرصيد شتان بين عمل ربة المنزل وحنانها ومحبتها في رعاية اطفالها ومنزلها وبين عمل المساعد . وما فائدة هذه الدورة ولم لا تقوم الأم نفسها بهذا العمل وتوفر كثيراً من الارهاق والتعب والاشكالات ، لذلك فقبل أن نفكر في استخدام المرأة في الأعمال المرهقة خارج المنزل واذلالها في الأسواق والحافلات والمزاحمات ، علينا بذل الجهد في

الاستفادة من طاقات كل الذكور ثم التفكير مليا في نوع العمل الذي نعرضه على الاناث بما يحقق لها ولأسرتها ولمجتمعها الكرامة والسعادة ، إذ لا كرامة للمرأة أن تعمل عارضة أزياء أو عارضة أجساد أو تعمل كخلفية لصور الاعلانات العارية أو ليرسمها المتدربون أو تعمل في الترفيه عن المراهقين الكبار أو الصغار .

فإذا ما أعدنا عرض الاحصاءات السورية وفق النتائج التي توصلنا إليها ، من أن عمل ربة البيت عمل اقتصادي منتج ، وأن الريفيات مشتغلات ، لنتج لدينا الجدول التالي رقم (٧) الذي يحلل عمل الاناث في سورية للأعوام ١٩٧٠ ـ ١٩٧٨ .

فماذا تعطينا هذه الاحصاءات ، إنها تقرر أن الاناث في قطرنا عاملات حتى وفق تعريف المكتب المركزي للاحصاء للمتعطل الذي عرفه على أنه : الفرد ذكراً كان أو أنثى القادر على العمل ويرغب فيه ويبحث عنه حتى فترة الاسناد الزمني سواء سبق له ممارسة عمل معين وانقطع عنه نهائياً أو لم يسبق له ممارسة أي عمل معين من قبل ويعتبر الفرد متعطلاً إذا كان متعاقداً على عمل تبدأ مباشرته له في تاريخ لاحق ليوم الاسناد الزمني ، والجدول الأخير رقم (٧) يبين لنا بوضوح أن نسبة الاناث من عمر ١٩ ـ ٦٠ وهو العمر الذي يسمح فيه للمواطن بالعمل إلى مجموع الاناث تشكل ٣٧,١٪ في عام ١٩٧٠ لتصل في كل من الريف والحضر إلى نسبة ٣٩,٣٪ في عام ١٩٧٨ وهذا يدل أن التوزيع الهرمي العمري متساو لهذه الفئة العمرية في كل من الريف والحضر في القطر العربي السوري ، ويبين هذا الجدول أيضاً أن نسبة ربات البيوت إلى مجموع الاناث من عمر ١٥ سنة فما فوق وهو العمر المؤهل للزواج في بلادنا تشكل ٨١٪ في ريفنا عام ١٩٧٠ هبطت هذه النسبة إلى ٧٦٪ في عام ١٩٧٨ ولكنها ما زالت جيدة لأن فئة الاناث هذه تضم من أعمارهم من ١٥ ـ ١٨ سنة ومن هن

الجدول رقم (٧)

تحليل عمل الاناث في القطر العربي السوري للفترة بين ٧٠ ـ ٨٠

بالآلاف

الخاصية	ريف	حضر	ريف	حضر	ريف	حضر
مجموع الاناث	٩٧٤٨	١٣٢٣	١٩٤٦	١٦٣٧	٢١٧٧	١٩٣٩
الاناث من عمر ١٥ ـ ١٨	١٣٥	١٠١	١٥٠	١٢٦	٢١٠	١٨٦
الاناث من عمر ١٩ ـ ٦٠	٦٤٩	٤٩٣	٧٢٣	٦٠٨	٨٥٥	٧٦٢
الاناث من عمر ٦٠ فأكثر	١١٦	٨٧	١٢٩	١٠٩	١٠٩	٩٧
نسبة الاناث من عمر ١٩ ـ ٦٠ إلى المجموع	٠,٣٧١	,٣٧٣	٠,٣٧١	,٣٧١	٠,٣٩٣	,٣٩٣
القوة العاملة النسائية من الجدول (٥)		١٤٣		٣٩٣		
ربات البيوت	٧٢٤	٥٢٨			٨٥٣	٧٦١
نسبة ربات البيوت إلى الاناث من عمر ١٥	٠,٨١٠	,٧٦٤			٠,٧٦٠	,٧٨٣
المتعطلات بحسب تعريف المكتب المركزي	٥	٤	٥	٣	٧	٤
نسبة المتعطلات إلى الاناث من عمر ١٩ ـ ٦٠	,٠٠٨	,٠٠٨	٠,٠٠٧	,٠٠٥	٠,٠٠٨	,٠٠٥
المتعطلات مع اعتبار الريفية مشتغلة وربة البيت مشتغلة من الاناث من عمر ١٥ فما فوق	٠٠٠	١١٠	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠

أرامل فوق الستين وكون الصغيرات عازبات ليس مشكلة ، وان هذه النسبة في الحضر كانت ٧٦,٤٪ في عام ١٩٧٠ ارتفعت إلى ٧٨,٣٪ في عام ١٩٧٨

وهي أيضاً نسبة جيدة ولها نفس المدلول السابق ، وإن أرقام المتعطلات المنشورة من قبل المكتب المركزي للاحصاء لتدل دلالة صحيحة عن الوضع الفعلي للمتعطلات في بلدنا فهن خمسة آلاف متعطلة في الريف عام ١٩٧٠ ارتفع الرقم إلى سبعة آلاف عام ١٩٧٨ في الريف وهن أربعة آلاف متعطلة في الحضر عام ١٩٧٠ بقين أربعة آلاف متعطلة حتى عام ١٩٧٨ ، ولكن تناقض احصاءات المكتب يمكن في أرقام المشتغلات لأنه يصر على عدم اعتبار الريفية مشتغلة واعتبار ربة البيت متعطلة وهذا ما برهنا منطقياً على عدم صحته والواقع يؤيد ذلك .

٤ ـ مهمات المرأة الأساسية :

سنبحث الآن مهمات المرأة بقليل من التفصيل حتى نستطيع أن نخطط مساهمتها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، يمكن أن نقرر للمرأة المهمات التالية في مجتمعها :

١ ـ أن تتعلم حتى أقصى درجات التعلم وفي مختلف مراحل العمر وخاصة في الميادين الاجتماعية وأن تساهم برأيها وبحثها وعلمها في تنوير الرأي العام والتدريس والاختراع وحل المشكلات ، وهي في هذا الميدان صنو الرجل ولا حد لتقدمها العلمي ، وفي تاريخنا أمثلة حية على ذلك كثيرة فقد كان الخليفة الأموي يحضر درس أم الدرداء الصغرى في المسجد الأموي الكبير بدمشق أي كان لها مجلس عام يحضره الرجال ومنهم الخليفة .

٢ ـ التهيؤ للمهمة الأساسية التي خصت المرأة بها ألا وهي الأمومة عن طريق أن تتعلم الطرق الحديثة لتربية الأطفال التربية الصالحة أي غرس المبادىء الاخلاقية القويمة في نفوسهم ورعاية سلوكهم وعقولهم وقلوبهم من أي شائبة ، ولقد شعرت الدول الأوروبية بحاجتها إلى زيادة

عدد السكان خوفاً من الفناء والاضمحلال وعدم القدرة على تشغيل وسائل الانتاج المتاحة في المستقبل إذا بقيت نسبة التكاثر على ما هي عليه الآن حيث أن الأمهات غير قادرات على الانجاب وغير راغبات فيه لانشغالهن بالعمل وأعباء الحياة المختلفة فقررت بعض هذه الدول اعطاء الأمهات الحاملات اجازة سنة أو سنتين بكامل الأجر تشجيعاً لهن على الانجاب وتربية الأطفال التربية الصالحة (وقد دلت الدراسات العلمية الحديثة والاحصائيات الدقيقة على أهمية الأم وضرورتها إلى أبعد حد في نشأة الطفل صحيح البدن تام النمو ، سليم العقل سوى النفس والسلوك ومن أشهر الدراسات التي قام بها الدكتور رينيه سبيتنر ووبدسن ووانز تيتزرولف وقد جاءت كلها تؤيد بعضها بعضاً وتؤيد هذا القول ، ولقد أجرى الدكتور سبيتنر مقارنة دقيقة بين جملتين من الأطفال وضعا في مؤسستين متشابهتين في كل شيء مع فارق واحد هو درجة العطف والحنان التي ينعم بها النزلاء الصغار في كلتا المؤسستين ، في المؤسسة الأولى أوكل أمر العناية بالأطفال إلى أمهاتهم بينما أسندت هذه المهمة في المؤسسة الثانية إلى ممرضات مثقلات بالعمل بحيث كانت كل واحدة منهن مسؤولة عن ٨ إلى ١٢ طفلاً وهو رقم ضئيل إذا قورن بما تعمله الممرضات في بلدنا ولقد أسفرت هذه الظروف المختلفة جداً عن نتائج متباينة للغاية كان أبرزها نسبة النمو هذا تعبير يشمل جوانب النمو كلها النمو الجسدي والنمو العقلي والنمو النفسي عند الأطفال جميعاً ، وقد لاحظ سبيتز بعد سنتين من مراقبة الأطفال ودراسة تطورهم أن نزلاء المؤسسة الثانية المحرومين من عطف الأم وحنانها لم ينجحوا في تعلم الكلام ولا المشي ولا تناول الطعام بمفردهم وأدهى من ذلك أنه لم تقع خلال السنوات الخمس التي استغرقت التجربة أية حادثة وفاة بين اطفال المؤسسة الأولى بينما مات من

أطفال المؤسسة الثانية ٣٧٪[١] ، ومن أشهرها أيضاً الدراسة التي أجريت على دور الحضانة للموازنة بين دار حضانة نموذجي وبين رعاية الأم ، وقد بينت هذه الدراسات أن الأطفال الذين يعيشون في دار حضانة نموذجي بعيداً عن امهاتهم حتى الشهر السادس من العمر ينمون بشكل افضل من الأطفال الذين يعيشون بالقرب من أسر تعاني فاقة مادية وينقلب الوضع اعتباراً من الشهر السادس فالأطفال بعد هذا العمر الذين يعيشون في دور حضانة نراهم يذوون مهما كانت الشروط النموذجية لهذه الدور ويعانون تأخراً في النمو العقلي والانفعالي العاطفي لا يعانيه الأولاد الذين عاشوا في السجون بالقرب من امهات منحرفات فهم ينمون بيولوجيا أي بدنيا ونفسيا وعقليا بشكل افضل من اطفال دور الحضانة النموذجية ، لهذا على قوانين العمل والموظفين أن تمنح الأم اجازة امومة حتى بعد الشهر السادس من العمر لأن الوليد يكون أحوج ما يكون إلى أمه في هذه الفترة[٢] .

ونجد دولاً كبرى كفرنسا مثلاً تحس بالخطر يحدق بها بسبب نقص المواليد حتى أنها لتمنح مرتباً خاصاً للعائلة مقابل كل طفل تنجبه ، ولـو لم يكن الأبوان من الموظفين ، بل إن الدول الشيوعية أحست بذلك فأخذت بعضها تمنح التشجيعات المالية للمرأة التي تقوم على الأطفال ففي المجر تقرر أن تتلقى الأمهات اللواتي يبقين في المنازل مع أطفالهن مبلغ ٨٠٠ فورينت بالنسبة للطفل الأول و ٩٠٠ فورينت للطفل الثاني و ١٠٠٠ للطفل الثالث ولأي طفل بعد الثالث أيضاً وذلك بدلاً من ٦٥٠ فورينت الحالي وسوف تصبح اعانة عملية الولادة ٢٥٠٠ فورينت وسوف يتم تغيير سياسة الاسكان والمعونات الخاصة بالعطلات كي تشجع على تكوين الأسر الكبيرة .

---

(١) عن مجلة طبيبك العدد ١٨٤ صفحة ٥٢ ـ ٥٣ .

(٢) نور الدين العتر ماذا عن المرأة ، دار الفكر ١٩٧٩ .

٣ ـ التحمل والكفاح جنباً إلى جنب مع زوجها في تحمل اعباء الحياة لبناء الخلية الأولى الصالحة وتدعيم كيان الأسرة لأنها مصنع الحياة وطريق المستقبل .

٤ ـ وجوب العمل في المجالات التي تتطلب الاناث وهي التمريض والتدريس للاناث والطب النسائي .

٥ ـ املاء وقت الفراغ من العمل اليومي في المنزل في زيادة المطالعة والاتصال الاجتماعي وتقديم المساعدات الاجتماعية في المنظمات الاجتماعية النسائية والعمل في المنزل اعمالاً اقتصادية تزيد في دخل الأسرة إن أرادت وهناك كثير من الأعمال يمكن القيام بهاداخل الـمنزل ، وتدر دخلاً إضافياً مثل أشغال السجاد والصوف والحياكة والتطريز والتفصيل . . . أما الأعمال الاقتصادية التي تتطلب وفرة الانتاج واستمرارية العمل فلا تصلح المرأة له لأن المرأة تتعرض كل شهر للطمث الذي يستمر غالباً سبعة أيام وقد يمتد أكثر من ذلك وفي هذه الدورة الشهرية تكون عرضة للآلام كما أنها تعاني من تغير مزاجها ونفسيتها ، مما يجعلها على غير مقدرتها الكاملة وطاقاتها التامة ، واعظم من الطمث فترة الحمل ثم الوضع فمنذ الشهرين الأخيرين للحمل لا يجوز تكليفها بأي عمل يتعبها لأنها تكون في حال أقوى من المرض تضطرب أعصابها وتضعف ملكات التفكير والتأمل لديها ثم بعد الولادة تكون جروح المرأة كما يقرر الأطباء عرضة للتسمم مما يجعلها مستعدة لأمراض متعددة وتتحرك أعضاؤها الولادية باستمرار حتى تعود إلى ما كانت عليه قبل الولادة وهكذا تكون المرأة بسبب الحمل والولادة أشبه شيء بالمريضة لمدة أشهر عديدة يجب فيها أن تعفى من العمل فهل من الدعم للاقتصاد ومن مصلحة الاقتصاد تعطيل المرأة عن وظيفتها الحيوية العظمى كي تصبح خارج بيتها عاملاً مبتور الطاقة يتعرض كل شهر لخلل في سير عمله

وكل سنتين أو ثلاث لتعطيل العمل تلك الفترة الطويلة بسبب الحمل والولادة .

٦ ـ إن عمل المرأة ضمن منزلها لن يعيدها إلى عبودية أو خضوع للرجل وسلطته فالمرأة في البيت هي مديرته وراعيته والحانية عليه وهي الملكة المتوجة على رؤوس ابنائها ، شاء ذلك زوجها أم لم يشأ ، أبقاها أم انفصل عنها وأي ميزة هذه للمرأة إن اتصفت التربية ببر الوالدين واحترامهما وحبهما وطاعتهما الطاعة الكاملة ، وهذا افضل من أي نظام للضمان الاجتماعي تضعه المؤسسات أو الدول لأنه مع الحب والاحترام والعطف والحنان وهذه المعاني أحوج ما يكون إليها الانسان وخاصة في المراحل المتقدمة من العمر .

خاتمة :

فكيف نخطط الآن لتحقيق المهمات الأساسية للمرأة التي ذكرناها ولتحقيق زيادة مشاركة المرأة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، يمكن أن يتم ذلك عن طريق تحقيق الاجراءات التالية :

أ ـ العمل على استيعاب كافة الاناث في التعليم الابتدائي سواء في الريف أو الحضر .

ب ـ اضافة مقررات دراسية خاصة بالاناث لتعليمهن بعض الصناعات المنزلية .

ج ـ تعليم الاناث كيف يربين اطفالهن ويعلمنهم الكلام والمشي والنظافة والعناية الصحية والاسعافات الأولية .

د ـ تعليم الاناث أن يحتفظن بكرامتهن وألا ينسقن مع الأهواء وألا

يتبعن الصرعات والأزياء الأجنبية حتى لا يبدد الدخل القومي فيما لا طائل منه .

هـ ـ التركيز على دور المرأة كربة اسرة ومربية أجيال وعنصر هام من عناصر تقدم الوطن وتنميته ، إذا أحسنت المرأة القيام بمسؤ وليتها بكل جد والتزام .

بهذا تشارك المرأة مشاركة هامة في تحقيق التنمية الاقتصادية عن طريق تحقيق السعادة لنفسها ولابنائها ولزوجها ، ولو لم يتحقق الغنى ولن يتحقق الغنى لكل افراد أي مجتمع من المجتمعات ، حتى الدول التي نسميها الآن متقدمة فيها كثير من الأفراد والأسر الفقيرة والمعدمة والبائسة والمريضة ، فإذا حققت كل امرأة السعادة لنفسها ولزوجها ولأطفالها ، لتحققت سعادة كل المجتمع وذلك بيد المرأة تأكيداً وعليها أن تتهيأ لذلك وتتعلم ثم تحقق هذه السعادة عملياً ، بذلك نقول أن التنمية الاقتصادية والاجتماعية لأي قطر من الأقطار قد تحققت .

مراجع البحث

(١) عبد الكريم اليـافي ـ في علم السكان مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٦

(٢) شفيق سلاح ونهاد حنبـلي ـ وضـع المرأة العاملة في سورية والعوامل المؤثرة في نسبة مساهمة المرأة في النشاط الاقتصادي مجلة الاقتصاد العدد ١٨٩ لعام ١٩٧٩

(٣) المكتب المركزي للاحصاء ـ نتائج بحث العينة السكانية للقوة البشرية وقوة العمل في سورية ٧٧ ـ ٧٨ مذكرة رقم ٣٩٤ ١٩٧٩

(٤) المكتب المركزي ـ للاحصاء اوضاع المرأة العاملة في أجهزة الدولة والقطاع العام مذكرة رقم ٢٩٠ ١٩٧٥

(٥) المكتب المركزي للاحصاء ـ المرأة العربية السورية بين الماضي والحاضر مذكرة رقم ١٠٦ ١٩٧٤

(٦) المكتب المركزي للاحصاء ـ نتائج التعداد العام للسكان في الجمهورية العربية السورية الجزء الأول ١٩٧٠

(٧) نور الدين العتر ـ ماذا عن المرأة . دار الفكر ١٩٧٩

المغالطة الثانية : تقول (وجوب تحرر المرأة وخروجها للاختلاط بالمجتمع وبناء علاقات اجتماعية متحررة).

في هذه المغالطة ، تم التركيز على أمرين : وجوب أخذ المرأة كامل حريتها ، ثم استعمال هذه الحرية في الاختلاط بالآخرين رجالاً ونساءً ، أما الأمر الأول أي فيما يتعلق بحرية الانسان فقد ناقشناه بإسهاب سابقاً وقلنا إن الحرية الحقيقية تتحقق ضمن حدود الشرع ، فهل أعلن الشرع الحرية للمرأة في الاحتفاظ بالآخرين ؟ نعم سمح الشرع للمرأة بالخروج للأسواق ، ومرافقة الرجال في الجهاد وفي الصلاة مع الجماعة في آخر المسجد والخروج للشراء والبيع وحتى التدريس في المسجد ، ضمن اطار الحياء والاحتشام والتستر والأدب ، أما الأمر الثاني أي فيما يتعلق ببناء علاقات اجتماعية متحررة فلم يقصد به ما شرحناه ، ولكن قصد به اختلاط البنت بالشباب ذهاباً وإياباً ومعرفة وربما أعمق من ذلك وقصد به اختلاط المرأة بأصدقاء زوجها وجيرانها وجميع الناس . فهل هذه هي الحرية ؟ إنها حرية الشهوة والغريزة ، والبهيمية لأنها حرية تخريب

المجتمع وتخريب الأسر ، كما حصل في المجتمعات التي سبقتنا إلى الاختلاط الجنسي .

المغالطة الثالثة : تقول (على المرأة خلع حجابها لتستطيع ممارسة حياتها الاجتماعية في الاختلاط والعمل)

ركزت هذه المغالطة بشدة على نزع الحجاب عن المرأة وقد ساهمت جميع الدوائر الأجنبية وعملائها في الداخل وبعض قصيرات النظر والعقل في عملية نزع الحجاب ، حتى نجحت في جعل الحجاب ذكرى ولكن لبعض الوقت ، فبعد أن اكتشفت المرأة أنه لا علاقة بين خروج المرأة لقضاء حوائجها وأعمالها ، وبين نزع حجابها الذي يتكون من غطاء للرأس وستر لجميع البدن عادت كثرة كثيرة من بنات الجيل الجديد لارتداء الحجاب ، إذ أن نزع الحجاب لم يتوقف عند نزع غطاء الرأس والوجه ، بل تعداه إلى لبس الملابس القصيرة من الأعلى ومن الأسفل حتى أصبح ما تكشفه الملابس اكثر مما تستره وأصبح لباس الخروج عامل إغراء شديد وإثارة كبيرة للشباب الذين لا يجدون ما يتزوجون به ، مما دفع بالكثير من الشباب ، للاعتداء على شرف وحياة وجسد الكثيرات . فهل أصبحت نساؤنا بهذا الشكل من التعري ؟ رخيصة إلى درجة امتهان كرامتها في الشارع . بهذا نجد فوائد متعددة للبس الحجاب نستطيع تعدادها كما يلي :

١ ـ الاحتشام في اللباس والمظهر ، يدفع عن المرأة عدوان الشباب الذين تم شحنهم بالشهوة والغريزة بواسطة أفلام السينما والتلفزيون ومشاهدة الأجسام العارية في الطرقات مع قلة التربية الصالحة وعدم تمكنهم من الزواج ، لقلة ذات اليد أو لتعقد الحياة المادية لدرجة كبيرة ، ولغلو أولي أمر البنات في التشدد في اختيار أزواج لبناتهم .

٢ ـ الاحتشام في اللباس والمظهر ، يوفر على المرأة وفراً مادياً كبيراً من المساحيق والعطور وتصفيف الشعر والعناية بالملابس وتجديدها ، بغير وعي وادراك وتنظيم واقتصاد مما يهدر امكانات الأمة على توافه الأمور ومحقراتها ، وتذهب ادخارات الأمة إلى جيوب أصحاب معامل المساحيق الأجنبية .

٣ ـ الاحتشام باللباس والمظهر ، يقلل من دافع الخروج لدى المرأة ، لعرض زينتها وملابسها على زميلاتها ، أو في الطريق العام ، مما يجعلها توجه عناية أكبر لبيتها وأولادها وزوجها .

بهذا نجد أن نزع الحجاب ، كان له أثر مخرب في المجتمع ، ولم يساعد المرأة أبداً لا في احترام نفسها ، ولا في انهاء أعمالها ، إنما هي مغالطة بشعة قصد بها افساد المجتمع وتحطمه وانهاء كل قيم رفيعة وحضارية فيه .

المغالطة الرابعة : تقول (المرأة مساوية للرجل في كل شيء ويجب أن تشارك مشاركة فعالة في اتخاذ جميع القرارات) .

هذه مغالطة رابعة ، ظاهرها احترام رأي المرأة وباطنها تخريب العلاقات الاجتماعية . إذ متى كانت المرأة لا تشارك عندنا في اتخاذ القرارات وفي ابداء الآراء وفي احترام آرائها أيضاً ، كما في حادثة رغبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تحديد مهور النساء بحد أعلى ووافق على رأيه كل المسلمين المجتمعين في المسجد فقامت امرأة عجوز بشعة الشكل من آخر الصفوف ، واعترضت على رأي الأمير ، وقالت ليس لك ذلك يا ابن الخطاب دون أي تملق للحاكم أو مداراة لطريقة طرح الرأي الآخر . فقال لها كيف ؟ أي أن أحداً لا الأمير ولا أي شخص كَتَمَ نَفَسها ومنعها من ابداء رأيها ، فقالت بحجة من دستور المسلمين القرآن ألم

تسمع ﴿ولو آتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾ أتدري كم هو القنطار ؟ أي أنه أيضاً تستهزىء بمعلومات الأمير ، والقنطار كما نعلم يساوي ٢٥٠ كلغ ويمكن أن يكون ذهباً، إذن لا حد معين بنص القرآن ، إذن لا يجوز أن يوضع حد أعلى لمهور النساء ، عندها تراجع عمر عن رأيه وقال أصابت امرأة وأخطأ عمر ، إذن القرار في الاسلام ليس للأمير وليس بموافقة الأغلبية كما في ما يسمى بالديمقراطية الغربية ولكن القرار هو المدعوم بالحق بنص القرآن الكريم كلام الله أو السنة النبوية الطاهرة ولو أتى به امرأة واحدة عجوز بشعة .

هذه القمة هي التي أوصلها الينا الاسلام ، ولا نحتاج لأحد كي يعلمنا كيف نحترم آراء بعضنا البعض فنحن أساتذة الناس بفضل الله وهديه وسنة رسوله .

إذن هذه الحكمة الرابعة لا نحتاجها في مجتمعنا لأننا كما قلت نحترم آراء بعضنا البعض وفق نظام محدد ومعروف وهو نظام الحق والحقيقة . وكان دافع الغربيين في قولهم بمساواة المرأة واحترام رأيها أمرين ، الأول تطبيق ما وصلوا إليه بسبب خاص هو كثرة الحروب المدمرة في بلادهم وكيف حصدت رجالهم وأبقت نساءهم عوانس فبعد الحرب وجدنا لكل رجل يوجد امرأتان أو ثلاثة خلافا للسنة الالهية في الخلق ولو أنهم طبقوا الحل الاسلامي لهذه الحالة الخاصة ، وهو السماح بتعدد الزوجات ، لوجدت كل امرأة زوجاً ولما اضطررن للبحث عن وسائل غير شرعية للعيش ولما تنافسن فيما بينهن على اصطياد الأزواج الأمر الثاني حالة المهاجرين إلى القارة الأميركية ، فقد كانوا في غالبيتهم من الذكور والنساء بينهم قلة فأصبح للمرأة وضعها المتميز وأصبحت لكلمتها شأن ولرأيها احترام مصطنع فرضه الواقع الشاذ على الوضع الطبيعي المفترض وهو وجود

عدد متساوٍ تقريباً بين الرجال والنساء ، وأن مجتمعاتنا والحمد لله لم تعرف الحروب المدمرة بكثرة تنشىء خللاً بين عدد الرجال والنساء ولم تحصل هجرة رجالية كثيفة إلى بلادنا تجعل للنساء وضعاً متميزاً غير طبيعي .

المغالطة الخامسة : تقول (للمرأة أن تتعرف على خطيبها معرفة عميقة حتى تضمن حياتها وسعادتها في المستقبل)

هذه أيضاً من المغالطات التي اعتمدها الصليبيون في غزو عقائد المسلمين من الداخل بعد أن عجزوا عن قهر الإسلام بالقوة المسلحة الخارجية ، فهل ضمنت المرأة سعادتها ومستقبلها بعد أن أصرت كثير من العائلات على وجوب اطالة فترة الخطبة والتعرف ، لا والله ما ضمنت شيئاً ، ولكن على العكس ظهرت مساوىء كثيرة لهذه العقيدة كما نشاهد في الواقع للأسباب التالية :

١ ـ إن شعور الصليبيين أن هذه الفترة فترة اختبار تدفعهم لتحسين مظهرهم وسلوكهم والتوسع في إعطاء الوعود وإلهاب الخيال العاطفي عن الحياة الرغيدة السعيدة ، التي تنتظرهم بعد الزواج ، مما يجعل هذه الفترة فترة نفاق وتملق وتظاهر كاذب .

٣ ـ استنزاف وقت ومشاعر وأموال الخاطب في فترة الخطبة الطويلة على الدعوات والهدايا والنزهات كان الأفضل توفيرها للحياة العائلية في المستقبل .

٣ ـ انتهاء هذه الفترة بالاختلاف في كثير من الأحوال نتيجة اصطدام الخاطبين ببعض الظروف الموضوعية المخالفة للأحلام الوردية .

٤ ـ احتمال تورط الخاطبين في علاقات جنسية قبل الالتزام بعقد او

بزواج مما يفرغ الحياة الزوجية إن تمت من أهميتها وخاصيتها .

٥ ـ تكرار تعرف البنت على أكثر من خاطب ثم الاختلاف معه ثم التعرف على غيره وهكذا حتى تكره البنت نفسها وتعيش زهرة عمرها بين مشاريع زواج متتالية .

٦ ـ قد تنتهي الزيجات التي ابتدأت بفترة خطبة طويلة بنفاقها واحلامها الوردية قد تنتهي بالطلاق نتيجة اصطدام كلا الزوجين بالواقع الخالي من الأحلام والمليء بالعمل والجد والكفاح والتساهل مع الآخر واحترامه ، والتنازل عن كثير من العادات والميول السابقة .

وبعد لا مناص لنا بعد أن دحضنا كل الافتراءات والمغالطات عن وضع المرأة في مجتمعنا المسلم ، لا مناص لنا من العودة إلى أخلاقنا الاسلامية وأساليبه في معاملة كل أفراد المجتمع لبعضه البعض ، لأن في ذلك سعادتنا وهناءتنا وعزنا وقوتنا للوقوف في وجه جميع اعداء امتنا المتربصين بنا المستغلين لجهلنا وتمزقنا وضعفنا .

٤ ـ تعطل طاقات الأمة عن الانتاج وصرفها لما سمي الفن :

المظهر الرابع من المظاهر الاجتماعية للتخلف الذي تعيش فيه المجتمعات النامية مجتمعات العالم الثالث يتجلى في انصراف طاقات الأمة عن الانتاج المادي ، إلى ما سمي الفن فما هو هذا الفن الذي يتردد اسمه كثيراً ، وكيف نصلحه ونوظفه في خدمة البلد وتقدمه وازدهاره ، فقد تردد في الآونة الأخيرة قول لاعتبار لقب الفنان لقباً علمياً مهنياً يأخذ دوره ضمن الألقاب المهنية الانتاجية كلقب المهندس والطبيب والمحامي والأستاذ والعمل والمزارع ، علماً بأن كل مهنة وكل لقب انتاجي من هذه الألقاب ، يبنى لمراحل وخطة معروفة ، فحتى نقول أن فلاناً مهندس ،

هذا يعني أنه حصل على الاجازة أو البكالوريوس في الهندسة من جامعة محترمة محددة البرامج والتدريب والامتحانات المختلفة ، وعلى مدى يقارب الخمس سنوات وفيها يلم بكل ما يتصل بعلم الهندسة ومن جميع النواحي ويثبت بالامتحان أنه استوعب ذلك كله وأنه يستطيع تنفيذه وكذلك أن يبدع فيه ، وهكذا بالنسبة لبقية الألقاب العلمية الانتاجية . ولكننا لا نجد ذلك في مفهوم الفن والفنان ، ومن المفيد قبل أن نبحث في الألقاب والمزايا أن نبحث بالمضمون والمنافع التي ستعود على شخص الفنان وعلى مجتمعه ، لذلك لا بد من تعريف الفن والعناصر الأساسية لهذا التعريف حتى نستطيع على ضوئه أن نعتبر الفنان عضواً أصيلاً نافعاً مفيداً مشاركاً في صنع حضارة ورقي مجتمعه ، ويمكننا تعريف الفن الأصيل الحقيقي على أنه (الأحساس المرهف بمواطن الجمال في مخلوقات الله عز وجل والتي هي انعكاس للقدرة الالهية المبدعة خالقة الجمال في الكون ثم القدرة على التعبير عن مواطن الجمال هذه في مختلف الطرق والأشكال وبإطار اخلاقي مما يتضمن محاكاة هذا الجمال على ما ينتجه الانسان بشكل يتضمن الابداع والاتقان التي هي من صفات الخلق الالهي ، وهذا مما يؤهل للاختراع والتجديد في كل مرافق الحياة ويؤدي إلى ارقاء الذوق الانساني متنبهين للمغالطة في فهم الفن كاستخدامه لاغراض غير انسانية أو غير اخلاقية) .

ويمكننا الآن التعرف على عناصر هذا التعريف وهي العناصر التالية :

١ ـ الاحساس المرهف لمواطن الجمال .

٢ ـ الجمال مصدره الهي .

٣ ـ التعبير عن مواطن الجمال باطار اخلاقي .

٤ ـ تقليد القدرة الالهية المبدعة على ما ينتجه الانسان .

٥ ـ الاختراع والتجديد .

٦ ـ الهدف الارتقاء بالذوق الانساني .

٧ ـ التنبه للمغالطة في فهم الفن .

وفيما يلي مزيد من الضوء على العناصر الاساسية في تعريف الفن :

١ ـ الاحساس المرهف بمواطن الجمال: من بدائيات الشعور الفني واول ينابيع التذوق والاحساس العالي هو التأمل في مخلوقات الله في الانسان والحيوان والنبات والطبيعة والسماء والكواكب والنجوم ، إن ذلك كله يؤلف لوحات خالدة عظيمة ابدعتها يد خالق عظيم هو خالق الفن والاحساس به في هذا الوجود . فالانسان بتكوينه ومقاييسه وتناسبه مع التنوع والاختلاف في الملامح واللون واختلافه في مراحل النمو المختلفة كل ذلك يكون معجزة خلقية عظيمة وجميلة والحيوان الذي يختلف في الحجم وفي الشكل وفي الألوان والعادات ، كل ذلك يعطي الانسان تنوعاً وبعداً لا حدود له ، والنبات من عشب وزهر وعطر وسنابل وزروع مختلفة واشجار وثمار وفواكه وخضراوات بديعة في أشكالها وألوانها وكذلك الطبيعة ككل ، بما فيها من جبال خضراء وبيضاء وجرداء ، والأنهار الرقيقة منها والعظيمة والبحار والمحيطات والشمس والقمر ، كل ذلك يؤلف لوحات أبدع الله الخالق صنعها فأتت على أتم ما يمكن مع التغيير والاختلاف ، بفعل الدوران حتى لا يمل الناظر إليها ، والسماء بما فيها من نجوم وكواكب وسدم ومجرات ، لم يزل الانسان حتى الآن قاصراً عن الاطلاع على آفاقها وما تحتويه من عوالم وكائنات فتبارك الله أحسن الخالقين .

٢ ـ **الجمال مصدره الهي** : كما خلق الله كل هذه اللوحات البديعة خلق أيضاً فينا حب التذوق وتعشق النظر في هذه المخلوقات لنستدل بذلك على عظمة هذا الخالق العظيم وبديع صنعه .

٣ ـ **التعبير عن مواطن الجمال بإطار اخلاقي** : يستتبع التذوق للجمال حب التعبير عنه وخاصة فيمن حباهم الله موهبة القدرة على اظهار هذا التعبير ، ويتم ذلك بأشكال وطرق مختلفة فهناك من يستلفته منظر أخاذ في الطبيعة فيعكف على قطعة قماش يشكل عليها من ألوان مختلفة صورة تقارب المنظر الأصلي ويضيف للصورة لمسات شخصية بحيث يركز على ما استلفته أكثر ، ومنهم من ينفعل بهذا الاحساس الفني فيصوغ ذلك قصيدة شعرية رائعة ومنهم من يعبر عن ذلك نثراً ، أو على شكل قصة أو مقالة ، ومنهم من يصوغ تلك الالحان الصافية التي تنبعث من مجرى المياه في الأنهار وتغريد الطيور وحفيف الأوراق بفعل النسيم والرياح فيصوغ ذلك لحناً جميلاً تستريح له النفس وتهدأ ، وكما أن لكل شيء حدود ولا بد من وجود اطار اخلاقي يجب أن يضبط اشكال هذا التعبير .

٤ ـ **تقليد القدرة الالهية المبدعة على ما ينتجه الانسان** : هنا تأتي الوظيفة الانتاجية لهذا الشعور الفني أي توظيفه لخدمة الانسان ولزيادة رفاهيته ، وللمساهمة في تحقيق اهدافه ويأخذ ذلك بشكل انعكاس لهذا التذوق الفني والتعبير عنه على ما ينتجه ويعمله الانسان فيضفي الانسان على أعماله ومنتجاته لمسة جمالية مبدعة ومتقنة .

٥ ـ **الاختراع والتجديد**: هذا الاسلوب وهذه المشاعر تدفع الانسان إلى التحسين والتطوير المستمرين وإلى ابتداع الأساليب الجديدة والمستحدثة مما ينتج عنه ميل إلى الاختراع والتجديد والابتكار .

٦ ـ **ارقاء الذوق الانساني** : هذا التعبير المبدع في محاكاة القدرة

المبدعة الالهية يساعد على مزيد من الارقاء في الذوق الانساني العام ، وبما أنه لم يحرم أي انسان من حب تذوق الجمال وتعشقه ، فكلما انتج من اعطاه الله القدرة على التعبير عن مواطن الجمال ، كلما ازداد مستوى التذوق الفني .

٧ ـ **التنبه للمغالطة في فهم الفن** : يجب أن نحذر من المغالطات في فهم الفن لكثرة ما استخدم الفن لاغراض غير أخلاقية أو في غير صالح الجماعة أو لأغراض هدامة ومن أمثلة ذلك :

أ ـ **الرسم العاري** : صحيح أن الرسم العاري تعبير فني عن مواطن الجمال في خلق الله في جسم الانسان ، وخاصة المرأة ولكن فضحه في شكل صورة مجسمة ملونة مثيرة ، يتضمن هتك ستر وكشف عورة انسانة ما ، ويركز على الشهوات التي نحن في أبعد الحاجة عن تشبيبها والتركيز عليها ، بالاضافة إلى أن هذا النوع من الرؤيا الفنية يجب أن تترك لكل زوج أن يمارسه لوحده دون اطلاع الآخرين عليه .

ب ـ **الرقص وخاصة العاري** : صحيح أنه أيضاً يتضمن تعبيراً فنياً في شكل حركات منسجمة مع لحن يؤدى ولكن مضمونه اضاعة للوقت ، فيما لا طائل فيه وخلق اجواء مناسبة للفساد وللمحرمات وخلق طلب على نساء يمارسن هذا النوع من العمل علنا وللعامة ، الذي يخرج المرأة عن دورها الطبيعي والاجتماعي ويجعلها سلعة تستخدم لاثارة الشهوات في غير مواضعها ، ولتبديد ثروة المجتمع وتساهم في هدم صرح البنيان الاجتماعي الذي يقوم على التعاون والالفة والعلم والعمل المنتج ، مما ييسر على أي عدو أن ينال من هذه الجماعة .

جـ ـ **الغناء الماجن** : إن الغناء والانشاد يجب ألا يكون هدفه التطريب الفارغ ، ولكن هدفه يجب أن يكون نقل القيم والمبادىء الفاضلة المثلى

وغرسها في قلوب الاجيال عن طريق شعر جميل منسق ولحن خفيف جميل ، لا كما نسمع حالياً أغان كثيرة فيها من المجون والفسق وقلة الأدب ما يترفع كل ذي عقل واحترام عن سماعه والالتفات له .

د ـ **الفن لاغراض غير انسانية** : إن استخدام الفن أيضاً ، في اغراض غير انسانية ، يعتبر مغالطة في فهم الفن لاننا يمكن أن ندعو الصيد فناً أي اصابة الاهداف بدقة أما أن نستخدم هذا **الفن** في اصطياد كل الطيور النافعة فتبقى حقولنا . من غير طير ولا يسمع فيها ، أي تغريد فهذه جريمة . وكذلك أن يستخدم هذا الفن فن الصيد لضرب أناس آمنين غير معتدين على أحد مهما كانت الحجج لذلك فهذا عمل أيضاً غير إنساني ولا يمكن أن ندعوه فناً .

ولا بد لنا ، من التنويه بأن الفنان الأصيل هو الذي يثمر فنه فيما يفيد المجتمع وفيما يحقق أهداف الجماعة والقيم المثلى والاخلاقية فيحقق لنفسه انسجامها في تلبية رغبتها في التعبير عن الجمال ويخدم قومه في المساهمة برفع شأنها ، واعلاء كلمتها ، وفي المساهمة في بناء حضارة الانسان على وجه الأرض وفي اعمار الأرض ، تنفيذاً وقياماً بعبء خلافة الله على الأرض التي أوكلها الله للانسان .

٥ ـ مجلس الشورى كتمثيل نيابي سليم للدول النامية(*)

تحار الشعوب النامية في استنباط نظام لانتخاب أعضاء مجلس الشورى كتمثيل نيابي عن مجموع المواطنين في هذه الشعوب يحقق لها الهدف المرجو من هذا المجلس في اتخاذ واصدار تشريعات تخدم تطور

(*)بقلم الدكتور محمد فريز منفيخي

البلد ، وتحقق تنمية مرافقه المختلفة دون الوقوع في مثالب أو اشكالات ناتجة عن الوضع المتخلف لهذه الشعوب اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، ولأن التجارب المختلفة التي قامت بها بعض هذه الدول والتي تعتمد على تقليد الأنظمة المطبقة في مناطق اخرى او من قبل شعوب أخرى ، كلها باءت بالفشل الذريع مما حدى ببعض الدول النامية إلى وقف هذه التجارب بانتظار استنباط النظام السليم الذي يحقق الهدف دون المشاكل ، فما هي الأنظمة المتاحة لعملية انتخاب المجالس التي تمثل المواطنين ولماذا فشلت في الدول النامية ؟

إن مفهوم التمثيل النيابي ، كما هو موجود في بعض المجتمعات المتطورة بشكله النظري ، يقوم على الاسس النظرية التالية :

١ ـ إن أي شعب أو مجتمع لا بد وأن ينظم أمور الجماعة فيه لتأمين حسن سير النظام والتقدم في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية .

٢ ـ الأصل أن يشارك كل افراد المجتمع في اتخاذ القرارات العامة والاجراءات التنظيمية الجماعية ، كالقوانين والأوامر والتوجيهات العامة ، حتى تشتمل هذه القرارات على آراء وخبرات الجميع وحتى يأخذ بها الجميع علماً ويطبقونها ويتحضرون لها .

٣ ـ مع ازدياد اعداد الشعوب تعذر الاجتماع العام واخذ موافقة الجميع ولم يعد بالامكان الاستماع إلى رأي الجميع ولا مناقشتهم .

٤ ـ وبهدف جعل عملية تبادل الرأي والتشاور بين أفراد المجتمع ممكنة ، كان الرأي أن يتم الاجتماع والمناقشة واتخاذ القرار بين ممثلين لهذاالمجتمع، بحيث يجتمع النواب فقط ويتدارسون الأمور العامة ويتناقشون فيها فإذا اقروا نظاماً أو قانوناً محدداً ، يتم تطبيقه على جميع افراد المجتمع استناداً إلى أن النواب قد وافقوا عليه .

٥ ـ يتم اختيار النواب على اساس تقسيم البلد والمجتمع إلى اقسام ، يتطوع اكثر من شخص عن كل قسم كمرشحين ليكونوا هم نوابا لقسمهم في اتخاذ القرارات العامة ثم يتاح لجموع المواطنين في الاختيار بين من رشحوا انفسهم لانتقاء العدد المطلوب فقط عن كل قسم ، والمرشح الذي ينال أعلى الأصوات يعتبر ممثلاً لمواطنيه في قسمه لنقل آرائهم واهتماماتهم ومشاكلهم ، ولاتخاذ القرارات على ضوئها وليساعدهم في حل مشاكلهم المختلفة .

٦ ـ يكون النواب المنتخبون من المواطنين ، مجلساً يتم فيه اتخاذ القرارات العامة والتي تبلغ للناس لتنفيذها والتقيد بها .

هذا الأسلوب يتضمن عدداً من الافتراضات الضمنية حتى يتحقق نجاحه ، بحيث أن عدم تحقق أي من هذه الافتراضات الضمنية تبطل الصفة التمثيلية الصحيحة لمجلس النواب ، وتبطل بالتالي امكانية تطبيق هذا الاسلوب في الدول النامية ، وهذه الافتراضات الضمنية هي التالية :

أ ـ يفترض بالمتقدمين للترشيح للنيابة عن المواطنين أن يكونوا أكثر الناس خبرة وعلماً وحكمة وفي تخصصات متنوعة ، ليتمكنوا من مناقشة واصدار القوانين والاجراءات التنظيمية السليمة والمتعلقة بجميع شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ولحل جميع المشكلات واتخاذ انسب الاجراءات .

ب ـ أن يتمكن المرشح الكفء من الدخول في عملية الانتخاب ، ويتمكن من عرض آرائه. وأفكاره على الناس ليساعدهم في انتقاء الأصلح لهذه العملية النيابية ، ولو لم تكن احواله المادية تتيح له الانفاق على حملة انتخابية واسعة .

جـ ـ أن تتم عملية الانتخاب بنزاهة وحيدة كاملتين ، بحيث تنعكس

من خلالها رغبة الناس الحقيقية في انتخاب من اقتنعوا عن علم وتبصر بكفاءته وحكمته وعلمه ، وتمكنه من النيابة عنهم ، في اتخاذ القرارات .

ولكن هل ايد تنفيذ هذا الاسلوب في الواقع هذه الافتراضات الضمنية ؟ وهل تحقق الهدف من هذا الاسلوب في انتخاب اعضاء مجلس التمثيل النيابي وخاصة في الدول النامية ؟ للاجابة على هذا السؤال سنلخص ما وقع فعلاً في بعض الدول النامية التي اعتمدت هذا الاسلوب في التمثيل النيابي :

يترشح للنيابة من يجد لديه الامكانات المادية للصرف على حملة انتخابية واسعة النطاق تؤثر على الناخبين وتدفعهم لانتخابه لا على أساس كفاءته وامكاناته الذاتية ولكن بتأثير من دعايته الواسعة التي قد تتضمن كثيراً من الاضاليل او الوعود الكاذبة .

وإذا كان المرشح ينتمي لتنظيم جماهيري معروف فيستطيع هذا التنظيم الجماهيري أن يوصل المرشح للمجلس النيابي ، اما إذا لم يكن المرشح من تنظيم جماهيري ينتخبه فإنه يسعى للاتصال بما أصبح يسمى بالمفاتيح الانتخابية وهي الجهة أو الجهات التي لها تأثير على مجاميع بشرية تأتمر بأمرها وتنفذ رغباتها بهدف تأمين مصالح متبادلة بين هذه المفاتيح الانتخابية وبين المرشح الراغب في النجاح والوصول للمجلس النيابي ، حتى وصل الأمر ببعض المرشحين إلى حد الاعتماد على تنظيمات لمجرمين ومهربين وخارجين على القانون يدعمون المرشح مادياً ومعنوياً حتى يدافع عنهم ويحاول حمايتهم حال نجاحه للمجلس النيابي على اكتافهم .

بما أن اكثر من ٧٠٪ من سكان العالم الثالث من المزارعين ونسبة الأمية في هذه المجتمعات المتخلفة اكثر من ٩٠٪ فكيف نثق بامكانيتهم

في التمييز الكفء والاكفاء أو بين الصالح وغير الصالح أو بين الدعي المخادع وبين الذي يستطيع خدمة الجماعة ورعاية امورها بنجاح وتوفيق ونقل آرائهم وهمومهم وحل مشاكلهم .

وقد تعمد السلطة السياسية للتدخل في عملية الانتخابات لصالح بعض المرشحين ضمانة لاستمرارها واستمرار تأييد النواب لها . وهكذا يتم انتخاب المجالس النيابية في كثير من المجتمعات المتخلفة فنجد في هذه المجالس ممثلي السلطة وممثلي المصالح المادية ومحبي الشهرة والظهور والسفسطة بحيث أن المصالح الحقيقية للمواطنين غائبة عن اهتمامات هؤلاء الناس .

وعند مناقشة بعض القوانين التي تحتاج إلى خبرة ودراسة علمية يعمد المجلس إلى إحالة الموضوع إلى لجنة تضم بالاضافة لبعض النواب الخبراء والفنيين من خارج المجلس بهذا انتفت الحاجة للمجلس في صلب تخصصه وعمله وكان يمكن الاستغناء عن المجلس كلية والاكتفاء بلجان الخبراء لتقرير المشاريع الجيدة ولكن أين التمثيل الحقيقي للمواطنين .

وهذه حادثة واقعية تؤيد ما ذكرناه عن الوضع السيء لعملية الانتخابات المطلقة[1] :

من المعروف أنه عند حلول موعد الانتخابات العامة تشتد السواعد وتنشط الهمم وتوضع الخطط وتجرى المساومات وكلها تهدف إلى ايصال المرشح المحظوظ إلى كرسي النيابة المركز الذي تصبو اليه نفوس

---

(١) القاضي محمود نعمان ، من أرشيف القضاء ، اسمهم مفتاح انتخابي وحرفتهم شهادة الزور ، مجلة الحوادث ، العدد ١٢٠٥ تاريخ ١٩٧٩/١٢/٧ ص ٦٨ .

المثقفين والباحثين عن الثروة والمجد والحياة ، يبدأ المرشحون بالحركة عند اقتراب موعد الانتخابات فيسعى كل مرشح لازاحة منافسه من الميدان بالحسنى والتفاهم اولا ثم بطرق يتقنها محترفو الانتخابات ومعاونوهم ممن نسميهم المفاتيح الانتخابية والمفتاح الانتخابي رجل عركه الدهر ويعرف خبايا الأمور والاتجاهات السياسية المختلفة في المنطقة ويعرف كيف يسوق العامة لمصلحة سيده المرشح العتيد وهو خبير بالوسائل التي توصل المرشح إلى كرسي النيابة وما على المرشح سوى أن يدفع النفقات وأن يكون كريماً سمحاً معطاء وأن يذهب معه لزيارة أصحاب النفوذ والتأثير في المنطقة ، وأن يعرف كيف يبتسم للجميع ويعدهم بالمن والسلوى ، وعليه فوق ذلك ، أن يتحمل الكلام غير اللائق الذي يتفوه به أحياناً من يحضرون مجلسه او يزورهم في بيوتهم ويمسح ما يسمعه بجلده بدون عصبية وأن يعتنق مبدأ (التمسحة) وفي احد المناطق ظهر مرشحان كل منهما ينتمي إلى عائلة تحتل مركز القيادة في تلك المنطقة ولا ينقصها المال ولا الوجاهة كان كل منهما يعد نفسه بالنيابة لأن كلا منهما لديه عدد كبير من المفاتيح الانتخابية في القرى المجاورة يثق بهم ويعتمد عليهم . واقترب موعد الانتخابات وظهر الحماس على المرشحين وشرعا مع مفاتيحهما الانتخابية بالزيارات الدعائية المعهودة لمؤيديهم في القرى وبدا كل منهم ينثر الوعود على الناس ويوزع المناشير التي تحمل برنامج خطته في العمل وهي طافحة بالمشاريع العمرانية للمنطقة . وقد علم كل من الطرفين بنشاط مفاتيح خصمه الانتخابية وتنقلاتهم في القرى ، فضاق صدره بهذا النشاط المتزايد فاجتمع أحد من المرشحين برجاله هؤلاء المسمين بالمفاتيح الانتخابية ، ودرسوا الوضع وبعد حساب دقيق وجدوا بأنه اذا ترك هؤلاء المفاتيح يستميلون الناخبين بهذه الهمة لمصلحة الخصم فإن الحالة تنذر بالخطر ومهما تكن الحزبية عنيفة ومطمئنة لمصلحتهم فإن المال ذو تأثير

كبير ودور عظيم في النفوس خصوصاً وأن الفقر هو الغالب في أرجاء المنطقة وقد كاد أن يكون كفراً . وجد المجتمعون أن احسن خطة للخلاص من الخصم هي في ابعاد مفاتيحه الانتخابية عن الساحة يوم الانتخابات وقام احد خبرائهم قال إن هذا الامر يسير وما علينا إلا أن نلفق دعوى بحق هؤلاء المفاتيح وندعى أنهم حملوا السلاح الحربي واطلقوا النار على الآمنين وعندئذ تزجهم السلطة في السجون وتخلو لنا الساحة ويكون الفوز عظيماً على أن يتم ذلك بأسرع وقت ممكن فنحن على أبوب الانتخابات وادركنا الوقت . وراقت الفكرة للمرشح العتيد ووضعت خطة العمل وتقدم المرشح بشكوى للنيابة العامة يدعي فيها أن مفاتيح خصمه وعددهم ١٥ شخصاً هاجموه في بيته ليلاً واطلقوا النار عليه وعلى رجاله من بنادق حربية كانوا ينقلونها دون ترخيص وعلم المرشح الآخر بالخطة من أولاد الحلال الذين ينافقون على المرشحين وفهم الغاية من الدعوى فاجتمع هو ايضا بمفاتيحه الانتخابية وقرر الجميع الرد على هذا الموقف بموقف مثله وعليه فإن المرشح الآخر أقام دعوى بدوره على مفاتيح خصمه وعددهم عشرون شخصاً واتهمهم بنقل السلاح الحربي واطلاق النار والاخلال بالأمن ومهاجمة بيوت الآمنين ليلاً وتهديدهم بالقتل إلى غير ما هنالك من اتهامات . وبدأ تحقيق الدرك أولا ، ثم التحقيق العدلي وقدم كل من الفريقين شهوده وبلغ عددهم الثلاثين وجرى الكشف على بيوت المدعى عليهم من كلا الفريقين بيتاً بيتاً فلم يعثر على أي سلاح أو ذخيرة احيلت القضية امام المحكمة المختصة وعينت المرافعة وكبر الملف حتى صعب على الكاتب حمله . . . . . .

ورافع المحامون باندفاع كلي وكال كل حزب لخصمه التهم من تخويف المواطنين وارهابهم بالسلاح واطلاقه عليهم وأنه لم يعد من الجائز السكون عن هذه الأفعال التي تتكرر يومياً حرصاً على الأمن وطلب

النائب العام تطبيق القانون دون أن يتحمس لما سمعه أمامه فقد بدا هو ايضاً يفهم روح القضية وملابساتها وخيوطها التي نسجت في الظلام . واختلت المحكمة للمذاكرة وروجعت حصيلة التحقيقات فظهر أن هناك اتهامات متبادلة لم يسندها أي دليل حسي أما الشهادات ففيها من المتناقضات والتأكيدات غير المعقولة ما يجعل الشك يخيم على الوقائع التي ادلى بها الطرفان ثم أين السلاح الذي ذكروا أنه كان في أيدي المعتدين واين الذخيرة الحية والفارغة لم يجد رجال الدرك منها شيئاً وبما أن القانون اعطى المحكمة حق تقدير الشهادات التي يدلي بها الشهود أمامها فلها أن تقبل بها إذا طمأن وجدانها لصحتها أو أن ترفضها ولو صدرت عن ألف شاهد وقد قضت آخر الأمر باعلان براءة الجميع لوجود الشك وضعف الدليل بعدما اتضح لها بأن كل فريق يريد الايقاع بخصمه للخلاص منه في الانتخابات التي بات موعدها قريباً .

وخرج الجميع واجمين كمن لقي حساب الحقل غير منطبق على حساب البيدر وفي اليوم التالي صادف أحد القضاة الذين حكموا في القضية أحد المفاتيح الانتخابية الذين حكم ببراءتهم فابتسم المفتاح ابتسامة ذات معنى وبعد الشكر على البراءة قال للقاضي : (الظاهر أن المقلب ما مر عليكم يا سيدنا وكشفتونا على حقيقتنا والله يا سيدنا كلنا كنا عم نكذب وما حدا منا حكى الحقيقة والمحكمة كانت على حق في ما فعلت ولكن قاتل الله السياسية ، السياسة يا سيدنا ما لها دين ولا يخيفها يمين وما دخلت شيئاً إلا أفسدته) . .

إلا أنه من الضروري أصلاً اشراك المواطنين في اتخاذ القرارات العامة فكيف نوفق بين ما وصل إليه اسلوب التمثيل النيابي القديم من فضل وبين الحاجة إلى تمثيل حقيقي لمصالح جميع المواطنين دون أن نقع في

شرك الدجل السياسي ودون أن يصل الانتهازيون وأصحاب الأموال والأغراض عوضاً عن المثقفين والمخلصين من ابناء البلد .

ويمكن اقتراح النظام التالي لعملية انتخاب ممثلين حقيقيين لجميع فئات المواطنين وللخبراء اللازمين لجميع عمليات الدراسة واتخاذ القرارات وتشريع القوانين :

تقوم الفكرة الجديدة على أساس تمثيل جميع فئات المواطنين المتمايزة عن بعضها البعض ولكن متجانسة فيما بينها في المصالح والأهداف والسلوك فيمكن أن يتم انتخاب ممثلين عن جميع هذه الفئات ليكونوا اعضاء في المجلس التشريعي عن طريق نقاباتهم أو تنظيماتهم المهنية بالانتخاب الديموقراطي الحر بذلك نضمن تمثيل كل المواطنين المصالح المشتركة ويتم بالتالي نقل آرائهم واهتماماتهم ويكونوا ممثلين حقيقيين للمواطنين لا محترفي دجل سياسي أو مدعومي جهات مجهولة التمويل والأغراض وقد تكون غريبة كلية عن مصالح مواطني البلد الحقيقية ، ويمكن أن نذكر فيما يلي الفئات التي نقترح أن يتألف منها المجلس التشريعي من مجموع ممثلي النقابات والمنظمات المهنية ونضيف إليهم ذوي الخبرة والعلم والاختصاص ليشاركوا بعملهم وخبرتهم واختصاصهم في صياغة القوانين والقرارات والاقتراحات وتنظيم الأمور ودفع البلد نحو التقدم والتنمية بذلك يجتمع في مجلس واحد نواب حقيقيون للمواطنين تم انتخابهم في مراكز أعمالهم ومن قبل من يعرفونهم جيداً وبذلك استبعدنا الوصوليين والانتهازيين عن المجلس الذين همهم الوصول إلى المجلس لتمثيل مصالحهم وانانيتهم ، ويجتمع أيضاً في هذا المجلس الجديد أهل الخبرة والعلم الذين يستطيعون مساعدة النواب في صياغة قرارات حكيمة علمية بعيدة عن الهوى والجهل ، ويمكن أن نحدد فيما يلي فئات المواطنين والعدد المقترح لتمثيليهم في المجلس النيابي

التشريعي الجديد وكذلك فئات العلماء والعدد المقترح منهم ويتم اختيارهم من الراسخين في العلم والخبرة والاختصاص دون هوى أو مصلحة في اختيارهم ويمكن اختيارهم عن طريق جمعياتهم المتخصصة ونقاباتهم إن وجدت أو بالانتخاب الحر فيما بينهم .

التنظيمات الشعبية		العلماء	
الفئة	العدد	الفئة	العدد
المزارعون	١٥	علماء الشريعة والقانون	٥
عمال القطاع العام	١٠	علماء الاقتصاد	٥
عمال القطاع الخاص	١٠	علماء الاجتماع	٥
ربات البيوت	٥	علماء النفس	٣
الصناعيون في القطاع الخاص	١٠	علماء تحليل تاريخي	٤
الصناعيون في القطاع العام	١٠	علماء هندسة فروع مختلفة	١٥
الطلاب من مختلف المراحل	٥	علماء الصحة	٥
الحرفيون	١٠		
المتقاعدون مدنيين وعسكريين	٣		
تجار الجملة والتجزئة	٤		
	٨٢	+ ٤٢ =	١٢٤

وبذلك يتشكل المجلس التشريعي الجديد من أربع وعشرين ومائة نائب ، ٦٦٪ منهم أي ثلثيهم من ممثلي التنظيمات الشعبية و٣٤٪ منهم أو الثلث ممثلي العلماء والخبراء .

٦ ـ فقدان الاخلاق الاسلامية ذات المردود الاقتصادي :

المظهر السادس من المظاهر الاجتماعية للتخلف الاجتماعي

والاقتصادي الذي تعيش فيه مجتمعاتنا ، هو فقدان الاخلاق التي أمر بها الإسلام والتي هي في نهاية الأمر لصالح الانسان نفسه ولتنظيم حياته التنظيم الأمثل ، وخاصة منها الأخلاق التي إذا اتصف بها جميع أفراد المجتمع عادت عليهم بالخير المادي الوفير على الأفراد وعلى المجتمع كله ومن هذه الأخلاق :

آ ـ **الحرص على الوقت**: إن أغلى كنز لدى كل إنسأن هو عمره ، أي عدد السنوات التي منحها الله للانسان في هذه الدنيا ليستغلها في عمل الخير لنفسه وفي حياته على الأرض وفي حياته في الدار الآخرة . فإن نجح سعد في الحياتين وإن أساء أو فشل أو أهمل أو تقاعس حلت عليه المهانة والذل في الدنيا ، وواجه مصيراً سيئاً في الدار الآخرة هذا الكنز الذي هو عمر الانسان ، يتألف من عدد من السنين التي هي عدد من الأيام ، والتي هي بالتالي ، عدد من الساعات والدقائق واللحظات فكل ثانية تمر دون استثمارها استثماراً جيداً ناجحاً ستكون عليه حسرة وندامة ، حين لا ينفع الندم ، إذ سيجد نفسه قد شاخ وهرم وضعف عن العمل والكسب ، ولا مورد له ولا ولد صالح له يعينه، ولا احترام له في اسرته ومجتمعه . فإذا أصبح لدى الانسان بدافع من الايمان ، خلق الحرص على الوقت واستغلاله استغلالاً ناجحاً يسعد في حياته وينجح في كسب رزق دنيوي واسع ويضمن لنفسه رصيداً من الأعمال الصالحة يجده عند الحساب الختامي ليحدد مصيره الازلي أما سعادة ابدية وأما شقاء مقيم .

ب ـ **المحافظة على الوعد** : إن الذي يفقد خلق الوفاء بالوعد يكون قد حصل على ثلث النفاق بنص حديث النبي ، فكيف يكون مسلماً من لا يفي بوعوده للناس مهما كان هذا الوعد تافهاً وحقيراً وصغيراً ، أو كان وعداً هاماً وعظيماً ، ثم كيف ينجح في حياته الدنيوية من خلقه الاخلال بالوعد ، وخاصة إذا اشتهر بذلك فيصبح منبوذاً في مجتمعه فاشلاً في

حياته ؟ إن النجاح في الأعمال الصناعية والتجارية والزراعية ، وأي عمل آخر يتطلب حتماً المحافظة على كل الوعود ، وعود الانتاج والتسليم واداء الحقوق والتعامل مع الآخرين ، واهم وعد على الانسان أن يفي به هو وعده لله عز وجل بالاستقامة على الحق والتقوى والتسابق على الخير وأهم الخير دعم وتقوية الدين وأهله علمائه وطلابه ومحبيه .

جـ ـ الصدق : الثلث الثاني من النفاق هو الكذب ، فلا يمكن للكاذب أن ينجح في حياته أبداً ولو حصل بعض المنافع في بداية طريق الكذب إلا أن طريق الكذب مسدود ، ولا بد من افتضاح أمر الكاذب وانفضاض الناس عنه وبالتالي فشله في حياته وأن يحشر يوم الحساب مع المنافقين الذين لهم شر مكان وشر مصير .

د ـ تأدية الامانة : الثلث الثالث من النفاق هو عدم تأدية الامانة لصاحبها فإذا برهن الانسان على امانته وثق به الناس وعاملوه واعطوه اموالهم وفتحوا له بيوتهم وهذا هو سبيل النجاح الاقتصادي المادي أيضاً .

هـ ـ احترام جميع الناس وتأدية حقوقهم والاحسان اليهم : أمر الدين باحترام جميع الناس غنيهم وفقيرهم عظيمهم وحقيرهم وأمر بعدم استغلال أي انسان سواء أكان انسانا بسيطا غشيماً لا يستطيع ادراك الألاعيب والفخاخ أو عدم استغلال مركز القوة لتحقير الآخرين واستغلالهم بغير وجه حق فإذا لزم للمؤمن استئجار العمال وجب عليه تأدية حقهم بدون بخس أو استغلال قبل أن يجف عرقهم والاحسان إلى محسنهم والعفو والصفح ضمن حدود الامكان للمسيء منهم إذا رجي منه الاصلاح والا فتسريح باحسان ، وكذلك التغافل عن المسيء والعفو عند المقدرة بل الاحسان إلى المسيء ، فإذا سادت هذه الأخلاق بين الناس فأي مجتمع هذا وأي سعادة ينعمون بها بين بعضهم البعض ، مع عدم التدخل في

خصوصيات الآخرين والتستر عليهم ومساعدتهم بالخفاء وبذل المساعدة لكل الناس مع تأدية حقوق الجماعة من مال من أنعم الله عليه وهي حقوق الزكاة والصدقات والبر والاحسان .

ومن عجائب الأمور ، ان الحضارة الغربية المادية قد وصلت إلى هذا التقدم المادي باعتماد هذه الأخلاق الحسنة ولكنهم لم يصلوا اليها عن طريق الدين الإسلامي ولكن عن طريق العقل الفطري السليم وتخلقوا بها وربوا عليها أطفالهم . وعندما عادت المجتمعات الإسلامية في الفترة الماضية إلى اقتباس حياة الغرب ونجاحاتهم قلدت هذه المجتمعات المتخلفة الغرب في مباذله وفي سقطاته وفي سيئاته وتركت علومه وتعبه وأساليب تحصيل هذه العلوم والحضارات وتركت أيضاً هذه الأخلاق الاجتماعية التي تتفق مع الدين وهي من أسباب نجاح الغرب في بناء حضارة مادية مزدهرة ، ولقد حاولنا تفسير أسباب ذلك في الفصل الأول السابق .

ثانياً ـ المظاهر الاقتصادية للتخلف :

بعد أن استعرضنا جملة من المظاهر الاجتماعية للحالة السائدة في أغلب المجتمعات التي يدعي سكانها الانتماء إلى الدين الإسلامي ، وهي الحالة التي أطلق عليها حالة التخلف وسميت المجتمعات هذه بالمتخلفة ، لا بد من استعراض بعض مظاهر التخلف الاقتصادي وهي المظاهر التالية باختصار :

١ ـ **انخفاض مستوى الدخل الفردي الحقيقي** : يعتبر انخفاض مستوى الدخل الفردي الحقيقي أو قلة ذات اليد أو الفقر العام من أكثر المؤشرات شيوعاً في الدلالة على التخلف الاقتصادي ويعبر هذا المؤشر

عن متوسط كمية السلع والخدمات المتاحة للفرد أو بالاحرى عن مستوى رفاهية الفرد المادية ويختلف الاقتصاديون في تصنيف الدول إلى متقدمة ومتخلفة وفقاً لمتوسط الدخل الفردي فيها فمنهم من يعتبر الدولة متخلفة إذا كان معدل دخلها الفردي أقل من المتوسط العالمي ومتقدمة إذا كان معدل الدخل الفردي فيها أعلى من المتوسط العالمي ، ومن المقاييس الأخرى التي يستعملها الاقتصاديون بدلاً من الدخل الفردي أو بالاضافة إليه عدد الحريرات المستهلكة ومصادرها فالبلاد المتقدمة وفقاً لهذا المعيار هي التي يستهلك فيها الفرد أكبر كمية من الحريرات من مصادر غذائية مختلفة ومتوازنة والبلاد المتخلفة وفقاً لهذا المعيار هي التي يستهلك فيها الفرد أقل من متطلباته الحقيقية من الحريرات وغالباً ما تأتيه من مصدر غذائي واحد أو أكثر .

٢ ـ **عدم التناسب في توزيع الدخول** : من المؤشرات الأساسية أيضاً على التخلف التفاوت الكبير في توزيع حصيلة الانتاج القومي من جهة والثروة القومية من جهة ثانية ويلاحظ أن أكثر الدول المتخلفة فيها طبقة غنية قليلة العدد وطبقة فقيرة تشمل القسم الأكبر من السكان مع اتساع الشقة بين هاتين الطبقتين ، ومن هذا يتضح لنا أن استعمال متوسط الدخل الفردي لا يعني أن جميع الأفراد يحصلون على هذا الحجم من الدخل فاعتبار أن هذا الحجم ليس هو في الواقع إلا متوسطاً فقط يحصل عليه عن طريق تقسيم الدخل القومي على عدد السكان ، وقد يتساءل احدنا عما إذا كان توزيع الدخل أمراً مفيداً لزيادة الادخار باعتبار أنه يضع القسم الأكبر من الموارد القومية في أيد قليلة لا تستطيع استهلاكها ، والجواب على ذلك أن سوء توزيع الدخل من شأنه أن يترك قسماً كبيراً من السكان دون المستوى المعاشي الأساسي ، وبالتالي دون امكانية الادخار ، هذا من جهة ومن جهة ثانية أن الزمرة الغنية في البلاد المتخلفة غالباً ما تستثمر

أموالها في العقارات والمراهنات دون الشركات الصناعية والهيكلية .

٣ ـ البطالة الهيكلية وقلة العمالة الماهرة : لا تنشأ البطالة في البلدان المتخلفة عن التغيرات الموسمية في العمل المتاح أو التغير في فنون الانتاج أو الانتقال من صناعة إلى أخرى بل هي في أساسها تعبير عن قصور العمل المطلوب عن العمل المتاح ، كما تزداد قوة العمل في البلدان المتخلفة بمعدلات كبيرة نتيجة أزدياد السكان بمعدلات أكبر من تلك المشاهدة في البلدان المتقدمة وبالاضافة إلى ذلك يلاحظ ارتباط قسم كبير من قوة العمل في الزراعة وانتشار البطالة المقنعة فيها ، حيث لا تتيح الموارد الطبيعية استغلال كامل القوة العاملة استغلالاً كاملاً ويصاحب هذه البطالة قلة عدد الخبراء والفنيين والعمال المدربين الأمر الذي ينشأ عنه هبوط نصيب العامل من الانتاج أو بالاحرى هبوط الانتاجية العامة لدى السكان .

٤ ـ عدم كفاية التجهيزات الرأسمالية : إن من أسباب البطالة بصورة أساسية عدم كفاية التجهيزات الرأسمالية في البلاد فالآلات والسلع الرأسمالية نادرة نسبياً ولا تتناسب مع قوة العمل المتاحة ولا مع ما هو مطلوب لتطوير موارد البلاد وثرواتها .

٥ ـ بدائية طرق الانتاج وسيطرة التقاليد عليها : تلاحظ بدائية طرق الانتاج بصورة خاصة في الزراعة والأعمال المتصلة بها ومن الأمثلة نضرب على انخفاض الانتاجية في البلاد المتخلفة أنه يلزم في الزراعة من شخصين إلى عشرة اشخاص لانتاج ما يكفيهم من المواد الزراعية بالاضافة إلى شخص واحد آخر لا يعمل معهم أما في الدول المتقدمة فإن الفلاح الواحد ينتج لنفسه ولنحو **٢٣** شخصاً آخر أيضاً ما يكفيهم من المواد الغذائية .

٦ ـ **سوء استثمار الثروات الطبيعية** : من الصفات الأساسية للمجتمع المتخلف سوء استثمار ثرواته الطبيعية فالأرض التي هي مصدر أساسي من مصادر حياته لا تستثمر إلا بالشكل المؤدي إلى اضعاف قوتها الانباتية والقضاء على مقوماتها وتركيبها الطبيعي فالفلاح لا يعيد بناء تربته عن طريق التسميد ولا يحافظ على خصوبتها عن طريق الصرف واتباع الدورات الزراعية والمصادر المائية لا تستثمر الاستثمار الامثل بل يترك معظمها يذهب هدراً دون الاستفادة منه في ري الأراضي القريبة من منابع ومجاري الأنهار التي لا يستفاد منها في توليد القدرة الكهربائية والاحراج تستأصل بدلاً من أن تستثمر أو تستغل الاستغلال الكافي وهكذا نرى أن الثروات الطبيعية للوطن تضيع بين الهدر وسوء الاستثمار . ويحاول بعض الاقتصاديين القول بأن عجز الموارد الطبيعية في علاقتها مع عدد السكان هو مؤشر من مؤشرات التخلف والواقع أنهم بذلك يخلطون بين الفقر والتخلف فعجز الموارد الطبيعية أو قلتها بالنسبة لعدد السكان يعتبر فقراً بالنسبة للبلد أما سوء استثمارها أو عدم كفاية هذا الاستثمار بالرغم من ضرورته فيعد تخلفاً .

٧ ـ **الاختلال الهيكلي للسوق** : يلاحظ في البلدان المتخلفة اقتصادياً فقدان الاسواق الداخلية أو صغرها وعدم تنظيمها مما أدى إلى قصورها عن القيام بدورها في دفع عملية الانتاج والتنمية الاقتصادية ويتجلى الاختلال الهيكلي للسوق في العوامل التالية :

ـ عدم قابلية تنقل عوامل الانتاج . ـ تصلب الاسعار

ـ الجهل في مجالات السوق وامكاناته . ـ جمود النظام الاجتماعي .

ـ نقص التخصص .

وقد ادت هذه العوامل في أغلب الأحيان إلى عدم تحقق التوزيع الأمثل للموارد المتاحة .

٨ ـ **التبعية الخارجية مع الحاجة إلى القطع الأجنبي وازدياد المديونية الخارجية** : تتصف أكثر البلدان المتخلفة باعتمادها على محصول واحد زراعي في أكثر الاحيان الذي يتوقف تسويقه بالدرجة الأولى على الاسواق الخارجية التي تتحكم بأسعاره إلى حد كبير ويعتبر هذا المحصول المصدر الأساسي لتمويل مستوردات هذه البلدان من الخارج . ولا تكفي موارد المحصول الواحد في أغلب الأحيان لسد حاجة البلدان المتخلفة من المستوردات خاصة في حالة تدني حد التجارة الخارجية مما يضطرها إلى الاقتراض من العالم الخارجي للتعويض عن هبوط دخلها من القطع الأجنبي ولسد حاجتها المتزايدة من الموارد الضرورية .

ولقد أقام المستعمرون نوعاً آخر من التبعية الخارجية عندما استولوا على الاسواق الداخلية للبلاد المستعمرة مصدرين موادها الأولية إلى البلد المستعمر لتصنيعه وإعادة تصديره من هناك ، مثل تونس فقد استولى الفرنسيون على جميع الأراضي الزراعية الجيدة وصدروا انتاجها وخاصة الزيتون إلى فرنسا التي كانت السوق الأول لهم والتي منها كان يصدر زيت الزيتون إلى الخارج ومثل الجزائر في كرومهم ومصر في قطنهم والدول العربية في بترولها والأفريقية الأخرى في زراعاتهم وغاباتهم الطبيعية .

٩ ـ **النقص في المسح الاقتصادي والاجتماعي** : من مؤشرات التخلف الأساسية أيضاً نقص أو فقدان المعلومات المتعلقة بالموارد الطبيعية والبشرية ففي أكثر هذه البلدان لا توجد خرائط جيولوجية من شأنها تبيان مصادر الثروات الصخرية أو المعدنية أو البترولية كما يلاحظ أنه لا توجد فيها دراسات عن مدى إمكانية استثمار الثروات المائية والحراجية

بالاضافة إلى فقدان المعلومات عن السكان وتركيبهم العمري والاجتماعي والثقافي والاقتصادي وبعبارة أخرى أن نقص الاحصاءات المتعلقة بمختلف الظواهر الاقتصادية والاجتماعية في بلد من البلدان يعد ظاهرة من ظواهر التخلف .

١٠ ـ **نظرة الشعب إلى نفسه** : من المؤشرات التي تؤخذ أحياناً في الحسبان عند تصنيف البلدان إلى متقدمة ومتخلفة الطريقة التي ينظر بها السكان إلى أنفسهم والمكان الذي يضعون أنفسهم فيه فبعض اللبنانيين يرفضون تصنيف بلدهم مع البلدان المتخلفة كما اننا نرى في بعض الأحيان بلدانا ذات دخل فردي مرتفع إلا أنها مع ذلك تشعر بروابط خاصة تشدها إلى البلدان المتخلفة لعدم التوازن في بنيانها الاقتصادي أو لتماثل الاتكالية أو الجمود في شعبها مع ما هو موجود في البلدان المتخلفة .

١١ ـ **عدم توفر الادارة الصالحة لتنظيم جهود الجماعة** : ومن مؤشرات التخلف عدم توفر الادارة الصالحة التي تعمل على تنظيم جهود الجماعة وتوجيهها الوجهة الصحيحة لتحقيق الأهداف التي ترمي إليها ، للسير قدماً نحو حياة أفضل لذلك نرى أن التخطيط الاقتصادي والاجتماعي قد شاع استعماله في البلدان المتخلفة أيضاً كوسيلة للقضاء على فقرها ودفعها في معارك التنمية .

كما يمكن تعداد صفات أخرى ، مثل ازدياد السكان وانخفاض المستوى الصحي ويمكن في النهاية تعريف الاقتصاد المتخلف كما يلي :

(انه المجتمع الذي لا تستثمر فيه الطاقات الانتاجية المتاحة له ، بالدرجة التي تمكنه من تلبية متطلبات أفراده ولا تستخدم في عملية الاستثمار هذه الأساليب والطرق الانتاجية الحديثة ، التي من شأنها رفع الانتاجية وانقاص الكلفة مع الحفاظ على مصدر الثروة وتنميته) .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث

الإطار الفكري للنظام الإقتصادي الإسلامي

بعد أن بينا في الفصل الأول بعض موجبات التقدم والسعادة ، وبينا أهمية اكتشاف الطرق العلمية ، وفصلنا كيف تحقق النجاح في كل أمر من أمورنا الدنيوية والأخروية ، وأجبنا على السؤال الحيوي ، هل تتعارض الحرية مع العقيدة ؟ وبينا كيف أن الحرية الحقيقية للانسان هي في تحرره من اسار شهواته وغرائزه وأنانيته وكذلك في عبوديته العبودية الحقة لله عز وجل ، وأن مجال حريته هو ضمن اطار الشريعة الاسلامية ، اذا اعتقد مختاراً بالعقيدة الاسلامية ، ثم انتقلنا في الفصل الثاني لبيان مظاهر تخلف العالم الاسلامي فقسمناها إلى قسمين هما : المظاهر الاجتماعية للتخلف ، حيث فصلناها واقترحنا بعض الحلول لها ، والمظاهر الاقتصادية لتخلف العالم الاسلامي .

وفي الفصل الحالي ، سنحاول التعرف على ما سميناه الاطار الفكري للنظام الاقتصادي الاسلامي ، ونعني بذلك ، من أين يستقي المسلم مبادىء حياته الاقتصادية ؟ هل ينظمها كيف شاء ؟ هل ينظمها دافع المصلحة والربح ؟ هل ينظمها مبدأ الحرية البهيمية المطلقة في التصرف وفق الهوى والشهوة والأنانية ؟ أم هل نطبق المبادىء الغربية التي وضحت

مثالبها وعيوبها وحار اصحابها في وصف العلاج الناجع لأمراضها ونقاط ضعفها ، بشقيها الرأسمالي والشيوعي . إذن من أين سيستقي المسلم اسس حياته الاقتصادية حتى يتغلب على التخلف في المرحلة الاولى ثم يحقق التقدم ، ويبني حضارة مزدهرة قائمة على أسس دينه القويم أو على الأقل لا تتعارض معها . إن المصدر الوحيد والأول للشريعة الاسلامية والذي يعتبر دستور حياة المسلم في جميع شؤونه (هو القرآن الكريم) كلام الله ووحيه إلى رسوله الأمين ، الذي بلغه إلى الأمة العربية وأقنعها به ، ونظم شؤونها على أساسه بنجاح فائق وخلال حياته الاسلامية التي لم تدم أكثر من ثلاث وعشرين سنة . ولذلك يعتبر القرآن الكريم دستور حياة المسلم ومنظم أموره والحكم الفصل في قراراته ، طالما قبل بمحض اختياره أنه مسلم ويدعي الحرص كل الحرص على تطبيق أوامر القرآن والانتهاء عن منهياته ، فكما أن المسلم قبل فريضة الصلاة والزكاة من قوله تعالى ﴿ أقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ﴾ إذن كل فعل أمر ورد في القرآن الكريم موجه للمؤمنين به المصدقين بنصوصه وأحكامه ، يعتبر فريضة واجبة الأداء على كل مسلم ومسلمة ، والتارك لأي أمر من أوامر القرآن ينبغي أن يعتبر مقصراً تقصيراً معيناً بحسب نسبة ما ترك من تطبيق أحكام القرآن .

وحتى لا يفوتنا شيء من أوامر القرآن الكريم ، فقد عمدنا إلى قراءة القرآن مع الانتباه لكل آية هل تتضمن أي حكم مالي أو اقتصادي ؟ فإذا تضمنت حكماً مالياً أو اقتصادياً سجلناها وحدها وهكذا حتى انتهينا من هذه القراءة الخاصة للقرآن . في المرحلة الثانية وجدنا أن بعض الآيات المتكررة في مواضع مختلفة تبحث في موضوع واحد فجرى تصنيف هذه الآيات المتعددة والمشتركة في موضوع واحد مع بعضها البعض لتشكل موضوعاً متكاملاً . وفي المرحلة الثالثة اعتمدنا على تفسير المراغي في

فهم هذه الآيات ثم استنباط الأحكام والأوامر التي تتضمنها هذه الآيات ، ولدى اجتماع جميع هذه الآيات مع بعضها البعض أصبحت تحصر موضوعاً واحداً هو الاطار الفكري للنظام الاقتصادي الاسلامي أو هو مجموع الآيات التي تبحث في المواضيع المالية الاقتصادية والتي تعتبر فرضاً على كل مسلم الاقتناع بها وتطبيقها تطبيقاً كاملاً غير منقوص إذا أراد أن يكون عند الله مقبولاً وأن يكون اسلامه صحيحاً ، ولا أظن أن المسلمين يختلفون في هذا مهما اختلفت اجتهاداتهم ومذاهبهم لأن القرآن واحد ومتفق على صحة كل حرف فيه من قبل جميع المسليمن في جميع انحاء العالم الاسلامي .

لذلك سنعمد فيما يلي ، إلى تسجيل جميع الآيات المتعلقة بمبحث اقتصادي أو مالي واحد ثم نعقب على ذلك بشرح الأوامر التي تضمنتها هذه الآيات ، وهكذا حتى تكتمل الآيات الاقتصادية فيكتمل بذلك الاطار الفكري للنظام الاقتصادي الاسلامي حتى نستطيع أن نبني عليه نظاماً متكاملاً يصلح للتطبيق في عصرنا ويصلح لحل مشاكلنا الراهنة ، وأهمها التخلص من حالة التخلف التي نعيشها .

البحث الأول : الملكية :

اختلف المفكرون الاقتصاديون اختلافاً كبيراً في موضوع الملكية ، سواء من الناحية الحقوقية، أو حتى من الناحية الفلسفية النظرية، فمنهم من قال أن الناس احرار حرية مطلقة في تملك المواد المادية والمعنوية أي في تملك وسائل الحياة الشخصية أو وسائل الانتاج والعمل أو في وسائل أو اسباب الرفاهية ، واكدوا أن هذه الحرية المطلقة بالذات هي سبب تقدم وحضارة الانسان وهي الدافع الأول والأخير لكل عمل يقوم به الانسان سواء أكان لصالحه أم لصالح الجماعة ، وإذا حقق كل شخص وتملك

أسباب عيشه ورفاهيته تحقق بالتالي ذلك لكل افراد المجتمع الذي هو في الحقيقة مجموعة الأفراد ، لذلك ينبغي عدم وضع أي قيد على حرية الناس في العمل والتملك والا يمس هذا الحق لا بدعوى مصلحة خاصة أو عامة . هذا الفكر هو ما اصطلح على تسميته بالفكر الرأسمالي أو الغربي أو الأنظمة الحرة أو الاقتصاديات الحرة ، فهل هذه الأفكار صحيحة وهل هي موجودة بالواقع ؟ إن الجواب المختصر على هذه الأسئلة هو كيف نستطيع تحقيق الملكية لكل الناس بحيث لا يبقى محروم منها ، أو هل حققت الأنظمة الرأسمالية الملكية لكل الناس بحيث لم يبق انسان فقير بغير ملكية اذن هذا الحق وإن ادعته فئة المالكين لم يتحقق لأغلب الناس وهم فئة الفقراء والعمال غير المالكين وذلك بسبب تحايل الأثرياء والملاك على مبدأ الحرية وتحويله إلى احتكارات ومنظمات شمولية تستطيع استئثار الحرية لمصلحتها وتحرم بذلك بقيّة الناس حتى من أبسط حقوق الحياة الكريمة ، وبسبب هذه العلل المتفاقمة للنظام الرأسمالي الغربي الحر وللخروج من أزمات هذا النظام المتتالية وعيوبه الكثيرة ظهر اتجاه مضاد تماماً للاتجاه الحر على أساس أنه بما أن حق الملكية الخاصة بهذا المفهوم الشامل قد أنتج اخطاء وغللاً كثيرة ، وهذا هو جانب صحيح من القول ، إذن ينبغي تجريد كل الناس من حريتهم في تملك وسائل الحياة والعمل والانتاج بحيث تكون هذه الحقوق مشاعاً بين كل الناس يأخذ كل واحد منهم حاجته ويقدم ما يستطيعه من جهد وعمل ، وهذا هو الجانب الخاطىء من القول والتفكير فهل لا يصلح الشيء إلا بنقيضه أو ضده ؟ وهل إذا رأينا خطأ في فكرة معينة نأخذ فوراً الفكرة المعاكسة لها مهما كانت النتائج ؟ تبنت هذا الفكر النظرية الشيوعية ، ونجح أنصارها في بناء أنظمة قائمة على هذه الفكرة الشيوعية في روسيا وأوربا الشرقية والصين وبعض الدول الأخرى ، هذا التجريد للانسان من كل حق في تملك

وسائل الحياة والعمل والانتاج والرفاهية حول الانسان عن انسانيته الحقيقية وجعله مجرد رقم في سجلات كبيرة تمضي أيامه متماثلة ، لا يفكر لا في غد ولا في ولد ولا في أمه ، لأن هناك من يفكر عنه فأصبح اغلب الناس (يقتلون أوقاتهم وأعمارهم في الشراب) مما انعكس ضرره على صحة الناس وسلامة حياتهم ومجمل انتاجهم، فأين الحقيقة إذن؟ لمن حق التملك؟ هل هو للأفراد ؟ هل هو للدولة ؟ هل هو مشاع بين الناس وتحت تصرف كل طالب أو كل قوي ؟

لن نجد اجابة كافية على هذه الأسئلة الحيوية لحياة كل البشر ، إلا في كتاب الله فهو يهدي إلى الحق لأنه قول الحق على لسان رسوله الكريم الصادق الأمين فماذا يقول الله عز وجل في موضوع الملكية :

إذا استعرضنا آيات الله البينات في قرآنه المبين ، لوجدنا عدة آيات تبحث في الملكية ، بحيث أن قسما من هذه الآيات يركز على أن الملكية كلها لله عز وجل ، وقسم آخر يركز على أن للناس ملكية الأشياء ويحثهم على استعمالها بطرق معينة أو انفاقها على بعض مستحقيها ، وقسم ثالث ينفي الملكية عن الناس وقد وجدت آية واحدة في القرآن الكريم تجمع الأقسام الثلاثة معاً وهي الآية رقم ٢٦ من السورة الثالثة سورة آل عمران : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ ورد تفسير المراغي معنى هذه الآية كما يلي : أنت ربنا سبحانك لك السلطان الأعلى ، والتصرف التام في تدبير الأمور وإقامة ميزان النظام العام في الكائنات فأنت تؤتي الملك من تشاء من عبادك اما تبعاً للنبوة كما قال لآل ابراهيم ، واما بالاستقلال بحسب السنن الحكيمة الموصلة إلى ذلك واتباع الأسباب الاجتماعية بتكوين القبائل والشعوب وتنزع الملك ممن تشاء بانحراف الناس عن الطريق السوي الحافظ للملك من العدل وحسن

السياسة واعداد القوة بقدر المستطاع كما نزعه من بني اسرائيل وغيرهم بظلمهم وفسادهم .

فما هي الآيات الدالة على أن ملكية الأشياء كلها لله عز وجل لوحده ؟

سوف نذكر الآية ثم رقم السورة التي وردت فيها ثم رقم الآية نفسها ضمن السورة :

﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ﴾ ٢ ـ ١٠٧

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ ٣ ـ ٢٦

﴿ ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير ﴾ ٣ ـ ١٨٩

﴿ ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير ﴾ ٥ ـ ١٨

﴿ ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء ﴾ ٥ ـ ١٧

﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ﴾ ٥ ـ ٤٠

﴿ لله ملك السموات والأرض وما فيهن ﴾ ٥ ـ ١٢٠

﴿ قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور ﴾ ٦ ـ ٧٣

﴿ إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض ﴾ ٧ ـ ١٥٨

﴿ إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت ﴾ ٩ ـ ١١٦

﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ﴾ ١٧ ـ ١١١

﴿ ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير ﴾ ٢٤ ـ ٤٢

﴿ الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ﴾ ٢٥ ـ ٢

﴿ ذلكم الله ربكم له الملك ﴾ ٣٥ ـ ١٣

﴿ قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ﴾ ٣٩ ـ ٤٤

﴿ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء ﴾ ٤٢ ـ ٤٩

﴿ وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما ﴾ ٤٣ ـ ٨٥

وما هي الآيات الدالة على امكانية تملك الأفراد للاشياء .

﴿ فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ ٤ ـ ٥٤

﴿ قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ ٣٨ ـ ٣٥

﴿ والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ﴾ ٢ ـ ٢٤٧

﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا انعاماً فهم لها مالكون ﴾ ٣٦ ـ ٧١

﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ﴾ ١٦ ـ ٧٥

﴿ هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء في ما رزقناكم ﴾ ٣٠ ـ ٢٨

﴿ وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك ﴾ ٣٣ ـ ٥٠

﴿ أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ﴾ ٢٤ ـ ٦١

﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لامسكتم خشية الانفاق ﴾ ١٧ ـ ١٠٠

والآيات النافية للملكية :

﴿ لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ﴾ ١٣ ـ ١٦

﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ﴾ ٢٢ ـ ٣٤

﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴾ ١٣ ـ ٣٥

هذا هو المفهوم القرآني الاسلامي للملكية ، فإن الله يقرر في مواضع كثيرة ومناسبات متعددة أن الملك المطلق هو لله فملك السموات والأرض لله ، وملك ما بينهما أيضاً لله وما فيهن أيضاً لله وليس له في ملكيته المطلقة هذه شريك ولا ولد ، وبما أن الملكية مطلقة لله فمن يملك مع الله شيئاً كما في الآيات النافية للملكية عن ايما زعم من دون الله ، ولا حتى قطمير وهو خيط رفيع ضمن نواة النخيل ، اذن فكيف يتملك الناس ؟ نصّ القرآن الكريم على طرق تملك الانسان للأشياء فقال : وآتيناهم ملكا عظيما . إذن قد يمنح الله ويهب لمن يشاء من عباده ملكاً عظيماً هبة وتكرماً وعطاء أو بناء على طلب ودعاء عباده الصالحين أو بمجرد المشيئة الالهية المطلقة ، ثم هناك الطرق المتعارف عليها للملكية ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاماً فهم لها مالكون ﴾ بالطرق الشرعية للتملك مع أن المالك الأصلي والحقيقي هو الله لأنه خلق هذه الأنعام بعمل يديه ولكنه ترك هذا الحق لعباده يتملكون خلقه بعملهم ، ﴿ أوبيوت خالاتكم أوما ملكتم مفاتحه ﴾ إذن مع أن الملكية الاصلية لله للسموات والأرض وما بينهما وما فيهن إلا أنه أجاز أن يتملك الانسان بيتاً يسكن فيه ويأوي إليه .

البحث الثاني : الاستخلاف :

﴿ ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ ٢٤ ـ ٥٥

﴿ إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء ﴾ ٦ ـ ١٣٣

﴿ ويستخلف ربي قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً ﴾ ١١ ـ ٥٧

﴿ قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض ﴾ ٧ ـ ١٢٩

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾ ٢٤ ـ ٥٥

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ٢ ـ ٣٠

﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ﴾ ٣٨ ـ ٢٦

﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ ٦ ـ ١٦٥

﴿ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾ ١٠ ـ ١٤

﴿ وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ﴾ ١٠ ـ ٧٣

﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ﴾ ٣٥ ـ ٣٩

﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾ ٧ ـ ٦٩

﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض ﴾ ٧ ـ ٧٤

﴿ أمن يجيب المضطر إذ دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ ٢٧ ـ ٦٣

﴿ آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير ﴾ ٥٧ ـ ٧

يذكر المراغي في تفسير (اني جاعل في الأرض خليفة) ما يلي :

اني جاعل آدم خليفة عن نوع آخر كان في الأرض وانقرض بعد أن أفسد في الأرض وسفك الدماء ، وسيحل هو محله ويرى جمع من المفسرين إن المراد بالخلافة ، الخلافة عن الله في تنفيذ أوامره بين الناس ومن ثم اشتهر الانسان خليفة الله في الأرض وهذا الاستخلاف يشمل استخلاف بعض افراد الانسان على بعض بأن يوحي بشرائعه على ألسنة اناس منهم يصطفيهم ليكونوا خلفاء عنه واستخلاف هذا النوع على غيره من المخلوقات بما ميزه به من قوة العقل .

﴿ آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم اجر كبير ﴾ وفي تفسير قوله تعالى في الآية الوحيدة التي ذكر فيها الاستخلاف والانفاق يقول المراغي : « مستخلفين فيه أي جعلكم سبحانه خلفاء عنه في التصرف من غير أن تملكوه ، أي وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه أي مما هو معكم من المال على سبيل العارية ، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار اليكم واستعملوه في طاعته وإلا حاسبكم على ذلك حساباً عسيراً ولله در لبيد إذ يقول :

وما المال والأهلون إلا ودائع ، ولا بد يوما أن ترد الودائع

وهذا ترغيب ايما ترغيب في الانفاق ، لأن من علم أن المال لم يبق لمن قبله وانتقل إليه علم أنه لا يدوم له بل ينتقل إلى غيره وبذا يسهل عليه

انفاقه . قال شعبة سمعت عن قتادة يحدث عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال : « انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول ﴿ الهاكم التكاثر ﴾ يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس » رواه مسلم

ثم حث على ما تقدم من الايمان والانفاق في سبيل الله فقال : ﴿ فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير ﴾ أي فالذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله منكم ، وانفقوا مما خولهم الله عمن قبلهم في سبيل الله لهم الثواب العظيم عند ربهم وهناك يرون من الكرامة والمثوبة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ثم قال تعالى ﴿ وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض ﴾ أي ومالكم أيها الناس لا تنفقون مما رزقكم الله في سبيله وأموالكم صائرة إليه إن لم تنفقوها في حياتكم لأن له ما في السموات والأرض ميراثاً . والخلاصة ، انفقوا اموالكم في سبيل الله قبل أن تموتوا ليكون ذلك ذخراً لكم عند ربكم فبعد الموت لا تقدرون على ذلك إذ تصير الأموال ميراثاً لمن له السموات والأرض ثم بين تفاوت درجات المنفقين بحسب تفاوت احوالهم في الانفاق .

إذن لا خيار للمؤمن في انفاق وعدم انفاق امواله لأن الله عز وجل يقرر أن الأموال التي بحوزة المؤمن هي معه ملكية استخلاف لا ملكية اصلية ، لأن الملكية الأصلية هي لله عز وجل وملكية الاستخلاف لها شروط وهي انفاق هذه الأموال في سبيل الله وفي الأعمال الصالحة وعلى كفاية نفسه وعياله وأهله ، فإذا لم يقر بهذه الحقوق في المال الذي معه تسحب منه هذه الأموال ويكون عاصياً لله يستحق المؤاخذة والعذاب بحسب ما فعل بهذه الأموال .

البحث الثالث : كسب العيش

وردت الآيات التالية الدالة على وجوب تكسب العيش

﴿ ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون ﴾ ٧ ـ ١٠

﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون ، وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ، وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ ١٥ ـ [١٩، ٢٠، ٢١].

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ ٢٠ ـ ١٢٤

﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين ﴾ ٢٨ ـ ٥٨

﴿ أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ ٤٣ ـ ٣٢

﴿ وجعلنا النهار معاشا ﴾ ٧٨ ـ ١١

ورد في تفسير كلمات القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف :

معايش : ما تعيشون به وتحيون : ارزاقا يعاش بها معيشة ضنكا : ضيقة شديدة بطرت معيشتها : طغت وتمردت في أيام حياتها النهار معاشا : تحصلون فيه ما تعيشون به ويمكن استخلاص النتائج والأحكام التالية من الآيات السابقة استناداً إلى تفسير المراغي :

١ ـ من الآية الأولى : مكناكم في الأرض أي جعلنا لكم فيها أمكنة

تتبؤونها وتتمكنون من الاقامة فيها والمعايش واحدها معيشة وهي ما تكون به المعيشة والحياة الجسمانية الحيوانية من المطاعم والمشارب وغيرها وهي ضربان ١) ما يحصل بخلق الله ابتداء كالثمار وغيرها ٢) ما يحدث بالاكتساب . وكلاهما إنما يحصل بفضل الله واقداره وتمكينه فيكون الكل انعاماً من الله وذلك مما يوجب طاعته .

أي أن الله جعل لنا في الكرة الأرضية أوطاناً نستقر فيها وجعل لنا فيها معايش نعيش بها أيام حياتنا من طعام وشراب بنعمة من الله علينا ، واحسانا منه إلينا وانشأ لنا في الأرض ضروباً شتى من المنافع التي نعيش بها عيشة راضية من نبات وانعام وطير وسمك ومياه عذبة واشربة مختلفة الطعوم والروائح وكل ذلك يقتضي الشكر لله عز وجل ولكن الشكر من العباد قليل ، وشكر النعمة يكون بمعرفة المنعم بها ثم حمده والثناء عليه بما هو له أهل ثم التصرف فيها بما يحبه ويرضاه وتحقيق الأغراض التي أسداها لأجلها ، فهذه النعم المعيشية ما خلقت إلا لحفظ الحياة الجسمانية للأفراد والجماعات والاستعانة بذلك على حفظ الحياة الروحية التي بها تزكو الانفس وتستعد للحياة الأخرى الابدية التي فيها النعيم المقيم والسعادة المستقرة إلى غير نهاية . وكما قال النبي ﷺ مشيراً إلى سبل انفاق الثروات ﴿ستصير اليكم كنوز كسرى وقيصر ولتنفقنها في سبيل الله﴾ .

٢ ـ وفي تفسير الآية الثانية ورد ما يلي : ﴿ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾

إن الله قد بسط الأرض وجعلها ممتدة الطول والعرض والعمق ليمكن الانتفاع بها على الوجه الأكمل وهذا فيما يظهر في مرأى العين ، وجعل الله فيها جبالاً ثوابت خوف أن تضطرب بسكانها وأنبت الله في الأرض من كل شيء موزونا ، أي أن كل نبات قد وزنت عناصره وقدرت تقديراً فترى العنصر الواحد يختلف في نبات عنه في آخر بواسطة امتصاص

الغذاء من العروق الضاربة في الأرض ومنها يرفع إلى الساق والأغصان والأوراق والأزاهير ، والذي حدد هذا الاختلاف تلك الفتحات الشعرية التي في ظواهر الجذور وثقوب كل نبات لا تسع إلا المقدار اللازم لها من العناصر وتطرد ما سواه لأنه لا يلائمها إذ هي قد كونت على هيئة خاصة بحيث لا تبتلع إلا تلك المقادير بعينها ، فلك الحمد ربنا جعلت كل شيء في الحياة موزونا بقدر معلوم لنتدبر نظم الحياة فنعرف قدرة منشيءالعالم وأنه لم يخلق شيئاً فيه جزافاً ليكون فيه دليل على قدرة المبدع والمدبر له حال وجوده ، وجعل الله لنا في الأرض أنواع معايشنا من غذاء وماء ولباس ودواء قد سخرها لنا فلا السمك في البحر غذيناه ولا الطير في الجو اطعمناه ولا الأشجار والغابات وحيوان البر والبحر خلقناه ورعيناه ، وجعل الله في الأرض معايش لكم ولمن لستم رازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وفي هذا ايماء إلى أن الله يرزقها وإياهم لا أنهم يرزقون منا وفي ذلك عظيم المنة وجزيل الفضل والعطاء وواسع الرحمة لعباده وخلاصة ذلك : أن الله يسر لنا أسباب المكاسب وصنوف المعايش وسخر لنا الدواب التي نركبها والانعام التي نأكلها والعبيد فكل اولئك رزقهم على خالقهم لا عليكم فلكم منها المنفعة ورزقها على الله تعالى . وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على ايجاده والانعام به متى أردنا دون أن يكون لا تأخير ولا ابطاء ، فخزائن ملك الله مليئة لما تحبون من النفائس غير محجوبة عن الباحث الساعي إلى كسبها من وجوهها بحسب السنن التي وضعها الله والنظم التي قدرها الله ولا يمنعها ما نع ولا يستطيع دفعها دافع فهي تحت قبضة الطالب لها إذا أحسن المسعى واحكم الطلب ، فما عملي ذلك إلا بقسط محدود نعلم أن فيه الكفاية لذي الحاجة وفيه الرحمة بالعباد .

٣ ـ وورد في تفسير الآية الثالثة ما يلي : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ﴾

ومن أعرض عن ذكر الله الذي ذكره به وتولى عنه ولم يتعظ به فينزجر عما هو مقيم عليه من مخالفة امر ربه فإن له معيشة ضيقة شديدة لما يكون فيه من القلق والحرص على الدنيا والتهالك على ازديادها والخوف من انتقاصها ، فترى الشح غالباً عليه والبخل راسخاً في أعراقه ونحشره يوم القيامة أعمى من الجنة لأن الجهالة التي حانت له في الدنيا تبقى كذلك في الآخرة وهذا يصير سبباً لأعظم الآلام الروحية له ، وقصارى ذلك أن الله عز اسمه جعل لمن اتبع هذا ، وتمسك بدينه العيش الهنيء الذي لا هم فيه ولا غم وجعل لمن أعرض عن دينه التعب والنصب وهو في الآخرة أشد تعباً وأعظم ضيقاً وأكثر الماً .

٤ ـ وورد في تفسير الآية الرابعة ما يلي :

وكثير من القرى أثرى أهلها وسعوا في الأرض فساداً وبطروا تلك النعم أي بغوا وتجبروا ولم يحفظوا حق الله فخرب الله ديارهم وأصبحت خاوية لم يعمر منها إلا أقلها وصار أكثرها خراباً يباباً ، وكان الله وارثهم إذ لم يخلفهم أحد بتصرفهم في ديارهم وسائر ما يتصرفون به والشيء الذي لم يبق له مالك معين قيل إنه ميراث الله لأنه هو الباقي بعد خلقه ، واخبر الله سبحانه عن عدله وأنه لا يهلك أحداً إلا بعد الانذار وقيام الحجة بارسال الرسل .

٥ ـ والآية الخامسة :

إن الله قسم المعيشة في الحياة الدنيا ، ورفع بعض الناس فوق بعض درجات في الغنى والفقر والقوة والضعف والعلم والجهل والشهرة والخمول ، وقد كون جسم الانسان من اعضاء مختلفة ، ليسخرها هذا الانسان

في خدمته وكسب عيشه الدنيوي وكسب رصيده الروحي الأخروي بكثرة ذكر الله وطاعته والانقياد لأوامره ، ورحمة الله وفضله خير مما يجمعون من حطام الدنيا. فالدنيا على شفا جرف هار ومظاهرها فانية لا قيمة لها فالله قد اغدقها على الدواب والأنعام وكثير من جهلة بني آدم .

٦ ـ الآية السادسة :

﴿ وجعلنا النهار معاشا ﴾ أي وجعلناه وقتاً لتحصيل اسباب المعاش لأن الناس يتقلبون فيه في حوائجهم ومكاسبهم .

البحث الرابع : نعم الله الاقتصادية المتاحة لبني آدم :

١ ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴾ ٥ ـ ٨٧ ، ٨٨

نداء من الله تعالى للذين آمنوا به رباً ، وبشريعته دستوراً ، ومنهاجاً أن لا تحرموا على أنفسكم ما أحل الله لكم من الأشياء التي تستلذها النفوس وتميل إليها القلوب ، وذلك بأن تتركوا التمتع بها عمداً تنسكاً وتقرباً إلى الله ولا تعتدوا فيها وتتجاوزوا حد الاعتدال إلى الاسراف الضار بالجسد بأن تزيدوا على الشبع والري أو تجعلوا التمتع بها اكبر همكم في الحياة أو تشغلكم عن الأمور النافعة من العلوم والأعمال المفيدة لكم ولبني وطنكم ، أي أن الاعتداء يشمل أمرين الاعتداء في الشيء نفسه بالاسراف فيه ، والاعتداء بتجاوزه إلى غيره مما ليس من جنسه وهو الخبائث ، وعلل النهي عن الاعتداء بما ينفر منه فقال إنه لا يحب المعتدين أي لا يحب الله من يتجاوز حدود شرائعه ولو بقصد عبادته وتحريم طيباته التي أحلها سواء أكان التحريم من غير التزام بيمين أم نذر بالتزام وكل منهما غير جائز . والحكمة في ذلك النهي أن الله يحب أن يستعمل عباده نعمة فيما خلقت

لأجله ويشكروه على ذلك ويكره لهم أن يجنوا على الشريعة التي شرعها لهم فيغلوا فيها بتحريم ما لم يحرمه كما يكره لهم أن يفرطوا فيها باباحة ما حرمه أو ترك ما فرضه ، وكلوا مما رزقكم الله من الحلال في نفسه لا من المحرمات كالميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير ومن الحلال في كسبه وتناوله بألا يكون رباً ولا سحتاً ولا سرقة مع كونه مستلذاً غير مستقذر لذاته أو لطارىء يطرأ عليه من فساد أو تغير لطول مكث . واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون أي واتقوه في الأكل واللباس والنساء وغيرها ، فلا تفتاتوا عليه في تحليل ولا تحريم ولا تعتدوا حدوده فيما أحل أو حرم ، إذ من جعل شهوة بطنه أكبر همه كان من المسرفين ومن بالغ في الشبع وعرض معدته وامعاءه للتخمة كان من المسرفين ، ومن انفق في ذلك أكثر من طاقته وعرض نفسه لذل الدين أو أكل أموال الناس بالباطل فهو من المسرفين وكل ذلك ينبغي أن يكون باعتدال .

٣ ـ ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ ٧ ـ ٣١ ، ٣٢

وهذا نداء من الله تعالى لجميع بني آدم أن يأخذوا الزينة أن يتزينوا بها وهي الثياب الحسنة ، وأقل هذه الزينة ما يدفع عن المرء اقبح ما يشينه بين الناس وهو ما يستر عورته وهو الواجب لصحة الصلاة والطواف وما زاد على ذلك من التجمل بزينة اللباس عند الصلاة ولا سيما صلاة الجمعة والعيد فهو سنة لا واجب . ويرى بعض العلماء وجوب الزينة للعبادة عند كل مسجد بحسب عرف الناس في تزينهم في المجامع والمحافل ليكون المؤمن حين عبادة ربه مع عبادة المؤمنين في أجمل حال لا تقصير فيها ولا اسراف .

وهذا الأمر بالزينة عند كل مسجد اصل من الأصول الدينية والمدنية عند المسلمين وكان سبباً في تعليم القبائل المتوحشة القاطنة في الكهوف والغابات افراداً وجماعات لبس الثياب عند دخولها في حظيرة الاسلام وكانوا قبل ذلك يعيشون عراة الاجسام رجالاً ونساءً أي خذوا زينتكم عند المساجد واداء العبادات وكلوا واشربوا من الطيبات ولا تسرفوا فيها ، بل عليكم بالاعتدال في جميع ذلك لأن الله الخالق لهذه النعم لا يحب المسرفين فيها ، بل يعاقبهم على هذا الاسراف بمقدار ما ينشأ عنه من المضار والمفاسد لأنهم قد خالفوا بسنن الفطرة ، وجنوا على أنفسهم في أبدانهم وأموالهم وجنوا على اسرهم وأوطانهم إذ هم أعضاء في جسم الأسرة والأمة ، وهذا مبدأ اقتصادي هام وهو تشجيع الادخار وتحويله من مجال الاستهلاك أو الاتلاف إلى مجال الادخار وبالتالي الاستثمار والتنمية مما يزيد من دخل الانسان ودخل ورفاهية المجتمع . هذا الاسراف كبير الضرر عظيم الخطر على الأمم اكثر من ضرره على الأفراد ، ولا سيما في البلاد التي تأتي إليها أنواع المواد الاستهلاكية من البلاد الأجنبية عنها ، إذ تذهب الثروة إلى غير أهلها وربما ذهبت إلى من يستعين بها على استذلالهم والعدوان عليهم .

إن اخراج الله للزينة يعني خلق موادها ، وتعليم طرق صنعها بما أودع في فطرهم من حبها والميل إلى الافتتان في استعمالها إذ خلقهم مستعدين لاظهار آياته في جميع ما خلق في هذا العالم الذي يعيشون فيه وغريزة حب الزينة وحب التمتع بالطيبات كانت من أهم الأسباب في اتساع أعمال الفلاحة والزراعة ورقي ضروب الصناعة واتساع وسائل العمران ومعرفة سنن الله وآياته في الأكوان . وهما لا يذمان إلا بالاسراف فيهما والغفلة عن شكر المنعم بهما . وإن الزينة والطيبات من الرزق للذين آمنوا

في الحياة الدنيا ويشاركهم فيها غيرهم تبعاً لهم وإن لم يستحقها مثلهم وهي خالصة لهم يوم القيامة .

إن هذا التفصيل لحكم الزينة والطيبات الذي ضل فيه كثير من الأمم والأفراد ما بين افراط وتفريط لا يعقله إلا الذين يعلمون سنن اجتماع وطبائع البشر ، في أطوار بداوتهم وأطوار حضارتهم قبل أن ننزلها على رسول الله فكان ذلك آية دالة على نبوته إذ ما كان لمثله أن يعلمها إلا بالوحي من عندنا ، من عند الله ولولا القرآن لما خرجت أمة للعرب من ظلمات الوثنية والجهالة إلى ذلك الدور الذي صلحت به وأصلحت أمما كثيرة بالدين والفنون والآداب وما أحيت من علوم الأوائل .

٣ ـ ﴿ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ ١٦ ـ ١٤

إن الله سخر لنا البحر وهو الماء الملح والعذب لنأكل منه سمكاً ونصطاده وفي وصفه بالطراوة تنبيه إلى أنه ينبغي المسارعة إلى أكله لأنه يسرع إليه الفساد والتغير . وقد أثبت الطب أن تناول السمك بعد ذهاب طراوته من أضر الأشياء ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ المخلوق في صدفة العائش في البحار والمرجان الذي ينبت في قيعانها ، وتوجد حقول من المرجان في البحر الأبيض المتوسط أمام تونس والجزائر ، متى تم ينعها حصدتها الدولة الفرنسية وباعتها للمسلمين وغيرهم ، وكأنهم يقولون ربنا لا نستخرج كما أمرتنا بل تشتري من المستخرجين من البحر وبلغ ما استخرج من المرجان سنة ١٨٨٦ م ٧٧٨ الف كيلو جرام ثمنها خمسة ملايين وسبعمائة وخمسون الف فرنك فرنسي . وترى الفلك مواخر فيه أي وترى السفن جواري فيه تشقه مقبلة

مدبرة من قطر إلى قطر ومن بلد إلى آخر لنقل البضائع والمسافرين والهدف من هذه السملية لتبتغوا من فضله أي لتطلبوا فضل الله ورزقه بركوب البحر للتجارة أي اركبوا البحر وتاجروا وانقلوا البضائع والمسافرين تحصيلاً للرزق الوفير والخير العميم ولعلكم تشكرون ، أي ولتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم إذ جعل ركوب البحر مع كونه مظنة للهلاك سبباً للانتفاع وحصول المعاش .

٤ ـ ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ ١٨ ـ ٤٦ .

أي أن الأموال والبنين زينة هذه الحياة ولباً من زاد الآخرة وقد علمت أن الدنيا سريعة الفناء فلا ينبغي التفاخر بها وقدم المال على البنين مع كونهم أعز منه لدى جميع الناس من قبل أن الزينة به أتم ، ولأنه يمد الآباء والأبناء في كل حين ولأنه مناط بقاء النفس والأولاد . وبذا يبقى النوع الانساني ولأن الحاجة اليه أمس من الحاجة إليهم ولأية زينة بدونهم دون العكس فإن من له بنون ولا مال له فهو في بؤس وشقاء . روي عن علي كرم الله وجهه المال والبنون حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد جمعهما الله لأقوام ، ثم بين الله ما ينبغي التفاخر به وهي أعمال الخير التي تبقي ثمرتها للانسان وهي أفعال الطاعات كالصلاة والصدقات والجهاد في سبيل الله ومساعدة البائسين وذوي الحاجات أي الانفاق خير عند ربك من المال والبنين جزاء وخير أملا إذ ينال بها صاحبها في الآخرة ما كان يؤمله في الدنيا ويتمناه .

٥ ـ ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ ٢٠ ـ ٨١

يقول الله لنا كلوا من اللذائذ التي أنعم بها علينا ولا نطغى في الرزق

بالاخلال بشكره وتعدي حدوده فيه بالسرف والبطر والاستعانة به على المعاصي ومنع الحقوق الواجبة فيه فينزل علينا غضب الله وتجب علينا عندها عقوبته ومن ينزل به غضل الله فقد شقي وهلك .

٦ ـ ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور﴾ ٣٤ ـ ١٥ .

لقد كان لأهل هذا الحي من أهل اليمن نعمة عظيمة وسعة في الرزق وكانت لهم حدائق غناء وبساتين فيحاء عن يمين الوادي وشماله ، وقد أرسل الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزق ربهم ويشكروه بتوحيده وعبادته كفاء ما انعم عليهم بهذه المُمْتَن وأحسن إليهم بتلك النعم وينفقوا من فضل الله على الفقراء والمحتاجين . فكانوا كذلك إلى حين ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بارسال السيل عليهم فتفرقوا في البلاد شذر مذر .

٧ ـ ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون . فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقيها إلا الصابرون فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء

من عباده ويقدر لولا أن منَّ الله علينا لخسف بنا ولكأنه لا يفلح الكافرون ﴾ ٢٨ - ٧٦ ٧٧ - ٨٢

ورد في تفسير آية أدب الغنى هذه في تفسير المراغي ما يلي مع بعض التعليقات الاضافية : إن قارون كان من قوم موسى بني اسرائيل ومن قرابته ، وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان احفظ بني اسرائيل للتوراة واقرأهم لها ولكنه نافق وتجاوز الحد في احتقار موسى وهارون والقرابة كثيراً ما تدعو إلى البغي وسبب بغيه وعتوه أن أعطاه الله المال الكثير المذخور الذي يثقل حمل مفاتيح خزائنه على العدد الكثير من الأقوياء من الناس ، وأظهر قارون التفاخر والفرح بما أوتي وقال له قومه لا تظهر الفرح والبطر بكثرة مالك فإن ذلك يجعلك تتكالب على جمع حطام الدنيا وتتلهى عن شئون الآخرة وفعل ما يرضي ربك وهذا الفرح والبطر والتفاخر مانع لمحبة الله لأن الله تعالى لا يكرم الفرحين بزخارف الدنيا ولا يقربهم من جواره ، بل يبغضهم ويبعدهم من حضرته ولكن الله يكرم ويقرب من استعمل ما وهبه الله من المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة الله والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل له بها الثواب في الدنيا والآخرة ، مع عدم ترك لذات الدنيا في مآكلها ومشاربها وملابسها فإن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ، مع الاحسان إلى الخلق بإعانة الخلق بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء والثناء على الناس في رغبتهم ، وعدم صرف النشاط إلى الفساد في الأرض والاساءة إلى خلق الله ، وإن فَعَلَ الغني ذلك فإن الله لا يكرم المفسدين بل يهينهم ويبعدهم من حظيرة قربه ونيل مودته ورحمته ، هذا هو أدب الغنى وكيفية استعمال الغنى الذي يمتحن الله به بعض عباده ، وأجاب قارون على هذه النصائح : إنما أوتيت هذه الكنوز على علم عندي علمه الله مني فرضي بذلك عني وفضلني بهذا المال عليكم فرد الله عليه مقاله : أَنَسِيَ ولم يعلم

حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل علم عنده فاستحق بذلك أن يؤتى ما أوتي إن الله قد اهلك من قبله الأمم من هم أشد منه بطشاً وأكثر جمعاً للأموال ولو كان الله يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده ورضاء عنه لم يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالاً لأن من يرضى الله عنه فمحال أن يهلكه وهو عنه راضٍ وإنما يهلك من كان عليه ساخطاً ألم يشاهد فرعون وهو في أبهة ملكه وحقق أمره يوم هلكه ، وبعد أن هدده سبحانه بذكر اهلاك من قبله من اضرابه في الدنيا أردف ذلك تهديد المجرمين كافة بما هو أشد من عذاب الآخرة وهو عدم سؤالهم عن ذنوبهم إذ أنه يؤذن بشدة الغضب عليهم والايقاع بهم لا محالة ولوضوح ذنوبهم وتلبسهم به وظهوره عليهم فخرج قارون على قومه ذات يوم في زينة عظيمة وتجمل باهر من مراكب وخدم وحشم مريداً بذلك التعالي على قومه وإظهار العظمة وذلك من الصفات البغيضة والافتخار الممقوت والخيلاء المذمومة لدى عقلاء الناس من جراء أنها تقوض كيان المجتمع وتفسد نظمه وتفرق شمل الأمة وتقسمها طبقات وفي ذلك تخاذلها وطمع العدو في امتلاك ناصيتها ، وحين رآه قومه على هذه الشاكلة انقسموا فريقين : قال من كان همه الدنيا وزينتها يا ليت لنا من الأموال والمتاع مثل ما لقارون منها حتى ننعم عيشاً ونتمتع بزخارف الحياة كما يتمتع وعللوا تمنيهم وأكدوه بقولهم إن الله قد تفضل عليه وآتاه من بسطة الرزق حظاً عظيماً ونصيباً كبيراً يغبط عليه ، وقال الذين أوتوا العلم بما أعد الله لعباده في الآخرة وصدقوا به رداً على اولئك المتمنين تبا لكم وخسرا كيف تتغالون في طلب الدنيا ويسيل لعابكم عليها وما عند الله من ثواب في الآخرة لمن صدق به وآمن برسله وعمل صالح الأعمال خير مما تتمنون فإن هذا باق وذاك فان وهذا خالص مما يشوبه وينغصه من الأكدار وذلك مشوب بالأحزان والمنغصات ، ولا يتبع هذه النصيحة ولا يعمل بها إلا من صبر على أداء

الطاعات واجتنب المحرمات ورضي بقضاء الله في كل ما قسم من المنافع والمضار وانفق ماله في كل ما فيه سعادة لنفسه وللمجتمع وكان قدوة صالحة في حفظ مجد أمته ورفع صيتها بين الأمم يبذل كل ما فيه نفعها وقوتها واعلاء شأنها وبذا ينال حسن الأحدوثة بين الناس ويلقى المثوبة من ربه . وكانت نتيجة بغي قارون وظلمه لنفسه ومجتمعه أن زلزلت الأرض به وابتلعته جزاء بطره وعتوه وفي هذا عبرة لمن اعتبر فيترك التعالي والتغالي في الزينة .

وقد غفل كثير من الناس عن المقصد من المال فانفقوه قاصدين به الرياء والمباهاة فضاعت دورهم وأموالهم وأصبحت ملكاً لغيرهم . وهذا هو الخسف العظيم فإن الخسف الآن خسف الأمم لا خسف الأفراد فكل بلد من بلاد الاسلام يدخله الغاصب يصبح اهله عبيداً له وضحية مطامعه وخسف امة ادهى من خسف فرد فليخسف الفرد ولتبق الأمة ، فلما خسف الله بقارون الأرض اصبح قومه يقولون إن كثرة المال والتمتع بزخارف الدنيا لا تدل على رضاء الله عن صاحبه فالله يعطي ويمنع ويوسع ويضيق ويرفع ويخفض وله الحكمة التامة والحجة البالغة لا معقب لحكمه ، وروي عن ابن مسعود مرفوعاً « إن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان إلا من يحب ». ونستطيع استخلاص الأحكام التالية من الآية الموضحة لأدب الغنى :

١ ـ اطلب أيها الغني بالثروة التي اعطاك الله إياها حسن المنزلة عند الله والثواب الكبير عن طريق تنفيذ أوامر الله وابتغاء مرضاته في كل الشؤون عن طريق الانفاق في سبيل الله ، وفي نفس الوقت للجسم حقه ولا ننس حظنا من متع الله ونعمائه التي أنزلها لعباده وخاصة للمؤمنين فنستمتع بها بشرط ألا ننسى الهدف والغاية ألا وهي حسن الثواب والمآب عند الله وبشرط أن نحسن إلى الناس كافة بالمساعدة والاعانة والتودد كما

أحسن ومن الله علينا وألا نستعمل ثروتنا بهدف الافساد في الأرض بنشر العادات الغريبة والمبادىء المنحلة والاخلاق الذميمة وباقتراف المحرمات لأن الله لا يحب المفسدين ولأن الله خلقنا لاعمار الأرض بالمشاريع وبالانسان الصالح .

٢ ـ لا تقل إن ثروتك قد أتتك بعلمك وعملك واجتهادك لأن ذلك أولاً وأخيراً فضل من الله ومنة .

٣ ـ لا يجب أن يتخذ الانسان مظاهر الغنى والعظمة لنفسه تكبراً وتيهاً بين الناس .

٤ ـ إن ثواب الله احسن من كل ذلك لمن آمن بشرع الله ورسالته وتخطيطه لنا ولمن عمل الصالحات كما أمره الله ولا ينال ذلك أي ثواب الله ونعمته في الدنيا والآخرة مع الايمان والعمل الصالح إلا الصابرون أي المناضلون المتحملون للظروف الصعبة من غير تذمر ولا شكوى بل بسرور وغبطة بلذة النضال والكفاح بمحبة القرب من الله عز وجل .

٥ ـ ان نتيجة الغني المتكبر المتعالي على قومه الذي يهوى مظاهر الحياة ومتعها الرخيصة ولا يقيم وزناً للقاء الله وثوابه وللايمان بشريعته وللعمل الصالح مع الصبر أن يخسف الله به وبثروته الأرض أي أن يحيله فقيراً بعد غنى صغيراً حقيراً بعد تكبر وتصلف عبرة لمن يعتبر عندها لن يبقى له أنصار ولا أصدقاء ولا رفقاء ولا معجبون لأنهم سيتخلون عنه لحلول غضب الله عليه وابتلائه ولنضوب معين النفع منه .

البحث الخامس : درجات الناس

١ ـ ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾ ٢ ـ ٢٥٣

هذه الآية خاصة بدرجات الانبياء حيث فضل الله بعضهم على بعض

في مراتب الكمال فخصصناه بمآثر جليلة خلا عنها غيره مع استوائهم جميعاً في اختياره تعالى لهم للتبليغ عنه وهداية خلقه إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ، منهم من فضَّله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام ، ومنهم من رفعه الله على غيره من الرسل بمراتب متباعدة في الكمال والشرف والمراد به محمدﷺ ، ومن هذه الدرجات ما هو خصوصية في اخلاقه الشريفة ، ومنها ما هو في امته الذين اتبعوه وعضوا على دينه بالنواجذ ولو لم يؤت من المعجزات إلا القرآن وحده لكفى به فضلاً على سائر ما أوتي الأنبياء لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات .

٣ ـ ﴿ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ﴾ ٦ ـ ٨٣

وتلك الحجة الدامغة التي آتيناها ابراهيم المثبتة للحق المزيفة للباطل هي الحجة التي ارشدنا إليها ابراهيم وأعطيناها إياه ليلزم قومه ويقنعهم بها ، وإننا نرفع من شئنا من عبادنا درجات بعد أن لم يكونوا على درجة منها فالعلم درجة كمال والحكمة درجة كمال وقوة العارضة في الحجاج درجة كمال والسيادة والحكم بالحق كذلك والنبوة والرسالة أعلى كل هذه الدرجات لانها تشمل عليها وتزيده ، والله يرفع درجات من نؤتيهم ذلك بتوفيق صاحب الدرجة الكسبية إلى ما به ترتقي درجته ويصرف موانع هذا الارتقاء عنه ويؤتي ذا الدرجة الوهبية ما لم يؤت غيره من أهل المناقب والآيات .

٣ ـ ﴿ نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ﴾ ١٢ ـ ٧٦

أي نرفع من نشاء درجات كثيرة في العلم والايمان ونريه وجوه الصواب في بلوغ المراد كما رفعنا درجات يوسف عليه السلام على اخوته

في كل شيء وفي هذا ايماء إلى أن العلم بالله أشرف المقامات وأعلى الدرجات ، وفوق كل عالم من هو أوسع احاطة منه وأرفع درجة إلى أن يصل الأمر إلى من أحاط بكل شيء علماً وهو فوق كل ذي علم وهو الله العليم الحكيم .

٤ - ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ ٥٨ - ١١ .

يرفع الله منزلة الذين آمنوا يوم القيامة ويرفع الذين أوتوا العلم درجات أي يرفع العالمين منهم خاصة درجات في الكرامة وعلو المنزلة ، يرفع الله المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله والعالمين منهم خاصة درجات كثيرة في الثواب ومراتب الرضوان ، والله تعالى لا يضيع ذلك بل يجزي به في الدنيا والآخرة فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره .

البحث السادس : الله هو الرزاق :

ورد في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وتحت باب (رزق) أن ١٢٣ مائة وثلاثاً وعشرين آية قد ورد فيها ما معناه أن الله هو الرزاق وسنورد فيما يلي أمثلة على هذه الآيات مع شرح لها من كتاب تفسير المراغي كما درجنا على ذلك سابقاً :

١ - ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً ﴾ ١٦ - ١١٤

فكلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من بهائم الأنعام التي أحلها لكم وذروا الخبائث وهي الميتة والدم واشكروه على ما أنعم به عليكم بتحليله ما أحل لكم وبسائر نعمه الظاهرة عليكم إن كنتم تعبدونه فتطيعونه فيما يأمركم به وتنتهون عما ينهاكم عنه .

٢ ـ ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾ ٢٠ ـ ٨١

كلوا من تلك اللذائذ التي أنعمنا بها عليكم ولا تطغوا في رزقي بالاخلال بشكره وتعدي حدودي بالسرف والبطر والاستعانة به على المعاصي ومنع الحقوق الواجبة فيه فينزل عليكم غضبي وتجب عليكم عقوبتي .

٣ ـ ﴿ ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهرا ﴾ ١٦ ـ ٧٥

يمتدح الله الانسان المؤمن الذي يأتيه الرزق من الله عز وجل بشكل حسن حلال زكي طاهر فتراه لا يبخل به بل ينفق منه على نفسه وعلى أهله وعلى خلق الله المحتاجين بشكل سري حتى لا يؤذي من يعطيه وهو المحتاج العفيف وينفق جهراً حتى يكون قدوة في الانفاق ويشجع الآخرين على الانفاق في سبيل الله على عباده المحتاجين .

٤ ـ ﴿ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ﴾ ١٤ ـ ٣١

أي يا أيها الرسول قل لعبادي الذين آمنوا بك وبرسالتك من الله عز وجل أنها الحق أقيموا الصلاة على وجهها وأدوها كما طلب ربكم فهي عماد الدين وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وهي المصباح للمؤمن يستضيء به للقرب من ربه ، وقل لهم فريضة ثانية يؤدونها وهي الانفاق مما زرقهم الله انفاقاً غير محدود وبشكل سري وجهري رأفة بعباده الفقراء وحقاً لهم في أموال الأغنياء لا فضل بذلك منه إنما المنة لله الذي أنعم على عبده الموسر من قبل أن يأتي اليوم الذي لا تنفع فيه فدية ولا

تجدي فيه صداقة فلا يشفع خليل لخليل ولا يصفح عن عقابه لمخالفته لصديقه بل هناك العدل والقسط .

٥ ـ ﴿ قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله ﴾ ٣٤ ـ ٢٤

أي قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين بربهم الأوثان والأصنام من يرزقكم من السموات بانزال الغيث عليكم حياة لحروثكم وصلاحاً لمعايشكم وتسخير الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم ومن الأرض باخراج اقواتكم واقوات انعامكم فإن قالوا لا ندري فأجبهم قل الله هو الذي يرزقكم إذ لا جواب عندهم سواه في قرارة انفسهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به عناداً مع علمهم بصحته ولأنهم لو تفوهوا به لقيل لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق .

٦ ـ ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا ﴾ ٦٥ ـ ٢ ، ٣

ومن يخش الله في كل أموره يجعل الله له مخلصاً مما عسى أن يقع فيه من الغم ويفرج عنه ما يعتريه من الكرب ويرزقه من جهة لا تخطر له على بال ولا يحتسبها إذ من اتقى الله جعل له مخلصاً من هم الدنيا وهم الآخرة وغمرات الموت وشدائد يوم القيامة ، وفي الآية ايماء إلى أن التقوى ملاك الأمر عند الله وبها نيطت السعادة في الدارين في كل الأمور والهموم عن ابن مسعود أنه قال أن أكبر آية في القرآن فرجاً هي هذه الآية ، ومن يكل أمره إلى الله ويفوض إليه الخلاص منه ، مع العمل والتعقل إلى أوسع مدى كفاه ما اهمه في دنياه ودينه والمراد بذلك أن العبد يأخذ في الأسباب التي جعلها الله من سننه في هذه الحياة ويؤديها على أمثل الطرق ثم يكل أمره إلى الله فيما لا يعلمه من أسباب لا يستطيع الوصول إلى

علمها وليس المراد أن يلقي الأمور على عواهنها ويترك السعي والعمل ويفوض الأمر إلى الله فما بهذا أمر الدين والسبب في وجوب التوكل إن الله تعالى منفذ أحكامه في خلقه بما يشاء وقد جعل لكل شيء مقداراً ووقتاً فلا تحزن أيها المؤمن إذا فاتك شيء مما كنت تؤمل وترجو فالأمور مرهونة بأوقاتها ومقدرة بمقادير خاصة مع عدم ترك العمل واتخاذ الأسباب .

٧ ـ ﴿ **والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون** ﴾ ١٦ ـ ٧١

والله تعالى جعلكم متفاوتين في أرزاقكم فمنكم الغني ومنكم الفقير ومنكم المالك ومنكم غير المالك وأعطاكم الرزق أكثر مما أعطى فقراءكم ولم يجعل ذلك بحسن الحيلة وفضل العقل فحسب فكثيراً ما نرى الحول الطالب لا يحصل إلا على الكفاف من الرزق بعد الجهد الجهيد بينما قد نرى الأحمق يتقلب في نعيم العيش وزخرف الدنيا ولله در سفيان بن عيينة إذ يقول :

كم من قوي قوي في تقلبه مهذب الرأي عنه الرزق منحرف
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط كأنه من خليج البحر يغترف

فما الذين فضلوا بالرزق بجاعلي رزقهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين من لا يملكون .

٨ ـ ﴿ **فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلاً لماً وتحبون المال حباً جما** ﴾ ٨٩ ـ ١٥ ، ١٦ ، . . . ، ٢٠ .

إن الانسان إذا ما ابتلاه ربه واختبره وأنعم عليه وأوسع له في الرزق

زعم أن هذا الذي هو فيه من السعة إكرام من الله له وخيل إليه الوهم إن الله لا يؤاخذه على ما يفعل فيطغى ويفسد في الأرض ، وإن رأى أن رزقه لا يأتيه إلا بقدر ظن أن ذلك إهانة من الله له وإذلال لنفسه ، والانسان في الحالين مخطىء مرتكب أشنع وجوه الغفلة لأن اسباغ النعمة في الدنيا على أحد لا يدل على أنه مستحق لذلك ولو دل على هذا لما رأيت عاصياً موسعاً عليه في الرزق ولا شاهدت كافراً ينعم بصنوف النعم . ولعل من حكمة الله في بسط الرزق على بعض الناس وتضييقه على بعض آخر أن وجدان المال سبب للانغماس في الشهوات وأنه قاطع عن الاتصال بالله وأن فقدانه وسيلة لتمحيص المرء وابتلائه ليكون من الصابرين الذين وعدوا بالجنة ، إلا أن من يمتحنهم الله باسباغ النعمة عليهم يظنون أن الله قد اصطفاهم على عباده ورفعهم فوق سائر خلقه ثم لا يزال بهم شيطان الغواية حتى يذهبوا مع اهوائهم كل مذهب ويسيروا في طريق شهواتهم المهلكة إلى أبعد غاية لا يرجعون إلى ربهم ولا يدركون أن ما عنده خير وأبقى ، ولكن الله يجيب كلا أي لم ابتل الانسان بالغنى لكرامته عندي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي فالكرامة والاهانة لا يدوران مع المال سعة وقلة فقد اوسع على الكافر لا لكرامته وأضيق على المؤمن لا لهوانه وإنما أكرم المرء بطاعته أهينه بمعصيته وقد أوسع على المرء بالمال لاختبره أيشكر أم يكفر وأضيق عليه لأختبره أيصبر أم يضجر ، ثم ذكر الله عز وجل أربعة اسباب داعية لاهانة العبد عند ربه وهي :

١ ـ **لا تكرمون اليتيم** : فقد يكرمكم الله بالمال الكثير فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم وبره والاحسان إليه وقد قال الرسول الكريم « أحب البيوت بيت فيه يتيم مكرم ».

٢ ـ **ولا تحاضون على طعام المسكين** : ولا يحث بعضكم بعضاً

على إطعام المسكين وإصلاح شأنه وإذا لم يوص بعضكم بعضاً في إطعام المسكين فقد كذبت مزاعمكم في أنكم قوم صالحون وقد ذكر التحاض على الطعام ولم يكتف بالاطعام فيقول ولم تطعموا المسكين ليبين أن أفراد الأمة متكافلون وأنه يجب أن يوصي بعضهم بعضاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع التزام كل بفعل ما يأمر به أو ينهى عنه ، ثم بين أن اهمالهم أمر اليتيم وخلو قلبهم من الرحمة بالمسكين لم يكونا زهدا في لذائذ الحياة وتخلصاً من متاعبها وعكوفاً على شؤون انفسهم بل جاء من محبتهم بالمال .

٣ ـ **وتأكلون التراث أكلاً لما** : أي أنكم تأكلون المال الذي يتركه من يتوفى منكم أكلاً شديداً فتحولون بينه وبين من يستحقه وتجمعون بين نصيبكم منه ونصيب غيركم .

٤ ـ **وتحبون المال حباً جما** : أي وتميلون إلى جمع المال ميلاً شديداً ميراثاً كان أو غيره .

إذن أنتم تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة إذ لو كنتم ممن غلب عليه حب الآخرة لانصرفتم عما يترك الموتى ميراثاً لايتامهم ولكنكم تشاركونهم فيه وتأخذون شيئاً لا كسب لكم فيه ولا مدخل لكم في تحصيله وجمعه ولو كنتم ممن استحبوا الآخرة لما ضربت نفوسكم على المال تأخذونه من حيث وجدتموه من حلال أو من حرام ، وهذه أدلة ترشد إلى أنكم لستم على ما ادعيتم من صلاح وإصلاح وأنكم استحققتم الاهانة من الله عز وجل .

٩ ـ ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ ٥١ ـ ٥٨

إن الله تعالى غير محتاج إلى الناس بل هم الفقراء إليه في جميع

أحوالهم لأنه خالقهم ورازقهم وهو ذو القدرة والقوة الغالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وروى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى : ﴿ يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وألا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك ﴾ »

البحث السابع : كيف نحصل على الرزق :

يمكن أن نسأل انفسنا السؤال التالي : هل نستطيع أن نعمل أعمالاً توسع لنا في أرزاقنا على أساس أن الله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ؟ ثم ما هي هذه الأفعال التي إذا فعلناها تزيد أرزاقنا ويوسع لنا في رزقنا على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي مستوى الأمة والشعب والمجتمع ، سنرى إجابة سؤالنا في الآيات البينات التالية :

١ ـ ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ ٧ ـ ٩٦

ولو أن أي شعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات آمنوا بما دعاهم إليه خاتم الرسل من عبادته تعالى وحده واتقوا ما نهاهم عنه من الشرك والفساد في الأرض بارتكاب الفواحش والآثام لفتحنا عليهم أنواعاً من بركات السماء التي تشمل معارف الوحي العقلية ونفحات الالهام الربانية والمطر ونحوه مما يوجب الخصب والخير في الأرض وبركات الأرض الخصب والمعادن ونحوهما هذه البركات غير التي عهدوا في صفاتها ونمائها وأثرها فيهم فأنزلنا عليهم الامطار النافعة التي تخصب الأرض وتكسب البلاد رفاهية العيش وآتيناهم من العلوم والمعارف وفهم سنن الكون ما لم يصل إلى مثله البشر من قبل أي أنهم لو آمنوا لوسعنا عليهم الخير من كل جانب ويسرناه لهم بدل ما أصابهم من عقوبات بعضها من السماء وبعضها من الأرض ، والقاعدة التي أقرها القرآن الكريم أن

الايمان الصحيح ودين الحق سبب في سعادة الدنيا ويشارك المؤمنين في المادي منها الكفار كما قال تعالى ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ أي أن ذلك الفتح كان ابتلاء واختبارا لحالهم وكان من أثره فيهم البطر والاشر بدلا من الشكر لمولى النعم فكان نقمة لا نعمة وفتنة لا بركة ولكن المؤمنين إذا فتح الله عليهم كان أثره فيهم شكر الله عليه والاغتباط بفضله واستعماله في سبيل الخير دون الشر وفي الاصلاح دون الافساد ويكون جزاؤهم على ذلك زيادة النعم في الدنيا وحسن الثواب عليها في الآخرة ، ولكنهم لم يؤمنوا ولم يتقوا بل كذبوا فأخذناهم بما كانوا يعملون من أعمال الشرك والمفاسد التي تفسد نظم المجتمع البشري وذلك الأخذ بالشدة أثر لازم لكسبهم المعاصي بحسب السنن التي وضعها المولى في الكون ويكون فيه العبرة لأمثالهم إن كانوا يعقلون هذه النواميس العامة التي لا تبديل فيها ولا تغيير .

إذن الطريقة الأولى لاستجلاب الرزق من الله تعالى والرزق الوفير من السماء والأرض هي الايمان والتُقوى .

٢ ـ ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ ٢٢ ـ ٥٠

أضاف الله تعالى إلى الايمان والتقوى الذي هو مجلبة للرزق الكثير من السماء والأرض ، أضاف هنا العمل الصالح الذي يجلب المغفرة مع الرزق الكريم . فقال : والذين آمنت قلوبهم وصدقوا ايمانهم بأعمالهم لهم مغفرة لما سلف من سيئاتهم وثواب عند ربهم على ما قدموا من حسناتهم ولهم رزق كريم في الدنيا والآخرة .

٣ ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت

الصلوة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ﴾ ٦٢ ـ ٩ ، ١٠ ، ١١

إن ما ذكره الله عز وجل على أنه طرق مجلبة الرزق الوفير من الله وهي الايمان والتقوى والعمل الصالح ينبغي أن يقترن بالبيع والتجارة والانتشار في الارض ابتغاء فضل الله ولكن ذلك يجب أن يتم بميزان دقيق بين عمل الدنيا وعمل الآخرة فكيف نحقق هذا التوازن بين عملي الدنيا والآخرة وبحيث يفاض علينا الرزق الدنيوي الوفير والخير الكثير لحياتنا في الآخرة . هذا الميزان يتحقق وفق الآية الكريمة التي معناها .

يا أيها الذين آمنوا إذا أذن المؤذن في يوم الجمعة للصلاة فاتركوا البيع واسعوا لتسمعوا موعظة الامام في خطبته وعليكم أن تمشوا الهوينى بسكينة ووقار وعفة وأدب حتى تصلوا إلى المسجد ، إن ذلك السعي وترك البيع خير لكم من التشاغل بالبيع وابتغاء النفع الدنيوي فإن منافع الآخرة خير لكم وأبقى فهي المنافع الباقية أما منافع الدنيا فهي زائلة وما عند الله خير لكم إن كنتم من ذوي العلم الصحيح بما يضر وما ينفع ، فاذا اديتم الصلاة فتفرقوا لأداء مصالحكم الدنيوية بعد أن أديتم ما ينفعكم في آخرتكم واطلبوا الثواب من ربكم واذكروا الله وراقبوه في جميع شؤونكم فهو العليم بالسر والنجوى لا تخفى عليه خافية من أموركم لعلكم تفوزون بالفلاح في دنياكم وآخرتكم وفي هذا ايماء إلى شيئين :

١ ـ مراقبة الله في أعمال الدنيا حتى لا يطغى عليكم حبها بجمع حطامها بأي الوسائل من حلال وحرام .

٢ ـ إن في مراقبته تعالى الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فلأن من راقب الله لا يغش في كيل ولا وزن ولا يغير سلعة بأخرى ،

ولا يكذب في مساومة ولا يحلف كذباً ، ولا يخلف وعداً ومتى كان كذلك شهر بين الناس بحسن المعاملة وأحبوه ، وصار له من حسن الأحدوثة ما يضاعف له الله به الرزق وأما في الآخرة فيفوز برضوان ربه وبجنات تجري من تحتها الأنهار ونعم أجر العاملين . كان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال « اللهم اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت في الأرض كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين» وإذا رأى بعض المؤمنين غير تجارة أو لهوا أسرعوا وتركوك قائماً وأنت تخطب الناس فهذا عمل خطأ لأن ما عند الله مما ينفعكم في الآخرة خير لكم مما يفيدكم في الدنيا من التمتع بخيراتها وكسب لذاتها فتلك باقية وهذه فانية ، ولكن إلى الله سبحانه فاسعوا ومنه فاطلبوا الرزق ولن يفوتكم ذلك بسماع عظاته ، فالله كفيل برزقكم ولن ينقص بترككم البيع والشراء حين الصلاة وحين سماع العظات والنصائح .

ونستنتج من مجمل هذه الآيات أنه على الرغم من قناعة المسلم الأكيدة بأن الله هو الرزاق الذي تكفل بالعباد وأن خيره الكثير لعباده وخاصة الذين آمنوا به منهم ، لكن ذلك لا يعفي المسلم من السعي المعروف في طلب الرزق ولو في يوم الجمعة ولكن بشكل لا ينسي المسلم صلاته ولا ينسيه ربه ولا ينسيه ذكره الدائم في جميع حالاته في بيعه وشرائه وفي أكله وشرابه في أنسه ولهوه ومرحه في حزنه وألمه .

٤ ـ ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾ ٧١ ـ ١٠ ، ١١ ، ١٢

هذه الآية الرابعة تضيف الاستغفار العملي من الذنوب والمعاصي والآثام إلى الايمان والتقوى والعمل الصالح وكثرة ذكر الله عز وجل لتكون

بمجموعها الطرق الوحيدة للاكثار من الخير والمال والسعادة في الدنيا والآخرة للانسان المسلم ، فمن أراد هذه السعادة فليتبع ما أمر الله في آياته الأربعة المذكورة ولا يستعجل ويقول دعوت فلم يستجب لي وأحسنت فلم يغنني الله من فضله وسيرى كيف أن المنتصرين والسعداء والأغنياء ولو لم يوفر كامل أسباب النجاح ولكنه عليه أن يبدأ ويسعى مع الايمان والتقوى والعمل الصالح وكثرة ذكر الله والاستغفار العملي ثم لا بد وأن تتحقق وعود الله له حتماً ومؤكداً . وقد ورد في تفسير المراغي الشرح التالي للآية الرابعة :

استغفروا ربكم أيها المؤمنون أي اطلبوا غفران ذنوبكم وتوبوا إليه من كفركم وعبادة ما سواه من الآلهة ووحدوه واخلصوا له العبادة ومن جميع الذنوب مع الناس ومع الخالق والذنوب التي تعكر صفو الايمان من شبه وشرك خفي وشقاق ونفاق وعجب وغرور وكبر وحسد إن الله غفار أي شديد المغفرة لمن يطلبها صادقاً تائباً منيباً لذنوب من أناب إليه ومتى صدقت العزيمة وخلصت النية وصحت التوبة فضلاً منه وجوداً وإن كانت كزبد البحر ، ولما كان الانسان مجبولاً على محبة الخيرات العاجلة كما قال تعالى ﴿ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ﴾ لا جرم أعلمهم أن ايمانهم بالله يجمع لهم إلى الحظ الأوفر في الآخرة الخصب والغنى وكثرة الأولاد في الدنيا ومن ثم وعدهم بخمسة أشياء إن صدقوا التوبة وكانت هذه التوبة عملية وهي :

١ ـ ﴿ يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾ أي يرسل المطر عليكم متتابعاً فتزرعون ما تحبون ويكثر الخصب والغلات النافعة لكم في معاشكم من حبوب وثمار وتحدث لكم طمأنينة وأمن غذائي وراحة لتوافر ما تشتهون مما هو سبب السعادة والهدى .

٢ ـ ﴿ ويمددكم بأموال ﴾ أي ويكثر لكم الأموال والخيرات على سائر ضروبها واختلاف الوانها .

٣ ـ ﴿ وبنين ﴾ أي ويكثر لكم الأولاد فقد ثبت لدى علماء الاجتماع أن النسل لا يكثر في أمة إلا إذا استتب فيها الأمن وارتفع منها الظلم وساد العدل بين الأفراد وتوافرت لهم وسائل الرزق .

٤ ـ ﴿ ويجعل لكم جنات ﴾ أي ويوجد لكم بساتين عامرة تأخذون من ثمارها ما به تنتفعون ولن يطمع الناس في الفاكهة إلا إذا وجدت لديهم الأقوات وكثرت الغلات .

٥ ـ ﴿ ويجعل لكم أنهاراً ﴾ جارية بها يكثر الخصب والزرع بمختلف ألوانه وأشكاله .

ولا جرم أن الأمة الكثيرة البساتين والمزارع مع أسبابها التي ذكرناها من الايمان والتقوى والعمل الصالح وكثرة ذكر الله تعالى والاستغفار من الذنوب يعمها الرخاء وتسعد في حياتها الدنيوية . وعن الحسن أن رجلاً شكا إليه الجدب فقال له استغفر الله وشكا إليه آخر الفقر وقلة النسل فقال له استغفر الله ، وشكا إليه ثالث جفاف بساتينه فقال له استغفر الله . فقال له بعض القوم أتاك رجال يشكون إليك أنواعاً من الحاجة فأمرتهم كلهم بالاستغفار فقال : ما قلت من نفسي شيئاً إنما اعتبرت قول الله عز وجل في الآية موضع البحث .

البحث الثامن : اسباب زوال النعم :

بعد أن رأينا كيف أن الايمان والتقوى والعمل الصالح والاستغفار العملي وكثرة ذكر الله عز وجل اسباب تؤدي لتحقيق وعود الله الخمسة بخير السماء والأموال والبين والجنات والأنهار وذلك مع اتخاذ أسباب

الرزق المعتاد الشرعية ، لا بد من أن نسأل أنفسنا سؤالين هامين .

١ ـ هل يمكن أن تزول نعمة أنعمها الله على عباده ؟ .

٢ ـ ماذا يأمر الله عباده الأتقياء أن يفعلوا ويتصرفوا بنعمته التي خولهم إياها ؟

سنبدأ باستعراض آيات القرآن الكريم التي تشرح لنا ما هي اسباب زوال النعم عن العباد ونؤجل الاجابة على كيفية التصرف بالأموال إلى ابحاث تالية إن شاء الله :

١ ـ ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأنَّ الله سميع عليم ﴾ ٨ ـ ٥٣

لقد جرت سنة الله ألا يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الأحوال التي استحقوا بها تلك النعمة وفي الآية ايماء إلى أن نعم الله على الأمم والأفراد منوطة ابتداء ودواماً بأخلاق وصفات وأعمال تقتضيها فما دامت هذه الشؤون ثابتة لهم متمكنة منهم كانت تلك النعم ثابتة لهم والله لا ينتزعها منهم بغير ظلم منهم ولا جرم فإذا هم غيروا ما بأنفسهم من تلك العقائد والأخلاق وما يلزم ذلك من محاسن الأعمال غير الله حالهم ، وسلب نعمتهم منهم ، فصار الغني فقيراً والعزيز ذليلاً والقوي ضعيفاً . وليست سعادة الأمم وقوتها وغلبتها منوطة بسعة الثروة ولا كثرة العدد كما يظن بعض المشركين فقط إذ لا بد أيضاً من الايمان والعمل الصالح والاستغفار المستمر العملي والتقوى وكثرة ذكر الله عز وجل ، كذلك لا يحابي الله تعالى بعض الشعوب والأمم بنسبها وفضل بعض أجدادها على غيرهم بنبوة أو ما دونها فيؤتيهم الملك والسيادة لأجل الأنبياء الذين ينسبون إليهم كما كان شأن بني اسرائيل في غرورهم وتفضيل أنفسهم على جميع شعوب الدنيا بنسبهم وهكذا شأن النصارى والمسلمين

من بعدهم إذ اتبعوا سنتهم واغتروا بدينهم وإن كانوا من أشد المخالفين له .

٢ ـ ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ ٩ ـ ٢٤

ورد في تفسير المراغي النص التالي في تفسير هذه الآية حرفياً :

(إن كنتم تفضلون حظوظ الدنيا وشهواتها من الآباء والأبناء والأخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله الذي وعدتم عليه أنواع السعادة الأبدية في الآخرة فانتظروا حتى يأتي أمر الله أي عقوبته التي تحل بكم عاجلاً أو آجلاً . وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الأمور الداعية إلى مخالطة الناس وحصرها في أربعة :

١ ـ مخالطة الأقارب وذكر منهم الأدباء والأبناء والأخوان والأزواج ثم ذكر الباقي بلفظ العشيرة

٢ ـ الميل إلى إمساك الأموال المكتسبة .

٣ ـ الرغبة في تحصيل الأموال وتثميرها بالتجارة .

٤ ـ الرغبة في الأوطان والدور التي بنيت للسكنى .

وخلاصة ذلك أن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية أولى عندكم من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيله ، فتربصوا بما تحبون حتى يأتي الله بعقوبة من عنده عاجلة أو آجلة . ولا يخفى ما في ذلك من الوعيد

والتهديد ومن الايماء إلى أنه إذا وقع التعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم نبذ الثانية والقاؤ ها وراءه ظهرياً وبتفصيل ما تقدم في الآية نجد أنها حوت أموراً ثمانية من أفضل ما يحب :

١ ـ حب الابناء للآباء ، وهو غريزي في النفوس فالولد بضعة من أبيه يرث بعض صفاته وطبائعه من جسمية وخلقية وقد كان العرب يفاخرون بآبائهم في أسواقهم وفي معاهد الحج ، كما قال تعالى حاثاً على ذكره ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾.

٢ ـ حب الآباء للأبناء وهو غريزي أيضاً ، وحب الوالد للولد أقوى وأبقى من عكسه فهو يحرص على بقائه كما يحرس على نفسه وأشد ويحرم نفسه كثيراً من الطيبات ايثاراً له بها في حاضر أمره ومستقبله ، ويكابد الأهوال ويركب الصعاب ويقوم بتربيته وتعليمه إذ هو مناط الآمال وزينة الحياة كما قال تعالى ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾.

٣ ـ حب الأخوة ، وهو يلي في المرتبة حب البنوة والأبوة ، وهو حب يقتضيه التناصر والتعاون في الكفاح والحياة والبيوت التي سلمت فطرة اهلها وكرمت أخلاقهم يحبون اخوتهم كأنفسهم وأولادهم ويوقرون كبيرهم ويرحمون صغيرهم ويكفلون من يتركه أبوه صغيراً فيتربى مع أولادهم كأحدهم .

٤ ـ حب الزوجة وبالزوجية يتحد بشران يتمم وجود كل منهما وجود الآخر وينتجان بشراً مثلهما ومن ثم امتن الله عليها به فقال ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾.

٥ ـ حب العشيرة، وهو حب عصبية وتعاون وولاية ونصر في مواطن القتال والنزال والذود عن الحمى والحريم ، وهو يكون على أشده في أهل البداوة ومن ثم على مقربة منهم من أهل الحضر .

٦ ـ حب الأموال المقترفة أي المكتسبة وهو أقوى من حب الأموال الموروثة لأن عناء النفس في جمعها يجعل لها في قلبه منزلة لا تكون لما يجيء من المال عفواً .

٧ ـ حب التجارة التي يخشى كسادها في حال الحرب وقد كان لبعض المسلمين من أهل مكة تجارة يخشون كسادها في ذلك الحين لأن أكثر مستهلكيها كانوا من المشركين وكانت اسواقها تنصب في موسم الحج وقد منع منه المشركون بنص الآيات السابقة واللاحقة .

٨ ـ حب المساكن الطيبة المرضية وقد كان لبعض المسلمين دور حسنة في مكة كانوا يتمتعون فيها بالاقامة والسكنى لما فيها من المرافق وأسباب الراحة .

فهذه الثمانية الأنواع من الحب تجعل القتال مكروهاً مبغوضاً لدى النفوس فوق ماله من بغض بمقتضى ذاته كما قال تعالى ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ﴾ أما حبه تعالى فيجب أن يكون فوق هذه الأنواع لفضله واحسانه بالايجاد والاعدام وتسخير منافع الدنيا للناس وهو يتفاوت بتفاوت معارف الانسان في آلاء الله في خلقه وأدراك ما فيها من الابداع والاتقان ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ وكذلك حب رسوله يجب أن يكون فوق هذه ايضاً فإنه ﷺ كان المثل الأعلى في أخلاقه وآدابه وقد أرسله الله هداية للعالمين إلى يوم الدين . والله لا يهدي القوم الفاسقين أي الخارجين من حدود الدين والشريعة ومن سلامة الفطرة إلى فساد الطباع ، ومن نور العقل إلى ظلمة الجهل والتقليد ، وقد جرت سنته تعالى أن يكون الفاسقون محرومين من الهداية الفطرية التي يهتدي إلى معرفتها الانسان بالعقل السليم والوجدان الصحيح ومن ثم فهم يؤثرون حب

القرابة والمنفعة الطارئة كالمال والتجارة على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله هذا وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل حب الله ورسوله « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار». والوسيلة إلى هذه المعرفةُ والحب كثرة الذكر والفكر وتدبر القرآن والتزام أحكام الشرع ، والذكر الحق هو ذكر القلب مع حسن النية وصحة القصد وتأمل سنن الله وآياته في الخلق وان تذكر حين رؤية كل شيء من صنع الله وسماع كل صوب من مخلوقات الله أنه يسبح بحمده تعالى ويدل على قدرته وحكمته ورحمته .

٢ ـ ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ ١٦ ـ ١١٢

بين الله صفة القرية أو أي بلد أو مجتمع يكفر بأنعم الله فقال إن كانت قرية آمنة من العدو والقتال والجوع والسبي يأتيها الرزق الكثير من سائر البلدان فكفروا بنعم الله فعمهم الجوع والخوف وذاقوا مرارتهما بعد سعة العيش والطمأنينة . وقد جاءهم رسول من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فكذبوه فيما أخبرهم من وجوب الشكر على النعمة فأخذهم العذاب واستأصل شأفتهم لالتباسهم بالظلم وهو الكفر وتكذيب الرسول ، وفي هذا ايماء إلى تماديهم في الكفر والعناد وإلى أن ترتيب العذاب على تكذيب الرسول جاء على سنة الله في أنه لا يعذب أمة إلا إذا انذرها وبعث إليها رسولاً يعظها ويرشدها ، كما يدل على ذلك قوله ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ وهكذا حال أهل مكة وكل مجتمع بعده لأن الرسول لعصره ولجميع العصور بعده فإنهم في حرم آمن يتخطف الناس من حولهم ولا

يمر بهم طيف من الخوف ولا يزعج قلوبهم مزعج وكانت تجبى إليهم ثمرات كل شيء وقد جاءهم رسول من أنفسهم فأنذرهم وحذرهم فكفروا بأنعم الله وكذبوا رسله فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، وأذاقهم لباس الجوع والخوف ، فاضطروا إلى أكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة . وكان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من سرايا رسول الله ﷺ حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم أخذهم يوم بدر ما أخذهم من العذاب ، وقد جعل الله الجوع والخوف اللذين خالط أذاهما أجسامهم لباسا لهم لأن أثرهما وضررهما قد أحاط بهم من كل جانب فاشبها اللباس الذي يغطي الجسم ويحيط به وجعل اصابتهم بهما اذاقة دلالة على شدة تأثيرهما الشديد الذي حدث فيهم كما يكون ذلك حين ذوق شيء مر بشع كريه إذ يجد الذائق تقززاً واشمئزازاً . أي أن الجوع والخوف مترافقان مع الكفر بأنعم الله وعكسهما كما مر معنا مرتبط بالايمان والتقوى والعمل الصالح والاستغفار المستمر وكثرة ذكر الله مع العمل فيجني الانسان والمجتمع مؤكدا الخير الكثير العميم من إطعام وأمن وخيرات كثيرة ، وكما وعد الله يرسل المطر فتحيا به الأراضي ويمدد بالأموال والبنين ويجعل البلاد جنات ويجعل فيها انهاراً تجري مستمرة بالخير العميم الوفير .

٣ ـ ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾ ١٧ ـ ١٦

أي إذا دنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك أي قرية بعذاب الاستئصال لما ظهر منها من المعاصي ودنست به أنفسها من الاثام لم نعالجها بالعقوبة بل نأمر مترفيها بالطاعة فإذا فسقوا عن أمرنا وتمردوا حل عليهم العذاب جزاء وفاقاً لاجتراحهم السيئات ولارتكابهم كبائر الاثم والفواحش فدمرنا تلك

القرية تدميراً ولم نبق منها دياراً ولا نافخ نار . وخص المترفين بالذكر لما جرت به العادة أن سواهم يكون تبعاً لهم وأن العامة والدهماء يقلدونهم فيما يفعلون ولأنهم اسرع إلى الفجور وأقدر على الوصول إلى سبله .

البحث التاسع : الحث على الانفاق :

بعد أن يسلك الانسان المؤمن السبيل السوي الذي أمر به الله ثم ينعم الله عليه نعمه الكثيرة الظاهرة والباطنة فماذا يفعل وكيف يتصرف بهذه النعم ؟ هل هو حر في اكتنازها وحبسها عنده على الرغم من صلاحه وتقواه وعبادته وكثرة ذكره لله عز وجل ، يجيبنا القرآن الكريم أن كلا المسلم المؤمن ليس حراً في احتباس نعمة أنعمها الله عليه عنده وحجبها عن المحتاجين ولو أدى الزكاة المفروضة إذ أن الزكاة قد لا تكفي لسد حاجة المعوزين والمساكين والفقراء وحاجة الدعوة إلى الله وإكمال التكافل الاجتماعي الذي أمر الله به إذن هناك حقٌ لله في النعم التي يهبها لعباده فوق الزكاة المفروضة ، فإذا قرأنا القرآن ، نجد أن الآيات الحاثة على الانفاق تبلغ خمساً وسبعين آية بينما الآيات الحاثة على الصلاة سبعون آية بينما الآيات الحاثة على الزكاة اثنتان وثلاثون آية فقط ، لنستعرض الآيات التسعة التي ورد فيها الانفاق أمراً أي بصيغة فعل الأمر (انفقوا) ونحن نعلم أن أوامر القرآن فريضة كالصلاة والزكاة والحج والشهادتين :

١ ـ ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة واحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ ٢ ـ ١٩٥ .

ابذلوا المال في وسائل الدفاع عن بيئة الدين فاشتروا السلاح والكراع وعدد الحرب التي لعدوكم مثلها ، إن لم تزيدوا عليه حتى لا يكون له الغلب عليكم وإلى هذا أشار بقوله : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، أي إنكم إن لم تبذلوا في سبيل الله وتأييد دينه كل ما تستطيعون من مال واعداد

للعدة ، فقد أهلكتم أنفسكم . وروي أن أبا أيوب الأنصاري قال فينا معشر الأنصار نزلت هذه الآية إنه لما أعز الله دينه ونصر رسوله همس بعضنا في أذن بعض إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الاسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فاصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله على نبيه ما يرد علينا ما قلنا (وانفقوا) الآية فكانت التهلكة الاقامة على الأموال أصلحها وترك الجهاد رواه أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم في جماعة آخرين . والخلاصة أن المشركين كانوا بالمرصاد للمؤمنين وهم من الكثرة بحيث يخشى شرهم فلو انصرف المؤمنون عن الاستعداد للجهاد إلى تثمير الأموال لأوقعوا بهم فيكونون حينئذ قد ألقوا بأيديهم إلى التهلكة ، وأحسنوا كل أعمالكم وجَوّدوها ولا تهملوا اتقان شيء منها ويدخل ذلك التطوع بالانفاق في سبيل الله لنشر دعوة الدين .

وقتال النبي ﷺ وأصحابه في الصدر الأول، كان دفاعاً عن الحق وأهله وحماية دعوة الدين فكانوا يبدؤ ون أولا بالدعوة بالحجة والبرهان . فإذا منعوا بالقوة وهدد الداعي أو قتل قاتلوا حماية للدعاة ونشرا للدعوة لا للاكراه على الدخول في الدين إذ ذاك منهي عنه فإذا لم يوجد من يصد الدعوة أو يهدد الدعاة ويعتدي على المؤمنين فلا يفرض علينا الجهاد لسفك الدماء، وإزهاق الأرواح ولا للطمع في الغنائم الأنفال؛ وجملة القول أن القتال شرع للدفاع عن الحق وأهله ، وحماية الدعوة الاسلامية ويعد لها عدتها من العلم والحجة بحسب حال العصر وعلومه ويقرن ذلك بالاستعداد التام بحمايتها من العدوان وكل ذلك يحتاج للمال فإن لم يأمر الله المؤمنين بدفع أموالهم بدون حد كما فعل الصحابة الأولون فمن أين يمكن تدبير هذا الاستعداد . ولم يشهد التاريخ أمة قوية رحيمة بالضعفاء في فتوحها كالأمة العربية كما اعترف بذلك المنصفون من الافرنج . فقد قال جوستاف لوبون الفيلسوف الفرنسي ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا

أرحم من العرب ، وما يتجنى به أعداء الاسلام من دعواهم إن الاسلام قام بالسيف فقول يكذبه التاريخ ولا يؤيده من ينظر إلى الأمور بعين الانصاف ويدع الهوى وراءه ظهرياً .

٣ ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ﴾ ٢ ـ ٢٥٤

ورد تفسير هذه الآية في كتاب المراغي كما يلي : (الانفاق هنا يشمل الانفاق الواجب بالزكاة والانفاق المستحب أيضاً ذاك أنه إذا اضطرب حبل الامن في الأمة أو انتشر المرض في أبنائها أو كثر الجهل في أفرادها ولا سبيل لدرء هذا إلا ببذل المال وجب على الأغنياء أن يبذلوه لدفع هذه المفاسد وإزالة هذه الطوارىء لحفظ المصالح العامة وفي قوله « مما رزقناكم » حث على الانفاق وإشعار بأنه لا يطلب منهم إلا بعض ما جعلهم مستخلفين فيه من رزقه ونعمه .

وقوله « من قبل أن يأتي يوم . . . » أي قبل أن يأتي يوم الحساب الذي لا يفدى فيه مقصر بمال ولا تنفع فيه الصداقة ولا تجدي الشفاعة وخلاصة ذلك أن الانفاق في سبيل البر هو الذي ينجيكم في ذلك اليوم الذي لا ينجي فيه الأشحة الباخلين من عذاب الله فداء يفتدون به أنفسهم ولا خلة يحمل فيها الخليل شيئاً من أوزار خليله أو يهبه شيئاً من حسناته ولا شفاعة يؤثر بها الشفيع فيما أراده الله فيحولها عن مجازاة الكافر بالنعمة والباخل بالصدقة المستحق للمقت والعقوبة بما دنس به نفسه في الدنيا ودساها به من المعاصي والآثام ويجعله يترك عقوبته مرضاة له . ونحو الآية قوله تعالى ﴿ واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾ وفي الآية ايماء إلى أن أمور الآخرة لا تقاس على ما هو حاصل في الدنيا فلا يظن أمرؤ أن ينجو فيها بفداء يفتدى به أو

شفاعة تناله من النبيين والربانيين كما كانت في الدنيا تناله من الأمراء والسلاطين وإن كان في هذه الحياة فاسقاً ظالماً فاسد الأخلاق مناعاً للخير معتدياً أثيماً . والكافرون هم الظالمون أي والتاركون للانفاق هم الذين ظلموا أنفسهم إذ وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه في غير وجهه وقد سماهم الله كافرين تغليظاً وتهديداً كما قال في آخر آية الحج ﴿ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ وإيذاناً بأن ترك الانفاق من صفات الكفار كقوله ﴿ وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ ذلك أن العلة في منع الزكاة ونحوها من النفقات الواجبة إن حب المال أعلى في قلب المانع من حب الله تعالى وشأنه أعظم في نفسه من حقوقه عز وجل والنفس تذعن دائماً لما هو أرجح لديها نفعاً وأعظم في وجدانها وقعاً .

وظلم الباخل لنفسه بمنع فضل ماله على ملهوف يغيثه المنتظر لكشف ضرورته أو على المصالح العامة التي تقي امته مصارع السوء أو ترفع من قدرها أو تزيل العقبات من طريقها من أقبح أنواع الظلم فلا يعذر صاحبه بوجه من الوجوه التي يتعلل بها سواه ممن ظلموا أنفسهم . وأن حال المسلمين اليوم لتوجب الأسى والحزن فترى أغنياءهم يعرفون حاجة أمتهم إلى بذل المال في إنشاء دور العلم لينشلوها من بحار الجهل التي هي غارقة فيها وإلى رفع مستوى أخلاقها التي وصلت إلى الدرك الأسفل من الانحطاط حتى عم الفقر والشقاء ثم هم بعد ذلك يبخلون بفضله مما أعطاهم الله من رزقه لتكون بلسماً تداوى به تلك النفوس المكلومة وعلاجاً لهذه الأمراض التي انتابتها . ومثل هؤلاء لا يستحقون أن ينسبوا إلى الإسلام ولا أن يكونوا من المسلمين إذ ليس في أحدهم عرق ينبض أو يتألم لمصائب المسلمين فمن كان يرى أن ماله أفضل من دينه في الوجدان والعمل وهو أرجح من رضوان ربه فهو كافر بنعمته وإن سمى نفسه مؤمناً فما ايمانه إلا كايمان من نزل فيهم ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم

الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ وقد أنذر الله مثل هؤلاء بقول ﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾.

٣ ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد ﴾ ٢ ـ ٢٦٧

يا أيها الذين آمنوا انفقوا من جياد أموالكم المكسوبة من النقد وسلع التجارة والماشية ومما أخرجنا من الأرض من الحبوب والثمار وغيرها قال تعالى ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون أي ولا تقصدوا الخبيث الرديء من أموالكم فتخصوه بالانفاق منه وقد روي في سبب نزول الآية أن بعض المسلمين كانوا يأتون بصدقتهم من حصف التمر أي رديئه ، وكما نهينا عن تعمد تخصيص الصدقة بالخبيث نهينا عن تكليف المتصدق بدفع الجيد من ماله فحسب فقد قال ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن اعلمهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم وإياك وكرائم أموالهم فالواجب أخذ الوسط . ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه أي كيف تقصدون الخبيث وتتصدقون به وحده ولستم ترضون مثله لأنفسكم إلا أن تتساهلوا فيه تساهل من أغمض عينيه عنه فلم ير العيب فيه ولن يرضى ذلك أحد لنفسه ألا وهو يرى أنه مغبون مغموض الحق ألا ترى أن الرديء لا يقبل هديه إلا بإغماض فيه وتساهل مع المهدي لأن اهداءه يشعر بقلة الاحترام لمن أهدى إليه والذي يقبله مع الاغماض انما يقبله لحاجته إليه أو لخوف الحق والله لا يحتاج فيغمض . واعلموا أن الله غني حميد أي أن الله غني عن انفاقكم وإنما يأمركم به لمنفعتكم فلا تقربوا إليه بما لا يقبله لرداءته وهو المستحق للحمد

على جلائل نعمائه ومن الحمد اللائق بجلاله تجرى انفاق الطيب مما أنعم الله .

٤ ـ ﴿ قل انفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين ﴾ ٩ ـ ٥٣

أي قل أيها الرسول لهؤلاء المنافقين انفقوا من اموالكم ما شئتم في الجهاد أو في غيره من النفقات التي أمر الله بها وحث في شرعه عليها حال الطوع تقية وحفظاً للنفس وكرهاً وخوفاً من العقوبة فمهما انفقتم فلن يتقبل منكم ما دمتم في شك مما جاء به الرسول من الدين والجزاء على الأعمال في الآخرة لأنكم قوم فاسقون أي خارجون من دائرة الايمان والله إنما يتقبل من المؤمنين .

٥ ـ ﴿ وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين ﴾ ٣٦ ـ ٤٧

وإذا أمروا بالانفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحاويج من المسلمين قالوا لمن طلب منهم ذلك لو شاء الله لأغناهم وأطعمهم من رزقه فنحن نوافق مشيئة الله فيهم . وفي قوله مما رزقكم الله ترغيب في الانفاق على نهج قوله ﴿ واحسن كما أحسن الله إليك ﴾ وتنبيه إلى عظيم حرمهم في ترك الأمتثال للأمر وذم لهم على ترك الشفقة على عباد الله . وإجمال ذلك أنهم لم يعظموا الخالق ولم يشفقوا على المخلوق ، ثم ذكر أنهم على شحهم وبخلهم عابوا الأمر على الانفاق ووصفوه بالضلال البين الذي لا شبهة فيه فقال ﴿ إن أنتم إلا في ضلال مبين ﴾ أي ما أنتم أيها القوم في قولكم لنا أنفقوا مما رزقكم الله على مساكينكم إلا في جور بين وبعد عن سبيل الرشاد لمن تأمل وتدبر وهذا معذرة البخلاء في كل عصر ومصر إذ تراهم دائماً يقولون لا نعطي من حرمه الله وتلك فرية منهم لأن الله أغنى

بعض الخلق وأفقر بعضا ابتلاء منه لعباده ولأسباب نحن لا نعلمها لا بخلاً منه وشحاً وأمره الأغنياء بالانفاق على الفقراء ليس لحاجة منه إلى مالهم بل ليبلوهم ويرى أيمتثلون الأمر ويؤدون الواجب أم ينكثون على أعقابهم ويولون مدبرين ولا ينبغي لأحد أن يعترض على مشيئة ربه لأنه يجهل أسباب ما يشاهد ويرى في الكون .

٦ ـ ﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾ ٥٧ ـ ٧

أقروا بوحدانية الله وصدقوا رسوله فيما جاءكم به عن ربكم تنالوا الفوز برضوانه وتدخلوا فراديس جناته وتسعدوا بما لم يدر لكم بخلد ولم يخطر لكم ببال ، ﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ أو وأنفقوا مما هو معكم من المال على سبيل العارية فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم واستعملوه في طاعته وإلا حاسبكم على ذلك حساباً عسيراً ولله در لبيد إذ يقول:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع

وفي هذا ترغيب أيما ترغيب في الانفاق لأن من علم أن المال لم يبق لمن قبله وانتقل إليه علم أنه لا يدوم له بل ينتقل إلى غيره وبذا يسهل عليه انفاقه قال شعبة سمعت عن قتادة يحدث عن مطرف بن عبدالله عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول الهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس.

ثم حث على ما تقدم من الايمان والانفاق في سبيل الله فقال فالذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله منكم وانفقوا مما خولهم الله عمن قبلهم في سبيل الله لهم الثواب العظيم عند ربهم وهناك يرون من الكرامة والمشورة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

٧ ـ ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول

رب لولا اخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ﴾ ٦٣ ـ ١٠

وانفقوا بعض ما أعطيناكم من فضلنا من الأموال شكرا على النعمة ورحمة بالفقراء من عباده وادخروا ذلك ليوم العرض والحساب فتجنوا ثمار ما عملتم ولا تذخروه في صناديقكم وتدعوه لوارثكم فربما أضاعه فيما لا يكسبكم عمداً ولا منحاً بل يكسبكم ذماً وقدحاً ، وقد جاء في الخبر أطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام ولا تنظروا حتى يحين وقت الاحتضار وتروا الموت رأي العين ثم تتمنون أن لو مد الله في الأجل وأطال العمر لتتداركوا ما فات وتحسنوا العمل وتساعدوا البائسين وذوي الحاجة فهيهات هيهات فليس ذا وقت الندم ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغي مرتع مبتغيه وخيم .

فأنى للعمر أن يطول وللحياة أن تزيد ولكل نفس اجل لا تعدوه وعمر لا يزيد ولا ينقص فماذا يفيد التمني وماذا ينفع الندم والحسرة ، وذلك ما عناه سبحانه بقوله ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴾ فعلينا أن نستعد قبل حلول الأجل ، ونهيىء الزاد ليوم المعاد ﴿ فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية ﴾ وفي هذا عبرة لمن اعتبر ولم يفرط في أداء الحقوق والواجبات ثم حذرهم وأنذرهم بأنه رقيب عليهم في كل ما يأتون وما يذرون. فقال والله خبير بما تعملون فمجازيكم على الاحسان احسانا وعلى الاساءة اعراضا عنه وسخطا وبعدا عن رضوانه إنك لا تجني من الشوك العنب .

٨ ـ ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ ٦٤ ـ ١٦ .

أبذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم قال رسول الله ﷺ إذا أمرتكم بأمر

فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، ونحو هذا ما جاء في قوله ﴿ فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ واسمعوا وأطيعوا أي كونوا منقادين لما يأمركم الله ورسوله ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة ولا ترتكبوا ما نهيتم عنه وأنفقوا خيراً لأنفسكم أي وابذلوا مما رزقكم الله على الفقراء والمساكين وذوي الحاجات ، وفي الوجوه التي يكون فيها صلاح الأمة وسعادة الدنيا وذلك خير لأنفسكم من الأموال والأولاد وهذا حث على البذل وبيان أن الامتثال خير لا محالة ثم زاد في الحث على الانفاق فقال ومن يبتعد عن البخل والحرص على المال يكن من الفائزين بكل ما يرجو وينل كل ما يبغي في دينه ودنياه ، فيكون محبباً إلى الناس قرير العين برضاهم عنه وحنوهم عليه سعيداً في الآخرة بالقرب من ربه ومحبته ورضوانه ودخول جناته .

هذه الآيات الثمانية التي ورد فيها الانفاق بصيغة الأمر وهو ما يعتبر فريضة من الله عز وجل كالصلاة والصيام والحج والشهادتين غير بقية الآيات التي تأمر بالانفاق وتحث عليه وتبين أن الانفاق المقصود ليس هو الزكاة فقط وإنما وجوه كثيرة للانفاق سوى الزكاة وتبلغ في مجموعها كما ذكرنا خمساً وسبعين آية كريمة ، ويمكننا استنتاج النتائج التالية من الآيات الثمانية السابقة :

١ ـ على المسلمين الانفاق على شراء السلاح وصنعه والاستعداد للحرب للدفاع عن البلاد .

٢ ـ إن الهلكة هي ترك الاستعداد للدفاع عن النفس والتلهي بتثمير الأموال .

٣ ـ الانفاق يشمل الزكاة وغير الزكاة لدفع الجهل والمرض والتخلف عن الأمة .

٤ ـ إن الذين يتركون الانفاق هم ظالمو أنفسهم كافرون بأوامر الله الله .

٥ ـ حب الله وحب تنفيذ أوامره يجب أن يكونا أغلى وأعظم وأكبر في قلب المؤمن من المال .

٦ ـ إن بخل الأغنياء بأموالهم فيه تدهور الأمة وهوانها مما يعود على الأغنياء والفقراء بالذل والهوان والتشرد وفيه ظلم النفس قبل غيرها .

٧ ـ الانفاق يكون من أوسط المال لا من أحقره ولا من أجوده .

٨ ـ لا يقبل الله الانفاق إلا ممن آمن بالله ورسوله واتقى الله ولم يكن من الفاسقين .

٩ ـ الفقر ابتلاء من الله لعباده واختبار ليراه أيصبر أم يكفر والغنى أيضاً ابتلاء واختبار ليراه أيشكر أم يبطر ويتكبر أم يتصدق ويبذل مما آتاه الله لمن اختبرهم بالفقر .

١٠ ـ المال الذي بحوزة الاغنياء هو على سبيل الاعارة لفترة محدودة ينتقل بعدها منهم إلى غيرهم بالموت .

١١ ـ المال الذي يعطيه الله للغني كإعارة له حال حياته عليه انفاقه في سبيل الله حتى يكون لنفسه الأجر الكبير مما يعود عليه بالسعادة في الآخرة .

١٢ ـ على الغني ألا يؤجل الانفاق في سبيل الله لآخر عمره خوفاً من الموت المفاجيء أو العجز عن الانفاق فيندم على ذلك لأنه لا سبيل للعودة والانفاق من جديد .

١٣ ـ إن تقوى الله تقود إلى الانفاق على عباد الله المحتاجين وهذا

خير للنفس والمجتمع وهو الفلاح والنجاح .

١٤ ـ من يبتعد عن تلبية نداء الشح والبخل من النفس الشيطانية يفوز بكل ما يرجو في الدنيا والآخرة .

البحث العاشر : أنواع الانفاق من كل مسلم :

هناك من يدعي بأن كل ما هو مطلوب من الأغنياء انفاقه هو الزكاة المفروضة فقط لا غير وأما ما سوى ذلك ، فلا فريضة ويترك لمشيئة صاحب المال وهو حر في انفاقه على ملذاته أو التصدق بجزء منه للزكاة أو سواها ، إلا أن الحقيقة غير ذلك ، فقد أمر الله تعالى كل مسلم بالانفاق في سبيل الله سواء أوجبت عليه الزكاة أو لم تجب ، سواء كان غنياً أم فقيراً ، ودليلنا على ما نقول الآيات القرآنية التالية :

١ ـ التجارة مع الله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ ٦١ ـ ١٠ ، ١١ ، ١٢

يا أيها الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله ألا أدلكم على تجارة تنجيكم وعلى صفقة رابحة وتجارة نافعة تنالون بها الربح العظيم والنجاح الخالد الباقي ، وهذا الأسلوب يفيد التشويق والاهتمام بما يأتي بعده كما تقول هل أدلك على عالم عظيم ذي خلق وعلم فياض هو فلان فيكون ذلك أروع في الخطاب وأجلب لقبوله ثم بين الله هذه التجارة بقوله : تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم أي اثبتوا على

ايمانكم واخلصوا لله العمل وجاهدوا بالأنفس والأموال في سبيل الله بنشر دينه وإعلاء كلمته . والجهاد ضروب شتى ، جهاد العدو في ميدان القتال ونصرة الدين وجهاد للنفس بقهرها ومنعها عن شهواتها التي تريدها وجهاد بين النفس والخلق بترك الطمع في أموالهم والشفقة عليهم والرحمة بهم وجهاد فيما بين المرء والدنيا بألا يتكالب على جمع حطامها وألا ينفق المال إلا فيما تجيزه الشرائع وتقره العقول السليمة ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . أي هذا الايمان والجهاد خير لكم من كل شيء في الدنيا من نفس ومال وولد إن كنتم من أهل الادراك والعلم بوجوه المنافع وفهم المقاصد فإن الأمور إنما تتفاضل بغاياتها ونتائجها . ولهذه التجارة فوائد عاجلة وأخرى آجلة وقد فصل كلا الأمرين وقدم الثانية فقال : يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم أي إن فعلتم ذلك فآمنتم بالله وصدقتم رسوله وجاهدتم في سبيله ستر لكم ذنوبكم ومحاها وأدخلكم فراديس جناته وأسكنكم مساكن تطيب لدى النفوس وتقر بها العيون في دار الخلد الأبدي وهذا منتهى ما تسمو إليه النفوس من الفوز الذي لا فوز بعده ثم ذكر الفوز العاجل في الدنيا فقال : وأخرى تحبونها نصر من اللهوفتح قريب . أي ولكم على هذا فوز في الدنيا بنصركم على عدوكم وفتحكم للبلاد وتمكينكم منها حتى تدين لكم مشارق الأرض ومغاربها وقد أنجز الله وعده فرفعت الراية الاسلامية على جميع المعمورة من العالم في زمن وجيز ، لم يعهد التاريخ نظيره وامتلكوا بلاد القياصرة والأباطرة ، وساسوا العالم سياسة شهد لهم بفضلها العدو قبل الصديق ، ثم أمرهم أن يكونوا أنصار الله في كل حين فلا يتخاذلوا ولا يتواكلوا فيكتب لهم النصر على أعدائهم كما فعل حواريو عيسى .

وكما نعلم أن التجارة هي الشراء بقصد البيع بربح ، وعندما يريد

الانسان أن يشتري شيئاً لا بد وأن يدفع ثمنه . فما هي هذه التجارة التي يريد الله أن نعامله بها وأنها أن نعطيه ١ ـ ايماناً بالله ورسوله ٢ ـ الجهاد في سبيل الله بالأموال ٣ ـ الجهاد في سبيل الله بالأنفس ، فإذا أعطينا الله هذه الأشياء الثلاثة أعطانا أشياء تزيد في قيمتها على قيمة ما نعطيه مما يحقق لنا الربح الوفير العظيم والخير الكثير يتناسب وكرم الله وجوده إن ما يعطينا الله إياه هو ١ ـ يغفر لنا ذنوبنا ٢ ـ يدخلنا جنات تجري من تحتها الأنهار ٣ ـ مساكن طيبة في جنات إقامة وخلود أبد الدهر ٤ ـ نصر من الله وفتح قريب في الدنيا . إن التاجر العادي يرضى بربح ١٥٪ من رأسماله فما بالك لو استطاع أن يربح ٥٠٪ أو ١٠٠٪ فكم يكون سعيداً هانئاً ؟ ولكن الله يقول إن الفوز العظيم والتجارة الحقيقية المربحة هي مع الله عز وجل بأن نعطيه ايماناً بالله ورسوله والجهاد في سبيله بالأموال والأنفس فيعطينا نسبة ربح خيالية هي سعادة الدنيا والآخرة مغفرة وجنات ومساكن ونصر وفتح قريب . هذا الربح لو استطعنا نسبته لرأس المال المبذول ، لأعطانا نسبة خيالية ملايين الملايين بالمائة أو قل أن الربح نسبته لا نهائية .

٢ ـ اقراض الله عز وجل :

وردت الآيات الستة التالية في القرآن الكريم تحث على إقراض الله عز وجل وهي الآيات التالية :

١ ـ ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ﴾ ٢ ـ ٢٤٥

حث سبحانه وتعالى على الانفاق في سبيل الله بهذا الأسلوب الذي يستفز النفوس ويبسط الأكف ، إذ سماه قرضاً لله والله غني عن العالمين لعلمه بأن داعي البذل في المصالح العامة ضعيف في نفوس أكثر الناس والرغبة فيه قليلة ، فإنك لترى أن الغني يبذل أفضل ماله لافراد يعيش بينهم

إما لاتقاء شر حسده وإما لارتفاع مكانته في النفوس وإما لجلب محبتهم إياه كما قال

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان احسان

ولا سيما إذا كان البذل لذوي القربى فحفظ النفس فيه أظهر ، إذ يتعذر على الانسان أن يكون ناعم البال بين أهل الضر والبؤس سعيداً بين الأشقياء والمعوزين . أما البذل للدفاع عن الدين وإعلاء كلمته ، وحفظ حقوقه فليس فيه شيء من حظوظ النفس التي تسهل عليها مفارقة ما تحبه وهو المال إلا إذا كان تبرعاً جهرياً يتولاه الحكام والملوك ، من قبل هذا احتاج الأمر إلى المبالغة في الترغيب فإنك لا تقول من ذا الذي يقرض أو يفعل كذا إلا في الأمر العظيم الذي يندر أن يقدم عليه أحد لأنه عظيم أو شاق قل من يتصدى له .

والقرض الحسن هو ما حل محله ، ووافق المصلحة لا من قصد به الرياء والسمعة ، نعم إن ما أنفق في المصالح العامة حسن وإن أريد به الشهرة لكنه لا يدل على ثقة المنفق بربه وابتغائه مرضاته ولا على حبه للخير لذاته فلا يكون له حظ من نفقته يقربه إلى ربه والخلاصة أنه لا يكون القرض حسناً إلا إذا وضع موضعه مع البصر بوجه الحاجة ليكون فيه منفعة للمسلمين من الطريق الذي شرعه الاسلام ، فيضاعفه له أضعافاً كثيرة الاضعاف واحدها ضعف وهو مثل الشيء في المقدار يزاد عليه وقد عجز عن البذل في سبيله ابتغاء مرضاته بالقرض الحسن وهذا يقتضي أنه لا يضيع منه شيء عند الله ثم عبر ثانياً بالجزاء عليه أضعافاً مضاعفة زيادة في الترغيب والحث عليه . وهذه الاضعاف الكثيرة التي جاء في بعض الآيات أنها تبلغ سبعمائة ضعف والمراد من ذلك تكون في الدنيا والآخرة . ذلك أن المنفق لاعلاء كلمة الله ولتعزيز الأمة والدفاع عن الحق إنما يدافع عن

نفسه ويحفظ حقوقها فضعف الأمة وضياع حقوقها لا يكون إلا بما يقع على أفرادها من البلاء والعسف والظلم إلا أن بذل الأغنياء لأموالهم وقيامهم بقريضة التعاون وكفالة الغني للفقير وحماية القوي للضعيف مما يوسع المرافق على الأمة ويوفر لها السعادة ويديم لافرادها النعمة ما بقوا على هذه السنة واستقاموا على هذا النهج القويم ثم هم بذلك يستحقون سعادة الآخرة مضاعفة الثواب ورضوان الله « ورضوان من الله أكبر ».

والله يقبض ويبسط يقبض أي يقتر ويضيق ويبسط أي يوسع أي والله يقتر على بعض الناس لجهلهم بسنن الله في كسب المال وعدم نهوضهم للسعي في مناكب الأرض بسبب الأوضاع التي شرعها الله لعباده في هذه الحياة ويبسط الرزق لآخرين لأنهم ساروا على النواميس التي تقتضيها طبيعة الحياة واتخذوا الأسباب التي توصل من سلكها إلى نتائجها المحتومة كما ارشدته إلى ذلك الفطرة وسنة الوجود . ولو شاء الله أن يغني فقيراً أو يفقر غنياً لفعل فإن الأمر كله له وبيده القبض والبسط فحض الأغنياء على مؤازرة الفقراء لم يكن من حاجة له أو عجز منه ، بل هداية منه لعباده ليشكروه على تلك النعم، فيزيدهم منها كما قال ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ وبذلك يبلغ النوع الانساني كماله الاجتماعي الذي أعده له بحكمته حتى تحقق معنى الخلافة في الأرض ويعمرها على أحسن الوجوه وأفضل الحالات ثم بين مصير الخلق ومجازاتهم على مالهم من خير أو شر وفيه وعد ووعيد فقال ، وإليه ترجعون والرجوع إلى الله ضربان :

١ ـ رجوع في هذه الحياة على سننه الحكيمة ونظمه ، في الخليقة بأن يعرف المرء أن الغنى يكون بعمل العامل وتوفيق الله وتسخيره ، وأن البذل من فضل الله يأتي بالمنافع الخاصة للباذل وبالمنافع العامة لقومه الذين يعتز بهم ويسعد بسعادتهم وأن تركه يعقبه مفاسد ومضار عامة وخاصة

للأمم والأفراد وأنه لا يستقل بعمله مهما أوتي من رجاحة عقل بل له حاجة إلى معونة الله وتوفيقه بتسخير الأسباب له .

٢ ـ رجوع في الآخرة حين تظهر للمرء نتائج أعماله وآثار أفعاله ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾.

أي أن الله قد وعد من يقرض الله بأن يدفع من أمواله أجزاء إلى عباد الله المحتاجين الفقراء والمساكين وذوي القربى والمشاريع الاجتماعية الخيرية التي فيها نجاح المجتمع ككل وغناؤه وسعادته . فإن كان ذلك لوجه الله عز وجل زيادة على ما فرض عليه من نفع ضاعف له الله العوض أضعافاً كثيرة ، ولو قصد الله من هذا الاقراض الزكاة لما وعده عليه الجائزة بمضاعفة العوض المادي في الدنيا والآخرة ، أضعافاً كثيرة أي أكثر مما دفع بكثير ، ومن قال إن هذاالأمر من الله بإقراضه أمر تطوعي لا إحراج فيه لأحد هدده الله بأنه يقبض ويبسط أي هدده بالافقار إن عاند ولم يسارع لتلبية نداء الله باقراضه وله جائزة كبيرة على هذه التلبية وهذا منتهى الكرم الالهي إذ يأمرنا بأوامره وهو خالقنا ثم يثيبنا على تنفيذها .

٢ ـ ﴿ وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ ٥ ـ ١٢

وقال الله في كتابه العزيز إنه معنا أي ناصرنا ومعيننا ما دمنا محافظين على الميثاق وهو راء لأفعالنا سميع لاقوالنا عليم بضمائرنا وقادر على مجازاتنا . لئن أديتم الصلاة على وجهها وأعطيتم ما فرض عليكم من الصدقات التي تتزكى بها نفوسكم وآمنتم برسلي الذين أرسلهم إليكم ونصرتموهم معظمين لهم وبذلتم من المال زيادة على ما أوجبه الله عليكم

بالزكاة فكنتم بذلك بمثابة من أقرض ماله لغني مليء وفي لا يضيع عليه بل يجده أمامه عند الحاجة إليه لئن فعلتم كل هذا لأزيلن بتلك الحسنات تأثير سيئاتكم التي سلفت منكم من نفوسكم فلا يبقى فيها رجس ولا خبث يقتضي العقاب ، فإن الحسنات يذهبن السيئات كما يغسل الماء الأدران والأوساخ ولأدخلنكم تلك الجنات التي لا يدخلها إلا من كان طاهراً من الشرك وما يتبعه من المعاصي والآثام التي تفسد الفطرة ، فمن جحد منكم شيئاً مما أمرته به فتركه أو عمل شيئاً مما نهيته عنه بعد أخذ الميثاق عليه بالوفاء لي بطاعتي واجتنابه معصيتي فقد أخطأ الطريق الواضح وضل الصراط المستقيم الذي يوصل سالكه إلى إصلاح قلبه وتزكية نفسه ويجعله أهلاً لجوار ربه في تلك الجنات .

٣ ـ ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم ﴾ ٥٧ ـ ١١

من ذا الذي ينفق أمواله في سبيل الله محتسباً أجره عند ربه فيضاعف له ذلك القرض فيجعل له الحسنة الواحدة سبعمائة وله بعد ذلك جزاء كريم بمثوبته بالجنة . وعن أبن مسعود قال لما نزلت هذه الآية قال أبو الدحداح الانصاري يا رسول الله وإن الله ليريد منا القرض قال نعم يا أبا الدحداح قال أرني يدك يا رسول الله قال فناوله يده قال إني أقرضت ربي حائطي (بستاني) وكان له حائط فيه ستمائة نخلة ، وأم الدحداح فيه وعيالها. قال ابو الدحداح فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجي فقدأقرضته ربي عز وجل قالت له ربح بيعك يا أبا الدحداح ونقلت من متاعها وصبيانها فقال رسول الله ﷺ كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح . وهذا الأسلوب يستعمل في الأمر العزيز النادر فيقال من ذا الذي يفعل كذا وإذا كان أمراً عظيماً ، وعلى هذا جاء قوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه .

٤ ـ ﴿ إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم ﴾ ٥٧ ـ ١٨

إن المتصدقين والمتصدقات بأموالهم على البائسين وذوي الحاجة ابتغاء مرضاة الله والذين يدفعون بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله لا يريدون جزاء ممن أعطوه ويحسبونه قرضاً لله يوفيهم السداد عند الموقف العظيم فيضاعف لهم ربهم ثواب انفاقهم فيقابل الحسنة الواحدة بعشر أمثالها ، ويضاعف ذلك إلى سبعمائة ضعف ولهم ثواب جزيل ومرجع صالح .

٥ ـ ﴿ إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم ﴾ ٦٤ ـ ١٧

إن تنفقوا في طاعة الله متقربين إليه باخلاص وطيب نفس يضاعف لكم تلك الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وستر لكم ما فرط من زلاتكم كما ، في الصحيحين إن الله يقول من يقرض غير ظلوم ولا عديم ، وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ يقول الله استقرضت عبدي فأبى أن يقرضني ويشتمني عبدي وهو لا يدري يقول وادهراه وادهراه وأنا الدهر ثم تلا أبو هريرة هذه الآية أخرجه ابن جرير والحاكم وصححه ، ثم بين علة المضاعفة ورغب في النفقة فقال والله شكور حليم فيثيب من أطاعه بأضعاف مضاعفة ولا يعاجل من عصاه بعقوبته على كثرة الذنوب والخطايا .

ومبالغة في الترغيب في الانفاق والتوسعة على عباد الله الفقراء المحتاجين قال إنه الله المتفضل المنعم على عبده سيكون شاكراً لهذا العبد إن هو أنفق من المال الذي أعطاه الله إياه فتبارك الله أحكم وأكرم الحاكمين والمالكين إذ تنازل فيشكر عبده المؤمن إن هو تطوع بعمل يرغبه الله ويريده لمصلحة بقية خلقه .

٦ ـ ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ ٧٣ ـ ٢٠

صلوا الصلاة المفروضة وقوموها فلا تكون قلوبكم ولا أفعالكم خارجة عما رسمه الدين وآتوا الزكاة الواجبة عليكم وأقرضوا الله قرضاً حسناً بالانفاق في سبيل الخير للأفراد والجماعات مما هو نافع لها في رقيها المدني والاجتماعي وسيبقى لكم جزاء ذلك عند ربكم ثم حبب في الصدقة وفعل الخيرات فقال إن ما تقدموا لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله أو فعل طاعة من صلاة أو صيام أو حج أو غير ذلك تجدوا ثوابه عند الله يوم القيامة خيراً مما ابقيتم في دار الدنيا واعظم منه عائدة لكم واستغفروا الله وسلوا الله غفران ذنوبكم يصفح لكم عنها وسترها يوم الحساب والجزاء وإن الله ستار على أهل الذنوب والتقصير ذو رحمة فلا يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها . واستغفروا الله من ذنوبكم في ترك إقامة الصلاة أو إيتاء الزكاة أو عدم إقراض الله أو عدم تقديم الخير لأنفسكم والله غفور رحيم .

٣ ـ البيع للمشتري الدائم :

مر معنا ، أن هناك أنواعاً مختلفة من الانفاق ، يطلبها الله من عباده المؤمنين . وكان أولها التجارة مع الله والنوع الثاني كان الاقراض لله عز وجل والنوع الثالث من الانفاق الذي أمرنا الله به هو البيع لله الذي اعتبر نفسه مشترياً دائماً لمن يرغب في البيع . على عكس التجارة ، الذي يود البيع ولا يجد مشترياً نجد هنا أن المشتري العظيم هو الذي يعرض نفسه وما على المالك إلا أن يبيع بسعر مجــزٍ يضمن له الربح الوفير الكثير ، والآيات التي توضح هذا المعنى هي الآيات الثلاثة التالية :

١ ـ ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد ﴾ ٢ ـ ٢٠٧

ومن الناس فريق يبيع نفسه لله لا يبغي ثمناً لها غير مرضاته ولا يتحرى إلا صالح العمل وقول الحق مع الاخلاص فيهما ، فلا يتكلم بلسانين ولا يقابل الناس بوجهين ولا يؤثر عرض الدنيا وزخرفها على ما عند ربه ، هذا البيع لا يتحقق إلا إذا جاد المؤمن بنفسه وماله في سبيل الله إذا دعت الضرورة إلى ذلك كجهاد أعداء الأمة عند الاعتداء عليها أو الاستيلاء على شيء من أرضها فمن قدر على الجهاد بنفسه وجب عليه ذلك ومن قدر عليه بماله وجب عليه ذلك وإن قدر عليهما معاً وجب عليه فإن قصر في شيء من ذلك فقد آثر نفسه على مرضاة الله وخرج من زمرة المؤمنين الذين باعوا أنفسهم لله ، وأما من باع فيجازيهم على العمل القليل نعيماً دائماً ولا يكلفهم إلا ما في وسعهم عمله ويشتري منهم أموالهم لأنفسهم وهي ملكه تعالى بما لا يعد ولا يحصى من رحمته وإحسانه وكرمه ويرفع هممهم ليبذلوها في سبيله لدفع الشر والفساد عن عباده وتقرير الحق والعدل فيهم ولولا ذلك لغلب الشر من المفسدين في الأرض فلا يبقى فيها صلاح .

٢ ـ ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ ٤ ـ ٧٤

فليقاتل في سبيل الله من أراد أن يبيع الحياة الدنيا ويبذلها ويجعل الآخرة ثمناً لها وعوضاً منها لأنه يكون قد أعز دين الله وجعل كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى والله عزيز ذو انتقام ومن يقاتل في سبيله فيظفر به عدوه أو يظفر هو بعدوه فإن الله سيؤتيه أجراً عظيماً من عنده خالداً أبداً فى دار الجزاء .

٣ ـ ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ ٩ ـ ١١١

هذه أوضح آية تبين المعنى الذي قصدناه من الحث على الانفاق وهو البيع للمشتري الدائم وهو الله عز وجل وفيها يقول ويعد الله :

هذا ترغيب في الجهاد على أبلغ وجه وأحسن صورة فقد مثل الله إثابة المؤمنين على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله بتمليكهم الجنة التي هي دار النعيم والرضوان الدائم السرمدي تفضلاً منه تعالى وكرماً بصورة من باع شيئاً هو له لآخر وعاقد البيع هو رب العزة والمبيع هو بذل الأنفس والأموال والثمن هو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وجعل هذا العقد مسجلاً في الكتب السماوية وناهيك به من صك لا يقبل التحلل والفسخ وهذا منتهى الربح والفوز العظيم وكل هذا لطف منه تعالى وتكريم لعباده المؤمنين فهو المالك لأنفسهم إذ هو الذي خلقها ولأموالهم إذ هو الذي رزقها ولهذا قال الحسن اشترى انفساً هو خلقها وأموالاً هو رزقها إلا أنه تعالى غني عن أنفسهم وأموالهم والمبيع والثمن له وقد جعله بفضله وكرمه لهم . روى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو في المسجد فكبر الناس في المسجد فأقبل رجل من الأنصار ثانياً طرفي ردائه على عاتقه فقال يا رسول الله أنزلت فينا هذه الآية قال نعم فقال الأنصاري بيعربيح لا نقيل ولا نستقيل . واخرج ابن جرير أن عبد الله بن رواحة قال لرسول الله عليه السلام ليلة العقبة اشترط لنفسك ولربك فقال اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فإذا فعلنا فما لنا قال الجنة قال ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت الآية .

ثم بين صفة تسليم البيع فقال يقاتلون في سبيل الحق والعدل التي توصل إلى مرضاة الله تعالى يبذل أنفسهم وأموالهم فيكونون إما قاتلين لأعدائه الصادين عن سبيله وإما مقتولين شهداء في هذه السبيل ولا فرق بين القاتل والمقتول وفي الفضل والمثوبة عند الله فكل منهما كان في سبيله ولم يكن رغبة في سفك الدماء ولا حباً للأموال ولا توسلاً إلى ظلم العباد كما يفعل الذين يقاتلون لأغراض الدنيا من الملوك والأمراء ، وهذا الوعد وعدهم إياه وعداً أوجبه على نفسه وجعله حقاً وأثبته في التوراة والانجيل والقرآن وضياعه من الكتب التي بأيدي أهل الكتاب لا يضير في ذلك لأنه قد ضاع منهما كثير وحرف بعضهما لفظاً ومعنى ويكفي إثبات القرآن لذلك وهو المهيمن عليهما ، ولا أحد أوفى بعهده وأصدق في إنجاز وعده من الله إذ لا يمنعه من ذلك عجز عن الوفاء ولا يعرض له تردد ولا رجوع عما يريد امضاءه من شأنه فإذا كان الأمر على هذه الحال فأظهروا السرور على ما فزتم به من الجنة وذلك الفوز الذي لا فوز أعظم منه وما يتقدمه من النصر والسيادة والملك لا يعد فوزاً إلا بكونه وسيلة لاقامة الحق والعدل . وفي هذا الأسلوب من التأكيد واستحقاق المجاهدين للثواب ما لا يخفى إذ جعلهم مالكين معه ومبايعين له ومستحقين الثمن الذي بايعهم به وأكد لهم أمر الوفاء وإنجاز وعده .

٤ ـ الصدقات :

النوع الرابع من أنواع الانفاق الواجب على كل مسلم مؤمن بالله وآياته هو الصدقات أي أن ينفق من أمواله صدقة لله تدفع للفقراء والمساكين وأنواع أخرى كما سيبين الله لمن تدفع هذه الصدقات ، وقد أمر الله المؤمنين بدفع الصدقات في الآيات التالية :

١ ـ ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن

صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾ ٩-١٠٣ .

الصدقة هي ما ينفقه المؤمن قربة لله .

خذ يا أيها الرسول من أموال هؤلاء المؤمنين على اختلاف أنواعها من نقد وأنعام وأموال تجارة صدقة تطهرهم بها من دنس البخل والطمع والقسوة على الفقراء البائسين وتزكي أنفسهم بها وترفعهم إلى منازل الأبرار بفعل الخيرات حتى يكونوا أهلاً للسعادة الدنيوية والأخروية فالله يزكي لأنه الخالق الموفق للعبد لفعل ما تزكو به نفسه وتصلح ورسول الله يزكي المؤمنين لأنه هو المربي لهم على ما تزكو به نفوسهم ويعلو قدرها باتباعهم سنته العملية والقولية وبيانه لكتاب الله فهو القدوة الحسنة لهم ، وتنسب إلى المؤمن إنه زكى نفسُه لأنه قد فعل ما كان سبباً في طهارة نفسه وزكاتها من صدقات ونحوها من أعمال البر ، وادع لهم أيها الرسول للمتصدقين واستغفر لهم فإن دعاءك واستغفارك لهم سكن يذهب به اضطراب نفوسهم وتطمئن قلوبهم بقبول توبتهم ويرتاحون إلى قبول الله صفقاتهم بأخذك لها ووضعها في مواضعها والصلاة من الله على عباده رحمته لهم ومن ملائكته استغفارهم ومن المؤمنين على النبي دعاؤهم له بما أمرهم به في الصلاة بعد التشهد الأخير ، والله سميع لاعترافهم بذنوبهم وسميع لدعائك سماع قبول وإجابة عليهم بندمهم وتوبتها منها واخلاصهم في صدقاتهم وطيب أنفسهم بها عليم بما فيه الخير والمصلحة لهم وهو الذي يثيبهم عليها ، وفي هذا ايماء إلى أن المراد بالصدقة ما يعم الفريضة وغيرها .

الصدقات تطهر أنفس الأفراد من أرجاس البخل والدناءة والأثرة والطمع الجشع وتبعدهم عن اكل أموال الناس بالباطل من خيانة وسرقة وغصب وربا ، وغير ذلك . فإن من يتعود بذل بعض ما في يده ولو قليلا أو

ما أودعه في خزائنه في سبيل الله ابتغاء مرضاته ومغفرة ذنوبه يكن أرفع نفساً من أن يأخذ مال غيره من غير حق وإذا طهرت أنفس الأفراد وزكت بالعلم والتقوى وهما ثمرة الايمان طهرت جماعة المؤمنين من أرجاس الرذائل الاجتماعية التي هي مثار التحاسد والتعادي والبغي والعدوان والفتن والحروب فكما أن الأموال قوام الحياة المعيشية للفرد والمجتمع فهي مثار التنازع والتخاصم ومن ثم أوجب الدين على أصحاب الأموال من النفقات والصدقات ما يجعل الثروات وسيلة للسلام لا إلى الخصام ، وقد جمع الاسلام بين مصالح الروح والجسد للوصول إلى السعادة في الدنيا والسعادة في الآخرة فهو وسط بين اليهودية المفرطة في حب المال والنصرانية الروحانية الزاهدة فمن أهم مقاصده الاصلاحية في الاجتماع البشري هداية الناس إلى العدل في أمر المال ليبتعدوا عن شر طغيان الأغنياء على الفقراء ونصوص الدين في هذا الباب هي الغاية التي لا يطمح مصلح في التطلع إلى ما بعدها وهي هادمة لمزاعم من يفتئت على الاسلام من ارباب الجهل والهوى .

٢ - ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ ٤ - ١١٤

لا خير في كثير من المسارة بالحديث بين الناس في سهراتهم وأنديتهم ، ولكن الخير كل الخير في نجوى من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس وإنما قال في كثير لان من النجوى ما يكون في الشؤون الخاصة كالزراعة والتجارة مثلاً فلا توصف بالشر ولا هي مقصودة من الخير وإنما المراد بالنجوى الكثيرة المنفي عنها الخير هي النجوى في شؤون الناس ومن ثم استثنى منها الأشياء الثلاثة التي هي جماع الخير للناس ، والكتاب الحكيم يجعل النجوى مظنة الاثم والشر. ومن ثمَّ خاطب الله

المؤمنين في عدم التناجي بالاثم والعدوان ومعصية الرسول والسر في كون النجوى مظنة الشر في الأكثر أن العادة قد جرت بحب اظهار الخير والتحدث به في الملأ وأن الشر والاثم هو الذي يذكر في السر والنجوى وفي الأثر : **الاثم** ما حاك في النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس . وقد استثنى الله من النجوى التي لا خير في أكثرها أموراً ثلاثة لأن خيرتها أو كمالها تتوقف على الكتمان وجعل التعاون عليها سراً ، والحديث فيها نجوى فالصدقة وهي من الخير قد يؤذي اظهارها المتصدق عليه وتضع من كرامته ومن ثم قال عز من قائل ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ وقد يكون الجهر بالأمر بها والحث عليها أشد ايذاء وإهانة من ايتائه اياها جهراً ، ولو مع الاخلاص وابتغاء مرضاة الله وكذلك الأمر بالمعروف على مسمع من الناس فكثيراً ما يستاء منه المأمور به ولا سيما إذا كان الأمر من اقرانه لأنه يرى في أمره إياه استعلاء عليه بالعلم والفضل واتهاما له بالتقصير أو الجهل فمن كانت النجوى به أبعد عن الايذاء ومثله الاصلاح بين الناس فإنه ربما ترتب على اظهاره والتحدث به كثير من الشر ألا ترى أن بعض الناس إذا علم أن ما يطالب به من الصلح كان بأمر فلان من الناس لا يستجيب ولا يقبل أو يصده عن الرضا به ذكره بين الناس وعلمه بأنه كان بسعي وتواطؤ ، وقال رسول الله عليه السلام « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين»، ومن يفعل الأعمال الثلاثة من الطاعات في الصدقة أو المعروف أو الاصلاح بين الناس لوجه الله وطلب مرضاته فإن الله سيؤتيه الثواب العظيم والأجر الجزيل وإنما تنال مرضاة الله بالشيء إذا فعل على الوجه الذي يحصل به الخير ويتم به النفع الذي شرع لأجله وبذا ترقى روح الفاعل له ارتقاء تصل به إلى ذلك الفضل وتنال قرباً معنوياً من الله وتصير أهلاً للجزاء الأوفى في حياة أشرف من هذه الحياة وأرقى .

والخلاصة أن ابتغاء مرضاته إنما تطلب بالاخلاص وعدم إرادة السمعة والرياء كما يفعل المتفاخرون من الأغنياء (تصدقنا أعطينا منحنا عملنا وعملنا) فهؤلاء إنما يبتغون الربح بما يبذلون أو يعملون لا مرضاة لله تعالى ولذلك يشق عليهم أن يكون خفياً وأن يخلصوا في الحديث عنه نجياً لأن الاستفادة منه يجذب القلوب إليهم وتسخير الناس لخدمتهم ورفعهم لمكانتهم إنما تكون باظهاره لهم ليتعلق الرجاء فيهم وبعد إن وعد الله اجزاء لمن يتناجون بالخير ويبتغون نفع الناس مرضاة لله عز وجل .

٣ ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ ٢ ـ ٢٦٤

إن المن والأذى هادم للفائدة المقصودة من الصدقة ومبطل لها وهو تخفيف بؤس المحتاجين وكشف أذى الفقر عنهم إذا كانت الصدقة للأفراد وتنشيط القائمين بخدمة الأمة ومساعدتها إذا كانت الصدقة في مصلحة عامة إذ أن كل عمل لا يؤدي إلى الغاية منه فقد حبط وبطل كأن لم يكن فما بالك إذا اتبع بضد الغاية ونقيضها ، ونحو ذلك ما يقال إن صلاة المرائي باطلة على معنى أن الغرض منها وهو توجه القلب إلى الله واستشعار سلطانه والاستشعار والاذعان لعظمته والشكر لاحسانه لم يحصل لأن قلب المرائي إنما يتوجه إلى من يرائيه لا إلى ذي العظمة والجبروت والملك والملكوت وفي ذلك مبالغة أيما مبالغة في التنفير عن هاتين الرذيلتين اللتين قد أولع الناس بهما فالنفوس مغرمة بذكر ما يصدر منها من الاحسان تمدحاً وتفاخراً وذلك طريق إلى المن والايذاء ولا سيما إذا آنس المتصدق تقصيراً في شكر الناس له على صدقته أو احتقاراً لها فهو حينئذ لا يكاد يملك نفسه عن المن والأذى ، كمن ينفق ماله مرائيا الناس أي لأجل أن يروه فيحمدوه لا لابتغاء مرضاة الله بتحري ما حث عليه من رحمة

عباده الضعفاء والمعوزين وترقية شأن الأمة بما يصلح شؤونها وهو لا يؤمن بالله واليوم الآخر حتى يرجو ثواباً أو يخشى عقاباً والخلاصة أن كلا من المرائي وذي المن والأذى أتى بعمل غير مقبول ولا صحيح بل هو باطل ومردود عليه .

٥ ـ الانفاق في سبيل الله :

النوع الخامس من أنواع الانفاق التي أمر الله بها عباده المؤمنين وجعلها فريضة كاملة هو الانفاق في سبيل الله ، وقد ورد الانفاق في سبيل الله بالأموال مع الأنفس أو بدونها في أربع عشرة آية كريمة أرقامها التالية :

(٢ ، ١٩٥) (٢ ، ٢١٨) (٢ ، ٢٦١) (٢ ، ٢٦٢) (٤ ، ٩٥) (٨ ، ٦٠) (٨ ، ٧٢) (٩ ، ٢٠) (٩ ، ٣٤) (٩ ، ٤١) (٩ ، ٨١) (٤٧ ، ٣٨) (٥٧ ، ١٠) (٦١ ، ١١) وبما أن معنى هذه الآيات واحد فسنقتصر على ايراد شرح احداها .

﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ **٩ ـ ٤١**

الخفاف واحدها خفيف والثقال واحدها ثقيل ، وهما يكونان في الأجسام وصفاتها من صحة ومرض ونحافة وسمن ونشاط وكسل وشباب وكبر ويكونان في الأسباب والأحوال كالقلة والكثرة في المال ووجود الراحلة وعدم وجودها ووجود الشواغل أو اختفاؤها أي أنفروا على كل حال من يسر أو عسر وصحة أو مرض وغنى أو فقر وقلة العيال أو كثرتهم أو غير ذلك مما ينتظم في مساعدة الأسباب أو عدم مساعدتها بعد الامكان والقدرة في الجملة . فإذا أعلن النفير العام وجب الامتثال إلا حال العجز التام وهو ما بينه الله تعالى في قوله ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله﴾ ويؤيد هذا

التعميم في عموم الأحوال قول أبي ايوب الأنصاري وقد شهد المشاهد كلها إلا غزوة واحدة قال الله ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾ فلا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً وروى عن أبي راشد الحراني قال وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله عليه السلام جالساً على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص وقد فضل عنها من عظمه يريد الغزو فقلت قد أعذر الله إليك فقال أبت علينا سورة البعوث يريد براءة انفروا خفافاً وثقالاً .

وجاهدوا أعداءكم الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت ويفسدون في الأرض وابذلوا أموالكم وأنفسكم في إقامة ميزان العدل وإعلاء كلمة الحق فمن استطاع منكم الجهاد بماله ونفسه وجب عليه ذلك ومن قدر على أحدهما وجب عليه ما كان في مقدرته .

وقد كان المسلمون في الصدر الأول ينفقون على أنفسهم من أموالهم ويبذلونها لغيرهم إن استطاعوا كما فعل عثمان رضي الله عنه في تجهيز جيش العسرة في هذه الغزوة . وكما فعل غيره من ذوي اليسار من الصحابة . وذلك الذي أمرتم به من النفر والجهاد الذي هو الوسيلة في حفظ كيان الأمم وعلو كلمتها خير لكم في دينكم ودنياكم أما في الدين فلا سعادة إلا لمن ينصر الحق ويقيم العدل باتباع هدى الدين والعمل بالشرع الحكيم وأما في الدنيا فإنه لا عز للأمم ولا سيادة لها إلا بالقوة الحربية التي هي وسيلة لدفاع العدو وكبح جماحه ! إن كنتم تعلمون ذلك علماً يبعث على العمل فانفروا وجاهدوا وقد علم فضل ذلك المؤمنون الصادقون فامتثلوا أمره واهتدوا بهديه .

٦ ـ الزكاة :

الوجه السادس من وجوه الانفاق المفروضة على كل مسلم هو الزكاة بعد التجارة مع الله والاقراض لله والبيع لله والصدقات والانفاق في سبيل

الله ، وقد اقتصرت الكتابات الاقتصادية الاسلامية على هذا الفرع الأخير من وجوه الانفاق الواردة في القرآن وفصلوا أحكامها ومقاديرها وأوقاتها مع أن الزكاة لا تجب إلا على من ملك النصاب أو الحد الأدنى من الثروة بينما أنواع الانفاق الأخرى غير مقيدة بقيد لا أدنى ولا أعلى فهي بهذا المفهوم أهم وأخطر وألصق في حياة كل فرد مسلم ، وطالما أن الزكاة فرض على من ملك حداً أدنى من الثروة وهي من أركان الاسلام الأساسية إذن لا يكمل أيمان المؤمن ولا اسلام المسلم حتى يملك الثروة ويصبح بالتالي من مالكي النصاب وليستطيع دفع الزكاة المفروضة وكذلك أنواع الانفاق الأخرى ويتوسع بالتالي في الانفاق على اعلاء كلمة الله وعلى وجوه الخير المختلفة وحتى يستطيع تأدية الركن الهام أيضاً وهو الحج إلى بيت الله الحرام لأن هذا الركن أيضاً متوقف على الامكانية المادية إذن الثروة ضرورية لكل مسلم حتى يستطيع أن يؤدي الزكاة المفروضة ويحج إلى بيت الله الحرام كفرض وركن هام من أركان الاسلام ويستطيع الانفاق على الوجوه الخمسة الأخرى التي أمر الله بها إذن الثروة والغنى مع عدم تعلق القلب بالمادة فريضة أمر الله بها ولا يستقيم ايمان مؤمن ولا اسلام مسلم إلا بالغنى والثروة لأن بذلك قوة المجتمع الاسلامي وذوداً عن حياضه ودفاعاً عن مقدماته .

والآيات الثلاثون التي وردت في القرآن الكريم حاثة المسلمين على دفع الزكاة نورد أرقامها فيما يلي :

(٢ ـ ٤٣) (٢ ، ٨٣) (٢ ، ١١٠) (٢ ، ١٧٧) (٢ ، ٢٧٧) (٤ ، ٧٧) (٤ ، ١٦٢) (٥ ، ١٢) (٥ ، ٥٥) (٧ ، ١٥٦) (٩ ، ٥) (٩ ، ١١) (٩ ، ١٨) (٩ ، ٧١) (١٩ ، ٣١) (١٩ ، ٥٥) (٢١ ، ٧٣) (٢٢ ، ٤١) (٢٢ ، ٧٨) (٣٢ ، ٤) (٢٤ ، ٣٧) (٣٤ ، ٥٦) (٢٧ ، ٣) (٣٠ ، ٣٩) (٣١ ، ٤) (٣٣ ، ٣٣) (٥٨ ، ١٣) (٧٣ ، ٢٠) (٩٨ ، ٥) (٤١ ، ٧).

فرضت الزكاة على كل مسلم حر بالغ عاقل ، إذا ملك نصاباً خالياً من الدين ، فائضاً عن حوائجه الأصلية ملكاً تاماً في طرفي الحول . أما مورد الزكاة فهو كل ما يحوزه الانسان من أنواع المال المهيأ للاستثمار وقد كان المعروف من ذلك في صدر الاسلام النقدين الذهب والفضة والانعام من إبل وبقر وجاموس وغنم والزروع والثمار التي تنبتها الأرض وعروض التجارة . ويمكن أن يلحق بهذه الأنواع في زماننا هذا وفي مستقبل الأزمنة كل ما استحدث أو يستحدث من أنواع الأموال واستثماراتها كأصول المصانع والشركات وأرباحها والعمارات السكنية وايجاراتها ، والأسهم والسندات وإيراداتها وما إلى ذلك على أن يقوم كل نوع عند حساب ما يجب فيه من زكاة بما يقوم به النوع الذي يلحق به من الأنواع التي كانت معروفة من قبل ، ويختلف النصاب في كل نوع من أنواع موارد الزكاة المالية عنه بالنسبة للنوع الآخر ، حيث يحدد النصاب في كل منها بمقدار معين منه فأدنى نصاب في الذهب عشرون مثقالاً وأدناه في الفضة مائتا درهم ، وهو في الابل خمس وفي البقر والجاموس ثلاثون وفي الغنم أربعون ، بينما هو في عروض التجارة حسبما تساويه عند التقدير من الذهب والفضة وأما في الزروع والثمار فكل ما يخرج منها هذا مع ملاحظة أن كلما زاد على القدر المذكور في كل من هذه الأنواع تؤخذ عنه زكاته بحسابه وفق التفصيل المناسب .

مقدار الزكاة يتراوح بين العشر ونصف العشر وربع العشر من كل نصاب فهو في الزروع والثمار التي تروى بماء السماء أو بماء الينابيع أو الموارد المائية الأخرى ولكن بغير آلة عشر الخارج يوم حصاده وهو نصف العشر إذا رويت أرضها بآلة بينما هو في النقدين وما يقوم بهما ربع العشر فقط .

هذا وتجدر الاشارة إلى أننا لو قدرنا ما يجب أداؤه في كل نصاب

بالنسبة لأنواع الحيوانات التي تجب فيها الزكاة حسب تفصيله ، لوجدناه في الغالب حوالي ربع عشر قيمتها ومن هنا يتبين أنه في كل سنة يستحق المحتاجون للمعونة من أبناء الأمة جزءا من أربعين جزءا من رؤوس الأموال في الدولة وجزءا من عشرة أو عشرين جزءا من ثمرات زروعها ، وهو مقدار من الثروة العامة لا يخصص مثله أو قريب منه في جميع الأمم الحديثة التي قررت حصة من مواردها للانفاق على مستحقي المعونة فيها .

والزكاة من أكبر عوامل استثمار المال وتنميته ، وعدم اكتنازه تلافياً لتلاشي رأس المال وتآكله بدفع زكاته سنة بعد أخرى ، إذا لم يقم صاحبه بتنميته واستثماره ومن ثم تدور العجلة الاقتصادية وتتسع ميادين العمل وتكثر فرصه ويزداد دخل الافراد ويرتفع مستوى المعيشة ويقضى على البطالة والفاقة ، هذا فضلاً عن عظم أثر حصيلتها اجتماعياً بالنسبة لمجالات مصارفها الثمانية .

فلهذا ولغيره كانت الزكاة ركناً أساسياً ضمن خمسة أركان كلها أساسية بين الرسول عليه السلام ابتناء الاسلام عليها بقوله : بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان. وهذا يعني أنه لا يكون للإسلام وجود في إنسان ما إذا لم يسلم في قرارة نفسه بهذه الأركان الخمسة مجتمعة كما لا يكون له وجود ظاهري في الانسان نفسه، ما لم يأت بها كلها عملاً،ذلك لأن السلوك هو الترجمة العملية للعقائد المستكنة في القلوب التي لا يمكن الاطلاع عليها، ومن ثم لا يقبل ادعاء الاسلام من انسان إذا لم يباشر أداء جميع هذه الأركان الخمسة، بهذا لمعنى يكون الغنى واليسار وامتلاك النصاب وبالتالي دفع الزكاة وتأدية فريضة حج البيت حتى يكتمل ايمان المؤمن واسلام المسلم فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة.

لقد أخذت فريضة الزكاة ، أهمية طاغية في كتابات الفقهاء والمجتهدين والدارسين ، لكونها إلزامية إجبارية على كل مسلم ومسلمة ، وفق شروطها وأركانها الخاصة ، وأهملت الأنواع الخمسة الأولى من الانفاق المتوجب على كل مسلم ومسلمة بنص القرآن كما مر معنا لأنها تبدو أنها اختيارية غير ملزمة للمسلم والمسلمة ، مع أنها وردت بنص القرآن في آيات كثيرة بفعل الأمر كما الزكاة والصلاة والحج وكل الفروض الاسلامية الأخرى .

البحث الحادي عشر : لمن نعطي انفاق المسلمين :

بعد أن حث القرآن في مواضع كثيرة على انفاق الأموال التي أوكلها الله عباده إلى بعض عباده الآخرين من ذوي الحاجة والفاقة والعوز والمسكنة ، حدد ورغب ستة أنواع من النفقات على كل مسلم أن يكون له سهم ونصيب وحظ من كل منها وهي كما مر معنا في البحث العاشر التجارة مع الله والاقراض لله والصدقات والانفاق في سبيل الله والبيع لله والزكاة ، يتوارد إلى الخاطر سؤال هام لمن نعطي هذه النفقات التي أمر الله وحث على إخراجها؟ .

لقد حددت آيات كثيرة الأشخاص المستحقين لنفقات المسلمين من أموالهم تأميناً لحسن سير المجتمع الاسلامي ، وعدم تعطل كثير من طاقات أبنائه عن العمل والانتاج والعطاء بسبب فقر أو حاجة طارئة أو عارضة أو تفريج كربة أو أزمة انسان مسلم أخ لنا في المجتمع والايمان والوطنية والقومية فمن العار تركه لعوزه ولحاجته ولأزمته تفتك فيه بعد أن كان بيننا صديقاً أو أخاً أو قريباً أو جاراً أو رفيقاً ، وحتى نجد أفراد كل

مجتمع كلا متكاملاً متحاباً متعاوناً متكافلاً ، فالانسان أخ الانسان يعينه ويساعده وينصره وكل واحد معرض لأن يقع في أزمة أو حاجة فيجد كل المساعدة وكل النصر وكل التأييد ، وهذه ليست أحلام أو جمهوريات فاضلة تخيلها فلاسفة أو مفكرون أو حالمون مثاليون ولكنها بفضل الله والاسلام رأيناها حقيقة واقعة مشاهدة ملموسة من أمم مختلفة صهرها الاسلام بأحكامه وقواعده وانسانيته ورحمته وايثاره على اختلاف تاريخها السابق للاسلام من تقدم أو تأخر ، فعلى مدى مسيرة التاريخ الاسلامي المكتوب الصحيح نجد حالات التكافل الاجتماعي بأبهى مظاهرها وأحلى مشاهداتها حتى صدق تنبؤ رسول الله وطاف موزعو الزكاة ينادون عليها في الأسواق والطرقات وبين البيوت هل من محتاج لنعطيه هل من أعزب فنزوجه هل من عبد فنحرره هل من أعمى فنعين له قائداً ومساعداً هل من غريب مسافر بعيد عن أهله وماله فنعينه؟ فلا يسمع جواباً لندائه ويعود المال إلى بيت المال وذلك في عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز .

والأنواع المستحقة للنفقات هي التالية :

لنبحث الآن كيف حدد القرآن الكريم الجهات المستحقة لانفاق المسلمين أو لمن ينبغي على المسلم أن يعطي من أمواله ما أمر به الله من تجارة أو صدقة أو بيع أو تقديم في سبيل الله أو إقراض أو زكاة ، بعد البحث سنجد الآيات التالية التي حددت أصنافاً معينة من الناس يمكن أن يكونوا من مستحقي عطاء إخوانهم المسلمين :

﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليهم حكيم ﴾ ٩ ـ ٦٠

إنما تعطى زكاة النقد والتجارة والنعم والزرع والصدقات الأخرى إلى كل من

١ ـ **الفقراء** : هم من لهم مال قليل دون النصاب ويحتاجون من يعينهم بالمال لعدم وجود ما يكفيهم من المال بحسب حالهم ، فالفقراء هم الصنف الأول المستحق لعطاء المسلمين

٢ ـ **المساكين** : هم من لا شيء لهم فيحتاجون للمسالة للأكل والكسوة وهم أسوأ حالاً من الفقراء لقوله تعالى ﴿ أو مسكيناً ذا متربة ﴾ أي الصق جلده بالتراب في حفرة استتر بها مكان الإزار وبطنه به لشدة الجوع وذلك منتهى الضر والشدة .

٣ ـ **العاملين عليها** : وهم الذين يبعثهم السلطان لجبايتها أو حفظها فيشمل الجباة أو المحصلين وخزنة المال مديري الخزائن وهم يأخذون منها عمالتهم على عملهم لا على فقرهم وروى أحمد والشيخان أن ابن السعدي المالكي قال استعملني عمر على الصدقة فلما فرغت منها وأديتها إليه أمر لي بعمالة فقلت إنما عملت لله فقال خذ ما أعطيت فإني عملت على عهد رسول الله عليه السلام فعملني أي أعطاني العمالة فقلت مثل قولك فقال لي رسول الله عليه السلام إذا أعطيت شيئاً من غير أن تسأل فكل وتصدق .

٤ـ **المؤلفة قلوبهم**: هم قوم يراد استمالتهم إلى الاسلام أو تثبيتهم فيه أو كف شرهم عن المسلمين أو رجاء نفعهم في الدفاع عنهم أو نصرهم على عدو لهم وهم أصناف ثلاثة :

أ ـ صنف من الكفار يرجى ايمانهم بتأليف قلوبهم كصفوان بن أمية الذي وهب له النبي ﷺ الأمان يوم فتح مكة وأمهله أربعة أشهر لينظر في أمره وأعطاه إبلاً محملة فقال هذا عطاء من لا يخشى الفقر وروى أنه قال

والله لقد أعطاني وهو أبغض الناس إلي فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي وقد حسن اسلامه .

ب ـ صنف أسلم على ضعف ويرجى بإعطائه تثبيته وقوة ايمانه ومناصحته في الجهاد كالذين أعطاهم النبي ﷺ العطايا الوافرة من غنائم هوازن وهم بعض الطلقاء من أهل مكة الذين أسلموا وكان منهم المنافق ومنهم ضعيف الايمان وقد ثبت أكثرهم بعد ذلك وحسن اسلامهم .

جـ ـ صنف من المسلمين في الثغور وحدود بلاد الأعداء يعطون لما يرجى من دفاعهم عمن وراءهم من المسلمين إذا هاجمهم العدو .

٥ ـ في الرقاب : أي للانفاق في فك الرقاب باعانة المكاتبين من الأرقاء في فك رقابهم من الرق أو شراء العبيد واعتاقهم وهذا من أكبر الاصلاح البشري الذي هو المقصود من رحمة الاسلام وعدله ، روى أحمد والبخاري عن البراء بن عازب قال جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال دلني على عمل يقربني من الجنة ويبعدني من النار فقال أعتق النسمة وفك الرقبة فقال يا رسول الله أو ليس واحداً قال لا ، عتق الرقبة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين بثمنها.

٦ ـ الغارمين : وهم الذين عليهم ديون ركبتهم وتعذر عليهم أداؤ ها وقد كان العرب إذا وقعت بينهم فتنة اقتضت غرامة في دية أو غيرها قام أحدهم فتبرع بالتزام ذلك والقيام به حتى ترتفع تلك الفتنة الثائرة ، وكانوا إذا علموا أن واحداً منهم التزم غرامة أو تحمل حمالة بادروا إلى معونته على أدائها وإن لم يسأل وكانوا يعدون سؤ ال المساعدة على ذلك فخراً لا ذلاً فمن قبيضة بن مخارق الهلالي قال تحملت حمالة فأتيت رسول الله عليه السلام أسأله فيها فقال أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ثم يا قبيضة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له

المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب سداداً من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من أهل الحجا من قومه لقد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة ، حتى يصيب قواماً من عيش فما سواها من المسألة يا قبيضة فسحت يأكلها صاحبها سحتاً رواه أحمد ومسلم النسائي وأبو داود .

٧ ـ **في سبيل الله** : سبيل الله هوالطريقالموصل إلى مرضاته ومثوبته والمراد به الغزاة والمرابطون للجهاد وروي عن الامام أحمد أنه جعل الحج كمن سبيل الله ويدخل في ذلك جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد ونحو ذلك . والحق أن المراد بسبيل الله مصالح المسلمين العامة التي بها قوام أمر الدين والدولة دون الأفراد كتأمين طرق الحج وتوفير الماء والغذاء وأسباب الصحة للحجاج وإن لم يوجد مصرف آخر وليس منها حج الأفراد لأنه واجب على المستطيع فحسب .

٨ ـ **ابن السبيل** : وهو المنقطع عن بلده في سفر لا يتيسر له فيه شيء من ماله إن كان له مال فهو غني في بلده فقير في سفره فيعطى لفقره العارض ما يستعين به على العودة إلى بلده .

فريضة من الله لمن ذكر من أصناف المحتاجين وفيما ذكر من مصالح الأمة فريضة من الله أوجبها لهم والله عليم بأحوال الناس مقدار حاجتهم حكيم فيما يشرعه لهم تطهيراً لأنفسهم وتزكية لها وشكراً لخالقهم على ما أنعم به عليهم كما قال (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) .

﴿ يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾٢ ـ ٢١٥

لن نكرر الأصناف الواردة سابقاً وإنما سنقتصر على جهات الانفاق الجديدة الواردة في هذه الآية :

يسألونك ماذا يتصدقون به من أصناف أموالهم قل لهم :

٩ ـ الوالدين : لأنهما قد ربياه صغيراً وتعبا في تنشئته .

١٠ ـ الأقربين : هم الأولاد واولادهم ثم الأخوة لأنهم أولى الناس بعطفه ورعايته ولأنه إذا تركهم يحتاجون إلى غيره كان في ذلك عار وشنار عليه .

١١ ـ اليتامى : وهو من مات أبواه أو أحدهما وهو دون البلوغ وينفق عليهم لعدم القدرة على الكسب لصغر سنهم .

١٢ ـ فعل الخير : وما تفعلوا من خير أي وما تنفقوه في وجوه البر والطاعة في أي زمان وأي مكان على الأصناف المذكورة أو غيرها فالله عليم به لا يغيب عنه شيء فلا ينسى المثوبة والجزاء عليه بل يضاعف عليه الجزاء .

روى أحمد والنسائي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال تصدقوا فقال رجل عندي دينار قال تصدق به على نفسك قال عندي دينار آخر قال تصدق به على زوجتك قال عندي دينار آخر قال تصدق به على ولدك قال عندي دينار آخر قال تصدق به على خادمك قال عندي دينار آخر قال أنت أبصر به .

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً ﴾
٤ ـ ٣٦

أضافت هذه الآية الأصناف التالية المستحقة للانفاق عليها لوجه الله تعالى :

١٣ ـ الجار ذي القربى : الجوار ضرب من ضروب القرابة فهو قرب فيحسن أن يتعاون الجاران ويكون بينهما الرحمة والاحسان فإذا لم يحسن أحدهما إلى الآخر فلا خير فيهما لسائر الناس وقد حث الدين على الإحسان في معاملة الجار ولو غير مسلم فقد عاد النبي عليه السلام ابن جاره اليهودي وذبح ابن عمر شاة فجعل يقول لغلامه أهديت لجارنا اليهودي سمعت رسول الله يقول ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه « وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره » .

وحدد الحسن البصري الجوار بأربعين جاراً من كل جانب من الجوانب الأربعة والأولى عدم تحديد الدور وجعل الجار من تجاوره ويتراءى وجهك ووجهه في غدوك ورواحك إلى دارك . وإكرام الجار من شيم العرب قبل الإسلام وزاده الاسلام توكيداً بما جاء في الكتاب والسنة ومن إكرامه إرسال الهدايا إليه ودعوته إلى الطعام وتعاهده بالزيارة والعيادة إلى نحو ذلك .

١٤ ـ الجار الجنب : ينطبق عليه نفس الكلام عن الجار ذي القربى .

١٥ ـ الصاحب بالجنب: روى عن ابن عباس أنه الرفيق في السفر والمنقطع إليك يرجو نفعك ورفدك وقيل من صاحبته وعرفته ولو وقتاً قصيراً فيشمل صاحب الحاجة الذي يمشي بجانبك حتى يستشيرك أو يتعين بك .

﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى

والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ ٢٤ ـ ٢٢

أضافت هذه الآية إلى الأصناف السابقة :

١٦ ـ **المهاجرين في سبيل الله** : يخصص جزء من الانفاق الواجب على المسلم للمهاجر في سبيل الله إما طلباً للعلم أو طلباً لدار الاسلام أو لأي هدف إسلامي آخر .

﴿ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ ٧٠ ـ ٢٤ ، ٢٥

﴿ وفي اموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ ٥١ ـ ١٩

١٧ ـ **السائل** : وهو المستجدي الطالب للعطاء ، أي جعل المؤمنون في أموالهم جزءا معيناً ميزوه وعزلوه للطالب المحتاج .

١٨ ـ **المحروم** : هو المتعفف الذي يحسبه الجاهل غنياً فيحرم الصدقة من أكثر الناس ولا يسأل الناس ولا يفطن إليه ليتصدق عليه ، اخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبي هريرة أن رسول الله عليه السلام قال « ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان والأكلة والأكلتان قيل فمن المسكين قال الذي ليس له ما يغنيه ولا يعلم مكانه فيتصدق عليه فذلك المحروم . والمراد بهذا الحق المعلوم ما يوظفه الرجل على نفسه فيؤديه كل جمعة أو كل شهر أو كلما جدت حاجة تدعو إلى بذل المال كإغاثة فرد أو إغاثة أمة طرأ عليها ما يستدعي البذل لمصلحة عامة هامة لها كالدفاع عن عدو أو دفع مجاعة أو ضرورة ملحة مفاجئة .

﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ ٢٢ ـ ٢٨

١٩ ـ البائس الفقير : البائس وهو الذي أصابه البؤس والشدة .

ويأتي الناس للحج ليحضروا منافع لهم في الدنيا من تجارة رائجة وسلع نافقة ومنافع في الآخرة بما يعملون من عمل يرضي ربهم وبما يحمدونه على النعم التي تترى عليهم وما رزقهم من الهدايا والبدن التي أهدوها أيام النحر الثلاثة يوم العيد ويومين بعده فاذكروا اسم الله على ضحاياكم وكلوا من لحومها وأطعموا ذوي الحاجة الفقراء الذين مسهم الضر والبؤس .

وبعد، هذه هي الأصناف الثمانية عشرة التي تستحق معونة وانفاق وصدقة وزكاة كل مسلم سواء أكان فقيراً أم غنياً فكل يخرج على حسب ما معه ولا يضيع الله مثقال حبة من خير يفعله المسلم ثم عمم الله بنداً عاماً لاخراج المال وهو فعل الخير أينما وجد في المجتمع فهذا فرض وواجب اسلامي .

البحث الثاني عشر : الأخلاق الاسلامية ذات المردود الاقتصادي :

سنبحث الآن في آيات القرآن الكريم عن الأخلاق التي طلب الله من عباده المؤمنين أن يتصفوا بها حتى يستكملوا ايمانهم ويكون لها مردود اقتصادي ايجابي اضافة إلى مردودها الايماني والاجتماعي والأمني :

﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً ﴾ ٤ ـ ٥٨

﴿ فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن أمانته ﴾ ٢ ـ ٢٨٣

﴿لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم ﴾ ٨ ـ ٢٧ .

﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ ٢٣ ـ ٨ ، ٧٠ ـ ٣٢

١ ـ الأمانة :

الأمانة الشيء الذي يحفظ ليؤدي إلى صاحبه ويسمى من يحفظها ويؤديها حفيظاً وأميناً ووفياً ومن لا يحفظها ولا يؤديها خائناً .

روي عن ابن عباس قال لما فتح رسول الله عليه السلام مكة دعا عثمان بن طلحة فلما أتاه قال أرني المفتاح مفتاح الكعبة ، فلما بسط يده إليه قام العباس فقال بأبي أنت وأمي أجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده فقال رسول الله هات المفتاح يا عثمان فقال هاك أمانة الله فقام ففتح الكعبة ثم خرج فطاف بالبيت ثم نزل عليه جبريل برد المفتاح فدعا عثمان بن طلحة فأعطاه المفتاح ثم قال (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها). والأمانة على أنواع :

أ ـ أمانة العبد مع ربه وهي ما عهد إليه حفظه من الائتمار بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه واستعمال مشاعره وجوارحه فيما ينفعه ويقربه من ربه وقد ورد في الأثر أن المعاصي كلها خيانة لله عز وجل .

ب ـ أمانة العبد مع الناس ومن ذلك رد الودائع إلى أربابها وعدم الغش وحفظ السر ونحو ذلك مما يجب للأهل والأقربين وعامة الناس والحكام . ويدخل في ذلك عدل الأمراء مع الرعية وعدل العلماء مع العوام بأن يرشدهم إلى اعتقادات وأعمال لنفعهم في دنياهم وأخراهم من أمور التربية الحسنة وكسب الحلال ومن المواعظ والأحكام التي تقوي إيمانهم وتنقذهم من الشرور والآثام وترغبهم في الخير والاحسان وعدل الرجل مع زوجه بألا يفشي أحد الزوجين سراً للآخر ولا سيما السر الذي يختص بهما ولا يطلع عليه عادة سواهما .

جـ ـ أمانة الانسان مع نفسه بألا يختار لنفسه إلا ما هو الأصلح والأنفع له في الدين والدنيا وألا يقدم على عمل يضره في آخرته أو دنياه

ويتوقى أسباب الأمراض والأوبئة بقدر معرفته وما يعرف من الأطباء وذلك يحتاج إلى معرفة علم الصحة ولا سيما في أوقات انتشار الأمراض والأوبئة .

إن الله نعم ما يعظنا به من أداء الأمانات والحكم بالعدل بين الناس إذ لا يعظكم إلا بما فيه صلاحكم وفلاحكم وسعادتكم في الدارين وهو عليم بحكمكم وبصير بتأدية أماناتكم وفي هذا وعد عظيم للمطيع ووعيد شديد للعاصي .

٢ ـ كتابة الدين :

هذه أطول آية في القرآن نزلت مخصصة خلق التداين بين المسلمين لحسم الخلافات وسد أكبر طريق تظهر فيه الخلافات بين الناس حتى يسود السلام والرحمة بين الناس وينبذوا التخاصم والخلافات والشحناء وما ينتج عنها من أذى وبغض وحقد وضغينة وهي :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها واشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ، وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فإن

أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم ﴾ ٢ ـ ٢٨٢ ، ٢٨٣

نستطيع استخلاص المعاني التالية من هاتين الآيتين الكريمتين :

طلب الله إلى المؤمنين حفظاً لديونهم التي تشمل القرض والسلم (ما فيه المبيع مؤجل والثمن عاجل) وبيع الأعيان إلى أجل معين أن يكتبوها حتى إذا حل الأجل سهل عليهم أن يطلبوها ويقاضوا المدين للحصول عليها وقد بين الله تعالى كيفية الكتابة ومن يتولاها فقال :

أ ـ ليكن الكاتب الذي يكتب لكم الدين عادلاً بين المتعاملين لا يميل إلى إحداهما فيزيده على حقه ولا يميل عن الآخر فيبخسه من حقه .

ب ـ بعد أن شرط الله في الكاتب العدالة شرط فيه العلم بالأحكام والفقه في كتابة الدين إذ الكتابة لا تكون ضماناً تاماً إلا إذا كان الكاتب عالماً بالأحكام الشرعية والشروط المرعية عرفاً وقانوناً وكان عادلاً حسن السيرة لا غرض له إلا بيان الحق بلا محاباة ، وقدم صفة العدالة على صفة العلم لأن العادل يسهل عليه أن يتعلم ما ينبغي أن يعلمه لكتابة الوثائق ولكن من كان عالماً غير عادل فالعلم بهذا وحده لا يهديه للعدالة وقلما رأينا فساداً من عدل ناقص العلم ، ولكن أكثر الفساد من العلماء الذين فقدوا ملكة العدالة وفي ذكر الشروط في الكاتب إرشاد من الله للمسلمين أن يكون فيهم هذا الصنف من الكتاب القادرين على كتابة العقود الرسمية كما أن في ذكرها إيماء إلى أنه ينبغي أن يكون الكاتب غير المتعاقدين ، وإن كانا يحسنان الكتابة خيفة أن يغالط أحدهما الآخر أو يغشه ، وفي التعبير بقوله ولا يأب رمز إلى أن العالم بما فيه مصلحة الناس إذا دعي إلى القيام بعمل وجب عليه أن يبلغ الدعوة ومن ثم أمره الله بذلك أمراً صريحاً فقال

فليكتب وهذا الأمر بعد النهي عن الاباء كالتأكيد لأن الموضوع هام لتعلقه بحفظ الحقوق ولا سيما لدى الأميين الذين خوطبوا به أولاً .

جـ ـ وليلق على الكاتب ما يكتبه المدين ليكون إملاله حجة عليه تحفظها الكتابة ، وليتق الذي عليه الحق الله في الاملال بأن يذكر ما عليه كاملاً وفي هذا مبالغة في الحث على التقوى بالتذكير بجلائل النعم والترهيب من العقاب ، ثم نهاه أن يبخس من الحق شيئاً إذ الانسان مجبول على دفع الضرر عنه وعرضة للطمع وربما يستخفه طمعه إلى نقص شيء من الحق أو الابهام في الاقرار الذي يملي على الكاتب تمهيداً للمجادلة والمماطلة .

د ـ فإن كان المدين ضعيف العقل أو صبياً أو هرماً أو جاهلاً أو أبكم أو أخرس فعلى من يتولى أموره ويقوم مقامه من قيم أو وكيل أو مترجم أن يعمل بالعدل بلا زيادة أو نقصان .

هـ ـ واطلبوا أن يشهد على المداينة رجلان من المؤمنين ممن حضرها وفي قوله من رجالكم دليل على اشتراط الاسلام في الشهادة كما اشترطوا العدالة بدليل قوله واشهدوا ذوي عدل منكم)، قال ابن القيم في اعلام الموقعين البينة في الشرع أعم من الشهادة فكل ما يتبين به الحق كالقرائن القطعية يسمى بينة فلا مانع أن تدخل شهادة غير المسلم في البينة بذلك المعنى إذا تبين للحاكم الحق بها ، فإن لم يكونا أي من تستشهدونهما رجلين فليستشهد رجل وامرأتان ممن ترضون دينهم وعدالتهم من الشهداء ، وإنما جيء بهذا الوصف لضعف شهادة النساء وقلة ثقة الناس بها ومن ثم فوض الأمر فيها إلى أرضى المستشهدين .

و ـ لا ينبغي للشهود أن يمتنعوا عن تحمل الشهادة ليؤدوها حين الحاجة ، روى الربيع أن الآية نزلت حين كان الرجل يطوف في القوم الكثير فيدعوهم

إلى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم وقيل إن المراد ألا يأبوا عن تحمل الشهادة ولا ادائها فالامتناع عن كل منهما محرم وهو فرض كفاية لا يجب على من دعي إليه إلا إذا لم يوجد غيره يقوم مقامه .

ز ـ ولا تتكاسلوا عن كتابة الدين قليلاً كان أو كثيراً مبينين بذلك أجله المسمى . وفي هذا دليل على أن الكتابة من الأدلة التي تعتبر عند استيفاء شروطها وعلى أنها واجبة في القليل والكثير ، وعلى أنه لا ينبغي التهاون في الحقوق حتى لا يضيع شيء منها وهذه قاعدة من قواعد الاقتصاد في العصر الحديث فكل المعاملات والمفاوضات لها دفاتر خاصة تذكر فيها مواقيتها والمحاكم تجعلها أدلة في الإثبات .

حـ ـ هذه الأحكام أحرى بإقامة العدل بين المتعاملين وأعون على إقامة الشهادة على وجهها وفي هذا ايماء إلى أن للشاهد أن يطلب وثيقة العقد المكتوب ليتذكر ما كان من الأحوال حين كتابتها واملائها وذلك أقرب إلى نفي ارتياب بعضكم من بعض إذ هذا الاحتياط في كتابة الحقوق والاشهاد عليها ومراعاة العدل من المتعاملين والكتاب والشهداء يدفع الارتياب وما ينشأ منه من مفاسد كالعداوات والمخاصمات وهذه ميزة ثالثة تؤكد الأخذ بها والاعتماد عليها وجعلها مذكرة للشهود .

ط ـ إن الكتابة مطلوبة إلا أن توجد تجارة حاضرة تدار بين المتعاملين بالتعاطي بأن يأخذ المشتري المبيع والبائع الثمن . فلا حرج حينئذ في ترك الكتابة ، ولا إثم في ذلك ، إذ لا يترتب عليه شيء من التنازع والتخاصم . وفي هذا إشارة إلى ما يجب على المرء في ضبط أمواله وإحصاء ما يرد إليه وما يصدر عنه ، وهذا منتهى الرقي المدني هدى إليه الاسلام قبل أن يعرفه الغربيون ذوو الحضارة والمدنية بعدة قرون ولم يجعل ذلك أمراً محتوماً لما فيه من المشقة على غير الأمم ذات التقدم والحضارة .

ى ـ واشهدوا في التبايع في التجارة الحاضرة إذ قد يحصل التنازع والخلاف في بعض العقود الحاضرة بعد تمام العقد فاكتفى بالاشهاد أما الديون المؤجلة فربما يقع التنازع فيها بعد موت الشهود إذ هي مما يطول زمنها ومن ثم وجبت كتابتها .

ق ـ ولا يضار ولا يفعل الضرر بالمتعاملين بالامتناع عن الكتابة أو الشهادة أو بالتحريف أو الزيادة أو النقص ، وأن تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار ، فإن هذا الفعل خروج من طاعة الله إلى معصيته . واتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه وهو سبحانه يعلمكم ما فيه صلاح حالكم في الدارين وحفظ أموالكم ولولا هديه لكم لم تعلموا شيئاً وهو العليم بكل شيء . فإذا شرع شيئاً من الأحكام ، فإنما يشرعه عن علم محيط بأسباب درء المفاسد وجلب المصالح لمن اتبع شرعه وهداه .

ل ـ إن كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتباً يحسن كتابة المداينة أو لم تجدوا صحيفة ولا دواة ولا قرطاساً فاستوثقوا برهن تقبضونه وذكر السفر وعدم وجود الكاتب الذي يكتب وثيقة الدين بيان للعذر الذي رخص ترك الكتابة ووضع الرهن محله في التوثق لصاحب الدين لا لمنع أخذ الرهن في غير ذلك فقد رهن النبي ﷺ درعه في المدينة لليهودي بعشرين صاعاً من شعير أخذها لأهله رواه البخاري ومسلم . وفي الآية إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون عدم وجود الكاتب مقيداً بحال السفر لا في مواطن الاقامة لأن الكتابة مفروضة على المؤمنين والايمان لا يتحقق إلا بالاذعان والعمل ولا سيما في فريضة أكدت كالكتابة .

م ـ فإن أمن بعض الدائنين بعض المدينين لحسن ظنه به وثقته بأنه لا يجحد الحق ولا ينكره فليؤد المدين دينه وليكن عند ظن الدائن به وليتق الله ربه فلا يتخون من الأمانة شيئاً فقد يوسوس له الشيطان بأن لا حجة عليه

ولا شهيد فالله خير الشاهدين وهو أولى أن يتقى وسمى الدين أمانة لائتمان المدين عليه بترك الارتهان به .

ن ـ ولا تمتنعوا عن أداء الشهادة إذا دعا إليها الأمر ، ومن يفعل ذلك يكن مجترحاً للاثم مرتكباً للذنب وسر هذا التأكيد أن الكتاب والشهود هم الذين يعينون الناس على حفظ أموالهم فعليهم ألا يقصروا في ذلك كما على أرباب الأموال ألا يضاروهم فإن المصلحة مشتركة بين الجميع ، ونسب الاثم إلى القلب لأنه هو الذي يعي الوقائع ويدركها ويشهد بها فهو آلة الشعور والعقل فكتمان الشهادة عبارة عن حبس ذلك فيه والاثم كما يكون بعمل الجوارح وحركات الأعضاء يكون بعمل القلب واللب كما يرشد إلى ذلك قوله تعالى ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ﴾ فاسند إلى الفؤاد أي القلب أو النفس أعمالاً خاصة به كما أسند الباقي إلى السمع والبصر ، ومن آثام القلب سوء القصد وفساد النية والحسد والآية ترشد إلى أن الانسان يعاقب على ترك المعروف كما يعاقب على فعل المنكر لأن الترك في الشهادة بكتمانها فعل للنفس تترتب عليه آثار تضر غيرها ، وكل من الكتابة والاستشهاد شرع للاستيثاق بين الدائن والمدين والكتابة أقوى من الشهادة والشهادة عون لها فالدائن يستوثق لماله فيأمن من انكاره كله أو بعضه والمدين يستوثق لما عليه فلا يخاف أن يزاد فيه والشاهد يستوثق بشهادته فإن شك أو نسي رجع إلى الكتاب فتذكر واطمأن قلبه ، وللكتابة الفضل الأكبر في حفظ الحقوق حيث موت الشهيدين أو أحدهما لأنه لا حافظ لها حينئذ إلا هي فهي التي يرجع إليها ويعمل بها .

٣ ـ تحريم الربا :

الخلق الاسلامي الأساسي الثالث بعد الأمانة وأصول التداين هو تحريم الربا وهذه الاخلاق لها مردود اقتصادي كبير جداً إذ أن سيادة خلق

الأمانة بين الناس يحفظ للناس أموالهم ويكثرها عوضاً عن تشريدها في السرقة وفي المحرمات وكذلك الأسلوب العملي في التداين يحفظ للناس حقوقهم وأموالهم وينشر الثقة والأمن لكل الناس وتتسهل مصالح البائعين والمشترين وتدور عجلة النشاط الاقتصادي ويعم الرخاء كل افراد المجتمع لأن الغني سيخصص جزءاً كبيراً من ماله وربحه للانفاق في سبيل الله على الأصناف التي سبق ذكرها ، ونأتي الآن إلى الأمر الالهي بتحريم الربا ليقضي على أكبر معاول الهدم في الحياة الاقتصادية للمجتمع الانساني والتي تحار المجتمعات الاقتصادية المعاصرة في كيفية التخلص من تأثير هذا المعول الهدام وبعض المجتمعات لا تفطن إلى تأثير الربا المدمر في اقتصادها ومجتمعات أخرى تتجاهل هذا التأثير لسيادة مفهوم التعامل بالربا فيها ولصعوبة تغيير العادات المسيطرة ولو كانت سيئة ، ويحتاج هذا الموضوع لكثير من العناية لسريان وعودة بعض أشكال الربا للمجتمعات التي أكثرية سكانها ممن ينتسبون للاسلام ولابهام مفهوم الربا المحرم عند كثير من الناس ولعدم وضوح تأثير الربا الهدام لدى كثير من الاقتصاديين في وقتنا الحاضر .

وردت الآيات التالية حصراً التي فيها ذكر الربا في القرآن الكريم :

﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربوا وأحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس

أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وإن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ ٢ ـ ٢٧٥ ـ ٢٨١

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ ٣ ـ ١٣٠

﴿ وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليما ﴾ ٤ ـ ١٦١

﴿ وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ ٣٠ ـ ٣٩

الربا على نوعين :

ربا النسيئة :

يكون باقراض قدر معين من المال لزمن محدود كسنة أو شهر مع اشتراط الزيادة في نظير امتداد الأجل وهو المستعمل الآن في المصارف المالية وهو الذي نص القرآن الكريم على تحريمه وكان متعارفا في الجاهلية وقت التنزيل . قال ابن جرير إن الرجل كان يكون له على الرجل مال إلى أجل فإذا حل الأجل طلبه من صاحبه فيقول الذي عليه المال أخر عني دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك . فذلك هو الربا أضعافاً مضاعفة فنهاهم الله عز وجل في إسلامهم عنه . والتعامل بهذا النوع من الكبائر وقد ورد في الحديث لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده .

ربا الفضل :

يكون في بيع الشيء بنظيره مع زيادة أحد العوضين على الآخر كأن يبيعه اردباً من القمح الهندي بثلاث عشر كيلة من القمح البلدي أو قنطاراً

من فحم انجلترا بقنطار ونصف من فحم ايطاليا . وهكذا الحكم في جميع المكيلات والموزونات والنقدين الذهب والفضة لما جاء في الخبر لا تبيعوا الذهب بالذهب والورق بالورق والبر بالبر والتمر بالتمر والشعير بالشعير والملح بالملح إلا سواء بسواء عيناً بعين يداً بيد والتعامل في هذا النوع محرم أيضاً ولكنه أقل اثماً من سابقه .

وأضافت السنة نوعين آخرين إلى ما سبق .

ربا اليد :

وهو مبادلة الربويين ولزمن مختلفي الجنس دون زيادة في أحدهما على الآخر ولكن مع تأخير قبضه عن المجلس .

ربا القرض :

وهو كل نفع آل إلى المقرض من المقترض بسبب القرض .

من خال أن الربا يربو الثراء به غر تخيل أن الشحم في ورم
تـراه يـربـو ولكن في نهـايتـه بالمال يفتك فتك الليث بالغنم
ما حارب الله غير اثنتين رب ربا ومن لأحبـابـه آذى ولم يجم

محمد خليل الخطيب

الربا مسألة اجتماعية كبيرة اتفقت في حكمها الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام . لكن اختلف فيها أهل الأديان فاليهود كانوا يرابون غيرهم والنصارى يرابي بعضهم بعضاً ويرابون سائر الناس والمسلمون حفظوا أنفسهم من هذه الرذيلة ردحاً طويلاً من الزمن ثم قلدوا غيرهم فيها ثم انتشرت بينهم في العصر الحديث في أكثر الأقطار ، ويمكن أن نلخص الأسباب التي لأجلها حرم الدين الربا فيما يلي :

١ ـ إن الربا يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب الصحيحة ، كأنواع الحرف والصناعات لأن رب المال إذا تمكن بعقد الربا من انماء ماله خف عليه الكسب وسهلت لديه أسباب العيش فيألف الكسل ويمقت العمل ويتجه همه إلى أخذ أموال الناس بالباطل وتزداد شراهته في الاستيلاء على كل ما يستطيع أن يبتزه من أموالهم فلا يرأف بهم بفقير ولا يشفق على بائس ولا يرحم مسكيناً . وقد جرت عادة المرابين بأن يزداد طمعهم حين الأزمات كقحط في البلاد ، أو حروب تشتد فيها الحاجة ، إلى الأقوات فيضطر الفقراء إلى الاستدانة من هؤلاء الطغاة الذين يستنزفون منهم أموالهم ويستأثرون بجهودهم .

٢ ـ إن الربا يؤدي إلى العداوة والبغضاء والمشاحنات والخصومات إذ هو ينزع عاطفة التراحم من القلوب ويضيع المروءة ويذهب المعروف بين الناس ويحل القسوة محل الرحمة حتى أن الفقير ليموت جوعاً ولا يجد من يجود عليه ليسد رمقه ومن جراء هذا منيت البلاد ذات الحضارة التي تعاملت بالربا مشاكل اجتماعية فكثيراً ما يتألب العمال وغيرهم على أصحاب الأموال .

٣ ـ إن الله جعل طريق التعامل بين الناس في معايشهم أن يستفيد كل منهم من الآخر في نظير عوض لكن في الربا أخذ مال بلا عوض . وهذا النوع من الظلم لأن للمال حقاً وحرمة فلا يجوز لغير مالكه الاستيلاء عليه قهراً بطريق غير مشروع قال ﷺ حرمة مال الانسان كحرمة دمه . ولا ينبغي اعتبار القدر الزائد بسبب الربا عوضاً عن بقاء رأس المال في يد المدين زمناً لو كان فيه في يد الدائن لاستفاد منه بطريق وسائل الكسب كتجارة وزراعة ونحوها لأن هذا ربما لا يحصل وإن حصل فربما لا تتحقق الاستفادة أما أخذ الزائد في الربا متيقن ولا يجوز مقابلة المحتمل الحصول بالمؤكد المتيقن .

٤ ـ إن عاقبته الخراب والدمار فكثيراً ما رأينا ناساً ذهبت أموالهم وخربت بيوتهم بأكلهم الربا وفي حديث ابن مسعود عند أحمد وابن ماجه وابن جرير « إن الربا وإن كـثر فعاقبته تصير إلى قل » والسر في هذا أن المقترضين يسهل عليهم أخذ المال من غير بدل حاضر ويزين لهم الشيطان أنفاقه في وجوه من الكماليات التي كان يمكن الاستغناء عنها ويغريهم بالمزيد من الاستدانة ولا يزال يزداد ثقل الدين على كواهلهم حتى يستغرق أموالهم ، فإذا حل الأجل لم يستطيعوا الوفاء وطلبوا التأجيل ، ولا يزالون يماطلون ويؤجلون والدين يزيد يوما بعد يوم حتى يستولي الدائنون قسراً على كل ما يملكون فيصبحون فقراء معدمين صدق الله ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾ . نعود إلى شرح الآيات المختصة بتحريم الربا والتي تقول :

يقال لمن يتصرف في شيء من مال غيره أكله وهضمه أي أنه تصرف فيه تمام التصرف فلا سبيل إلى رده كما لا سبيل إلى رد المأكول ، والمراد أن حال المرابين في الدنيا كالمتخبطين في أعمالهم بسبب الصرع والجنون إذ أنهم لما فتنوا بحب المال واستعبدتهم زينته ضربت نفوسهم بجمعه وجعلوه مقصوداً لذاته وتركوا لأجله جميع مواد الكسب الأخرى ، فخرجت نفوسهم عن حد الاعتدال الذي عليه أكثر الناس وترى أكثر ذلك ظاهراً في حركاتهم وتقلبهم في أعمالهم فالمولعون بأعمال سوق الأوراق المالية والمغرمون بالقمار يزداد فيهم النشاط والانهماك في الأعمال وترى فيهم خفة تعقبها حركات غير منتظمة والعرب تقول لمن يسرع ويأتي بحركات مختلفة على غير نظام قد جن . وجمهور المفسرين على أن المراد بالقيام القيام من القبور حين البعث وأن الله جعل من علامة المرابين يوم القيامة أنهم يبعثون كالمصروعين ورووا ذلك عن ابن عباس وابن مسعود .

إن ذلك الأكل للربا مرتب على استحلالهم له وجعله كالبيع فكما

يجوز أن يبيع الانسان السلعة التي ثمنها عشرة نقداً بعشرين بأجل يجوز أن يعطي المحتاج عشرة دراهم على أن يرد عليه بعد سنة عشرين درهماً والسبب في كل من الزيادتين واحد وهو الأجل ، تلك حجتهم وهم واهمون فيما قالوا إذ في البيع ما يقتضي حله وفي الربا من المفسدة ما يقتضي تحريمه ذاك ان البيع يلاحظ فيه دائماً انتفاع المشتري بالسلعة انتفاعاً حقيقياً فمن يشتري قمحاً فإنما يشتريه ليأكله أو ليبذره في الأرض أو ليبيعه والثمن مقابل للمبيع مقابلة مرضية للبائع والمشتري باختيارهما أما الربا فهو إعطاء الدراهم والمثليات وأخذها مضاعفة في وقت آخر فما يؤخذ من المدين زيادة في رأس المال لا مقابل له من عين ولا عمل ولا يؤخذ بالرضا والاختيار بل بالكره والاضطرار .

فمن بلغه تحريم الله للربا ونهيه عنه فتركه فوراً بلا تراخ ولا تردد اتباعاً لنهي الله فله ما كان أخذه فيما سلف من الربا لا يكلف رده إلى من أخذه منهم ويكتفي منه بألا يأخذ الربا بعد ذلك وأمره إلى الله يحكم فيه بعدله ومن العدل ألا يؤاخذ لما أكل من الربا قبل التحريم وبلوغه الموعظة من ربه وفي هذا ايماء إلى أن تلك الاباحة لما سلف رخصة للضرورة وترشد إلى أن رد ما أخذه من قبل النهي إلى أربابه من أفضل العزائم ، ومن عاد إلى ما كان يأكل من الربا المحرم بعد تحريمه فأولئك الذين لم يتعظوا بموعظة من ربهم وهو لا ينهاهم إلا عما يضرهم فهم أهل النار خالدين فيها والخلود هنا المكث الطويل وقد عبر به تغليظاً ويرى بعضهم أن الاقدام على كبائر الاثم والفواحش عمداً ايثار لحب المال أو اللذة به فلا يجتمع مع الايمان الحق الذي يملأ النفوس خوفاً ورهبة من عقاب الله بفعل ما نهى عنه . وأما الايمان الحق الذي يملأ النفوس خوفاً ورهبة من عقاب الله يفعل ما نهى عنه ، وأما الايمان الصوري فلا وزن له عند الله لأنه تعالى لا ينظر إلى الصور والأقوال ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال كما يرشد

الحديث الشريف « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب حين يشربها وهو مؤمن » فالذي يرتكب الفواحش على هذه الطريقة يعد من الكافرين المستحلين وإن أنكر ذلك بلسانه فيكون خالداً مخلداً في النار أبداً .

ويذهب الله بركة الربا ويهلك المال الذي يدخل فيه فلا ينتفع به أحد من بعده ويضاعف ثواب الصدقات ويزيد المال الذي أخرجت منه ، وقال العلماء يراد بالمحق ما يلاقي المرابي من عداوة المحتاجين وبغض المعوزين وقد تفضي هذه العداوة والبغضاء إلى مفاسد ومضار كالاعتداء على الأموال والأنفس والثمرات كما ظهر أثر ذلك في الأمم التي فشا فيها الربا فقد قام الفقراء يعادون الأغنياء ويتألبون عليهم حتى صارت هذه مسألة اجتماعية شائكة لديهم ، وكذلك ما يصابون به في أنفسهم من الوساوس والأوهام ويعرف ذلك من راقب عباد المال وبلا أخبارهم فمنهم من شغله المال عن طعامه وشرابه بل عن أهله وولده حتى لقد يقصر في حق نفسه تقصيراً يفضي إلى الخسران والذل والمهانة وقصارى ذلك أن الربا يمحق ما يطلب الناس بزيادة المال من اللذة وبسطة العيش والجاه والمكانة ويصل بصاحبه إلى عكس هذه النتيجة من الهموم والأحزان والحب الشديد للمال ومقت الناس له وكراهتهم إياه وبذا لم يصل إلى ثمرة المال المقصودة في هذه الحياة ، وهي أن يكون ناعم البال عزيزاً شريفاً عند الناس لكونه مصدر خير لهم كما يكون محروماً في الآخرة من ثواب المال فهو حينئذ قد فقد الانتفاع بماله هذا الشرب من الانتفاع فكان كمن محق ماله وهلك ، وقد قضت سنة الله في المتصدق أن يكون انتفاعه بحالة أكبر من ماله والله لا يحب كل كافر وهو هنا المتمادي في كفر ما أنعم الله به عليه من المال لأنه لا ينفق منه في سبيله ولا يواسي به المحتاجين من عباده والاثيم هو المنهمك في ارتكاب الآثام فهو قد جعل المال آلة لجذب ما في أيدي الناس إلى يده

فاستغل اعسارهم وأخذ أقواتهم وامتص دماءهم .

إن الذين صدقوا بما جاءهم من ربهم من الأوامر والنواهي وعملوا ما تصلح به نفوسهم كمواساة المحتاجين والرحمة بالبائسين وانظار المعسرين وهذا من مستتبعات الايمان الحقيقي المقرون بالاذعان ، وأقاموا الصلاة التي تذكر المؤمن بالله فتزيد ايمانه وحبه لربه ومراقبته له فتسهل عليه طاعته في كل شيء وآتوا الزكاة التي تطهر النفوس من رذيلة البخل وثمرتها على أعمال البر . وخص هذين بالذكر مع شمول الأعمال الصالحة لهما لأنهما أعظم أركان العبادات النفسية والبدنية لهم ثواب مذخر عند ربهم يوم الجزاء ولا يحزنون على ما فات ولا يخافون مما هو آت وفي هذا تعريض بآكلي الربا وإنهم لو كانوا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات لكفوا عن ذلك .

يا أيها المؤمنون المصدقون الله فيما به أمر وعنه نهى قوا أنفسكم عقابه باتباع أوامره ونواهيه واتركوا ما بقي لكم من الربا عند الناس إن كنتم مؤمنين حقاً بكل ما جاء به الدين من أوامر ونواه ، وفي هذا ايماء إلى أن من لم يترك ما بقي من الربا بعد أن نهى عنه الله وتوعد عليه، لا يعد من أهل الايمان الذي له السلطان على الارادة فهو مخلد في النار وايمانه ببعض ما جاء في الدين وكفره ببعضه بعدم الاذعان له والعمل به لا يعد ايمانا حقاً وإن أقر بلسانه إذ مثل هذا لا يعتد به كما تقدم من قول رسول الله « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » فإن لم تتركوا ما بقي من الربا كما أمرتكم فاعلموا إنكم محاربون لله ورسوله إذ خرجتم عن شريعته ولم تخضعوا لحكمها ونبذتم ما جاء به رسوله عنه وفي هذا رمز إلى أن عدم الخضوع لأوامر الشريعة خروج منها وامتهان لأحكامها وحرب الله غضبه وانتقامه ممن يأكل الربا والمشاهدة أكبر دليل على صدق هذا فكثيراً ما رأينا آكلي الربا أصبحوا بعد الغنى يتكففون الناس ، وحرب رسوله مقاومته لهم

في زمنه واعتبارهم خارجين من الاسلام يحل قتالهم وعداوته لهم بعد وفاته إذا لم يخلفه أحد يقيم شريعته .

إن رجعتم عن الربا خضوعاً لأوامر الدين فلكم رؤ وس الأموال لا تأخذون عليها شيئاً من الغرماء ولا تنقصون منها شيئاً ، بل تأخذونها كاملة ، وإن وجد مدين معسر ممن لكم عليهم دين فانظروه وامهلوه إلى حين اليسار حتى يتمكن من أداء المدين الدين ، وإن تتصدقوا على المعسرين من المدينين بابرائهم من الدين كلاً أو بعضاً خير لكم من إنظارهم وأكثر ثواباً عند الله منه ، وفي هذا حث على الصدقة والسماح للمدين المعسر لما فيه من التعاطف والتراحم وبر الناس بعضهم ببعض وذلك مما يوجد حين الصلة بين الأفراد ويتم ارتباط الأمة وتضامن بنيها في المصالح العامة كما يرشد الحديث الشريف « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ». إن كنتم تعلمون أنه خير لكم فاعلموا وفق ما تعلمون وسامحوا اخوانكم واشعروا قلوبهم الشفقة والحدب عليهم وفي الآية دليل على وجوب انظار المعسر إلى حين اليسار أفضل منه الابراء والتصدق عليه بقيمة الدين ثم ختم سبحانه آيات الربا بتلك العظة البالغة التي إذا وعاها المؤمن هونت عليه السماح بالمال والنفس وكل ما يملك مما طلعت عليه الشمس فقال :

احذروا يوماً عظيماً تتفرغون فيه من شواغلكم الجسدية والدنيوية التي كانت تصرفكم عن ربكم في هذه الحياة إذ كنتم ترون أن لكم حاجات وضرورات يجب عليكم أن تستعدوا لها بتكثير المال وجمعه .

والخلاصة أنكم إذا تذكرتم ذلك اليوم وفكرتم فيما أعد الله لعباده من الجزاء على قدر أعمالهم خفف ذلك من غلوائكم واطمأنت نفوسكم إلى ملاقاة ربكم فتجدون برداً وسلاماً لطيب هذه المعاملة . ثم يجازى كل

امرىء بما عمل من خير وشر ولا ينقصون من ثوابهم ولا يزدادون على عقابهم .

وورد في تفسير الآية ١٣٠ من سورة آل عمران ما يلي :

لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة بتأخير أجل الدين الذي هو رأس المال وزيادة المال إلى ضعف ما كان كما كنتم تفعلون في الجاهلية فإن الاسلام لا يبيح لكم ذلك لما فيه من القسوة واستغلال ضرورة المعوز وحاجته .

إن المحرمات في الاسلام ضربان: ١ ـ ضرب محرم لذاته لما فيه من الضرر ومثل هذا لا يباح إلا لضرورة كأكل الميتة وشرب الخمر والربا المستعمل الآن هو ربا النسيئة وهو متفق على تحريمه فإذا احتاج المسلم إلى الاستقراض ولم يجد من يقرضه إلا بالربا فالاثم على آخذ الربا دون معطيه لأن له فيه ضرورة . ٢ ـ ضرب محرم لغيره وهو ربا الفضل لأنه ربما كان سبباً في ربا النسيئة وهو يباح للضرورة والحاجة أيضاً .

والمسلم يعرف إن كان محتاجاً إلى الربا ومضطراً إليه أم لا فإن كان محتاجاً حل له تناوله ويكون مثله أكل الميتة وشرب الخمر ونحوهما وإلا لم يحل ذلك إذ الربا يضر بايمان المؤمنين وإن كان زيادة في مال الرابي فهو في الحقيقة نقصان لأن الفقراء الذين يشاهدونه يأخذ أموالهم بهذا التعامل يلعنونه ويدعون عليه وبذلك يسلب الله الخير من يديه إن عاجلاً أو آجلاً في نفسه وماله ، وتتوجه إليه المذمة من الناس لقساوة قلبه وغلظ كبده وقد ورد في الأثر أن آخذ الربا لا يقبل منه صدقة ولا جهاد ولا حج ولا صلاة .

واتقوا الله فيما نهيتم عنه من الأمور التي من جملتها الربا ولا تكن قلوبكم قاسية على عباده من ذوي الحاجات والبؤس فتحملهم من الدين ما لا تحتمله طاقتهم وتستغلون عوزهم وحاجتهم فتشتطوا في الربا حتى تخربوا بيوتهم وتجعلوهم من ذوي الفاقة والمتربة لعل ذلك يكون سبب فلاحكم

في دنياكم فإن الرحمة وحسن المعونة يوجدان المحبة في القلوب والمحبة اساس السعادة في الدنيا والآخرة . وابتعدوا عن متابعة المرابين وتعاطي ما يتعاطون من أكل الربا الذي يفضي بكم إلى دخول النار التي أعدها الله للكافرين . روي عن أبي حنيفة رحمه الله أنه كان يقول أن هذه أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه .

وخاطب الله أهل الكتاب في الآية ١٦١ من سورة النساء ، أنه بسبب أخذهم الربا وقد نهوا عنه على السنة انبيائهم والتوراة التي بين أيديهم إنما تصرح بتحريم أخذهم الربا من شعبهم ومن اخوتهم دون الأجانب فقد جاء في سفر الخروج (إن اقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي لا تضعوا عليه ربا) وفي سفر تثنية الاشتراع (لا تقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا شيء ما مما يقرض بربا للاجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا) وهذه عبارة التوراة التي كتبت بعد السبي وثبت تحريفها بالشواهد الكثيرة أما النسخة التي كتبها موسى فقد فقدت باتفاق اليهود والنصارى .

وفي تفسير الآية الثلاثين من سورة الروم ﴿ وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربو عند الله ﴾ أي ومن تهدي هدية يريد أن ترد بأكثر منها فلا ثواب له عند الله وقد حرم ذلك على رسوله ﷺ وعلى متبعيه باحسان كما قال تعالى ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ أي ولا تعط العطاء تريد أكثر منه ، وقد شبه الله تعالى ذلك بالربا المحرم والمعاقب عليه حتى يمتنع الناس عن فعله ، وإنما العطاء كما في بقية الآيات ﴿ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾ أي ومن أعطى صدقة يبتغي بها وجه الله تعالى خالصاً فأولئك من الذين يضاعف لهم الثواب والجزاء .

وهذه تجربة تايلاند مع الربا :

يبحث مكتب رئيس وزراء تايلاند قضايا استرجاع أراضي الفلاحين من المرابين الذين استولوا عليها فقد لاحظت الحكومة في السنوات الأخيرة ظاهرة فقدان الفلاحين لاراضيهم وتركز هذه الأراضي في أيدي نفر قليل من كبار الملاك مما أدى إلى تحول الفلاحين أصحاب الملكيات الصغيرة إلى اجراء لم يلبثوا تدريجياً أن اتجهوا للهجرة نحو المدن والاشتغال في حرف متدنية وهذا من شأنه أن يقلل الطاقة البشرية العاملة في الزراعة ولذلك مردود اقتصادي سيىء كما يتخم المدن بفائض من العاطلين فكان لا بد للحكومة أن تتحرك باجراء عادل ، وبعد دراسات مستفيضة في اللجان البرلمانية تقرر إعادة الأراضي إلى أصحابها حيث اتضح بالتحقيقات الدقيقة أن المرابين حصلوا على الأراضي باثمان رمزية وأن الديون الاصلية كانت تافهة جدا ولكنها وصلت في بعض الأحيان إلى أكثر من عشرين ضعفا بسبب الفائدة الباهظة التي كان يفرضها المرابون الجشعون على الفلاحين البسطاء كما أن معظم المدينين اميون لا يعرفون القراءة والكتابة مما جعلهم فريسة سهلة للمرابين ، والنتيجة صدر قانون ينظم كيفية انتزاع الأراضي من المرابين واعادتها إلى أصحابها الفلاحين ونص القانون على تشكيل لجنة وانشاء بنك يتوليان بالتكامل عملية إعادة الأرض للفلاحين من المرابين واللجنة تتبع مكتب رئيس مجلس الوزراء رأسا ومهمتها دراسة القضايا وتقدير قيمة الديون الحقيقية التي ارتهنت من أجلها الأراضي ، والمصرف له وظيفتان الأولى تسديد ما كان على الفلاحين من قروض حقيقية وفق ما تقرره لجنة البحث القانوني في أصول القروض وبذلك تنتقل ملكية الأرض للفلاح واحقية الدين للبنك ويقوم الفلاح بتسديد الدين

ناتابون بلوسك باحثة قانونية تايلاندية الدولة وجهت ضربة للربا والمرابين بتايلاند ملحق جريدة القبس العدد ٣٣٨٠ ، ١٩٧٩/١/٨ .

للبنك على أقساط مريحة سنوية في مواسم الحصاد من محصول الأرض سواء نقداً أو محصولاً بالسعر السائد ويتقاضى البنك نظير ذلك فائدة لا تتجاوز قيمة المصاريف الادارية الفعلية ويقوم البنك باقراض الفلاحين مستقبلا لمكافحة الربا ويشترط لصرف القرض دراسة احتياجات الفلاح من أدوات انتاج وبذور ومواشي واسمدة وما إلى ذلك مما تتطلبه الأعمال الزراعية .

٤ ـ عدم أكل المال الحرام : (السحت)

الخلق الرابع الذي أمر الله به عبادة المؤمنين أن يمتنعوا عن أكل المال الحرام والذي وصفه القرآن بالسحت وهو ما خبث من المكاسب وحرم فلزم عنه العار وقبح الذكر كثمن الكلب والخنزير والخمر والرشوة في الحكم ، وقد ورد في تحريم اكل السحت ثلاث آيات كريمات من سورة المائدة ٤٢ ، ٦٢ ، ٦٣ فيما يلي نصوصها وشرحها :

﴿سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين﴾ .

﴿وترى كثيراً منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون﴾ .

﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾ .

خاطب الله تعالى رسوله الكريم في أول الآيات قائلاً يا أيها الرسول لا تهتم بهؤلاء المنافقين الذين يسارعون في اظهار الفكر والتحيز إلى اعدائك عندما يرون الفرصة سانحة فالله يكفيك شرهم ويقيك ضرهم

وينصرك عليهم وعلى من شايعهم وناصرهم والنهي عن الحزن وهو أمر طبيعي وليس للانسان اختيار فيه يراد به النهي عن لوازمه التي يفعلها الناس مختارين من تذكر المصائب وتعظيم شأنها وبذا يتجدد الألم ويعد أمد السلوى ثم بين لبعض صفات أولئك المسارعين في الكفر من المنافقين ومن اليهود بأن إيمانهم بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم مع أنهم كثيرو الاستماع لكلام الرسول عليه السلام والمراد بالسماع سماع القبول والاعتقاد بصحة ما يقال ولكنهم جواسيس بين المسلمين لاعدائهم يبلغون الرؤساء اعداء الإسلام كل ما يقفون عليه ويحرفون الكلام حتى ينجح كذبهم ويحرفون كلام التوراة من بعد وضعه بمواضعه أما تحريفاً لفظياً أو باخفائه وكتمانه أو بالزيادة فيه أو بالنقص منه وأما تحريفاً معنوياً بحمل اللفظ على غير ما وضع له .

والمراد من ذكر هذا الأوصاف للمنافقين واليهود المحرفين لكلام الله أن نبتعد نحن مسلمي هذا الزمان عن اتباع هذه الأخلاق الذميمة ومن صفاتهم أيضاً .

(سماعون للكذب أي يكثرون السماع للكذب للتأكيد وتقرير المعنى وإفادة اهتمام المتكلم بأمره وبيان أن أمرهم كله مبني على الكذب الذي هو شر الرذائل وأضر المفاسد وهكذا شأن الأمم الذليلة تلوذ بالكذب وتدرء به عن نفسها ما تتوقع من ضر بما يلحقها .

وكذلك انتشر بين أفرادها أكل السحت لأنها كانت تعيش بالمحاباة والرشا في الأحكام ففسدت بينها أمور المعاملات وكذلك استبدلت الطمع بالعفة وكان أحبار اليهود ورؤساؤهم عصر التنزيل كذابين أكالين للسحت من رشوة وغيرها من الدناءات كما هو دأب سائر الأمم عهد فسادها وازمان انحطاطها .

وفي بقية الآيات وصف الله تعالى أعمال اليهود المكروهة وحث المسلمين بذلك على عدم تقليدها والحذر من الوقوع في مثل هذه الأخطاء حتى لا يكون وصفهم وحالتهم ومصيرهم كاليهود ، فقال : وترى أيها الرسول كثيراً من هؤلاء اليهود الذين اتخذوا دينك هزواً ولعباً يسارعون في الظلم والعدوان وتجاوز الحدود التي ضربها الله للناس وفي أكل السحت وكل ما يعود على فاعله بالضرر في الدين والدنيا فهم غارقون في الإثم والعدوان فكلما قدروا عليها ابتدروها ولم يتأخروا عن ارتكابهما ثم بالغ الله في قبح هذه الأعمال فقال لبئس ما كانوا يعملون أي ما أقبح هذا العمل الذي يعمله هؤلاء من مسارعتهم في كل ما يفسد الأخلاق ويدنس النفوس ويقوض نظم المجتمع وويل للأمة التي يعيش فيها أمثال هؤلاء الناس فهل نهاهم علماؤهم وزهادهم وعبادهم عن أفعالهم بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر قبل أن يستفحل الشر ويعم الضرر وإلى هذا أشار القرآن بقوله :

﴿**لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون**﴾ قال في الكشاف لا يسمى العامل صانعا ولا العمل صناعة حتى يتمكن فيه العامل ويتدرب وينسب اليه وفاعل المعصية معه الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فإذا فرط في الانكار على المعصية كان أشد اثماً واعظم جرماً من الفاعل لها .

أي هلا ينهي هؤلاء الذين يسارعون فيما ذكر من المعاصي ائمتهم في التربية والسياسة وعلماء الدين من الأحبار والرهابن لبئس ما كانوا يصنعون من الرضى بهذه الاوزار والخطايا وتركهم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ روى عن ابن عباس أنه قال ما في القرآن أشد توبيخاً من هذه الآية يريد بذلك أنها حجة على العلماء إذا هم قصروا في الهداية

والارشاد وتركوا النهي عن الشرور والاثام التي تفسد نظم الحياة للفرد والمجتمع فحق على العلماء والحكام أن يعتبروا بهذا النعي على اليهود ساسة وعلماء ومربين فيزدجروا ويعلموا إن هذه موعظة وذكرى لهم إن نفعت الذكرى) .

٥ ـ عدم التطفيف (الوفاء بالكيل والميزان) :

٦ ـ عدم بخس الناس أشياءهم .

أمر الله عباده المؤمنين بعدم الاتصاف بهاتين الصفتين على مر العصور لأن فيهما تعطيلاً للحركة التجارية ان تتم على صورتها الحقة وسيادة خلق النصب والسرقة وأخذ أموال الناس بالباطل يقوم النظام الاقتصادي الإسلامي على الحق والهدى والرشاد وأن لا يظلم أحد من الناس ولو كان ضعيفاً ، وقد ورد هذا الأمر بعدم الاتصاف لا بالتطفيف في الميزان ولا ببخس الناس أشياءهم في الآيات التالية معاً :

﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ ٦ ـ ١٥٢ .

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ ٧ ـ ٨٥ .

﴿فلما دخلوا عليه قالوا يأيها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين﴾ ١٢ ـ ٨٨ .

﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره

ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ، ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ ١١ ـ ٨٤ ، ٨٥ .

﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تأويلاً﴾ ١٧ ـ ٣٥ .

﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ ٢٦ ـ ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ .

﴿ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، الا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾

٨٣ ـ ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ سورة المطففين

سنرى معاني هذه الآيات الكريمة من خلال تفسير المراغي :

(٦ ـ ١٥٢) واتموا الكيل إذا كلتم للناس أو اكتلتم عليهم لانفسكم وأوفوا الميزان إذا وزنتم لانفسكم فيما تبتاعون أو لغيركم فيما تبيعون فليكن كل ذلك وافيا تاما بالعدل ولا تكونوا من أولئك المطففين . إذ أن الايفاء يكون من الجانبين حين البيع وحين الشراء فيرضى المرء لغيره ما يرضاه لنفسه وقوله بالقسط يدل على تحري العدل في الكيل والميزان حال البيع والشراء بقدر المستطاع ، وإن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا ما يسعها فعله بأن تأتيه بلا عسر ولا حرج فهو لا يكلف من يبيع أو يشتري الاقوات ونحوها أن يزنها أو يكيلها بحيث لا تزيد حبة ولا مثقالا بل يكلفه أن يضبط الوزن والكيل له أو عليه سواء بحيث يعتقد أنه لم يظلم بزيادة ولا نقص يعتد بهما عرفا ، والقاعدة الشرعية أن التكليف إنما يكون بما في وسع

المكلف بلا حرج ولا مشقة عليه ولو اتبع المسلمون هذه الوصية وعملوا بها لاستقامت أمور معاملاتهم وعظمت الثقة والامانة بينهم ولكن وا اسفا فسدت أمورهم وقلت ثقتهم بأنفسهم ووثقوا بغيرهم لابتاعهم هذه الوضية وامثالها .

(٧ ـ ٨٥، ١١ ـ ٨٤ ، ٨٥ ٨٦)

ثنى الله بالأمر بايفاء الكيل والميزان إذا باعوا والنهي عن بخس الناس أشياءهم إذا اشتروا بعد أن أمرهم بتوحيد الله لأن ذلك كان فاشيا فيهم أكثر من سائر المعاصي ومن ثم تهتم به كما أهتم لوط بنهي قومه عن الفاحشة التي كانت فاشية بهم فقد كانوا من المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس أو وزنوا عليهم لانفسهم ما يشترون من المكيلات والموزونات يستوفون حقهم أو يزيدون عليه وإذا كالوهم أو وزنوهم ما يبيعون لهم يخسرون الكيل والميزان أي ينقصونه فيبخسونهم أشياءهم وينقصونهم حقوقهم .

والبخس يشمل نقص المكيل والموزون وغيرهما من المبيعات كالمواشي والأشياء المعدودة ويشمل البخس في المساومة والغش والحيل التي تنتقص بها الحقوق وفي الحقوق المعنوية كالعلوم والفضائل ، وقد فشا كل من هذين النوعين في هذا العصرفكثير من التجار باخسون مطففون فيما يبيعون وما يشترون وكثير من المشتغلين بالعلوم والآداب والسياسة بخاسون لحقوق بني جلدتهم مدعون للتفوق عليهم منكرون لما خص الله به سواهم من المزايا والخصائص حسدا عليهم وبغيا ، وقد روى أن قوم شعيب كانوا إذا دخل عليهم الغريب يأخذون دراهمه ويقولون هذه زيوف فيقطعونها ثم يشترونها منه بالبخس أي بالنقصان .

والله تعالى أصلح حال البشر بنظام الفطرة ومكنهم في الأرض بما

آتاهم من القوى العقلية وقوة الجوارح وبما أودع في خلق الأرض من سنن حكيمة وقوانين مستقيمة وبما بعث به الرسل من المكملات لنظام الفطرة من آداب وأخلاق ونظم في المعاملات والاجتماع ، وبما أرشد إليه المصلحين من العلماء والحكماء الذين يأمرون بالقسط ويهدون الناس إلى ما فيه صلاحهم في دينهم والعاملين من الزراع والصناع والتجار أهل الامانة والاستقامة الذين ينفعون الناس في دنياهم ، فعليكم ألا تفسدوا فيها ببغي ولا عدوان على الانفس والأعراض والأخلاق بارتكاب الأثم والفواحش ولا تفسدوا فيها بالفوضى وعدم النظام وبث الخرافات والجهالات التي تقوض نظام المجتمع وقد كانوا من المفسدين للدين والدنيا كما يستفاد من هذه الآية وما بعدها . ذلك خير لكم في دينكم ودنياكم فإن ربكم لا يأمر إلا بالنافع ولا ينهي إلا عن الضار .

وقال لهم نبي الله شعيب أني اراكم بثروة وسعة في الرزق تغنيكم عن الدناءة في بخس حقوق الناس واكل أموالهم بالباطل بما تنقصون لهم من المبيع في مكيل أو موزون وكانوا تُجارا مطففين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم ينقصون المكيال والميزان إلا أن في هذا كفرانا بنعمة الله عليكم إذ كان يجب عليكم شكرانها بالزيادة على سبيل الصدقة والاحسان واني اخشى عليكم يوما يحيط بكم عذابه إذا انتم أصررتم على شرككم بالله بعبادة غيره وكفرتم بنعمه بنقص المكيال والميزان وهذا العذاب أما في الدنيا بعذاب الاستئصال وأما في يوم القيامة وأما في كليهما ويا قوم اتمو الكيل والميزان بالعدل بلا زيادة ولا نقصان وقد أمرهم بالواجب بعد أن نهاهم عن ضده لتأكيده وللتنبيه إلى كون عدم التعمد للنقص لا يكفي لتحري الحق بل يجب معه تحري الايفاء بالعدل والسوية عن غير زيادة ولا نقص وإن كان التيقن من ذلك لا يكون إلا بزيادة طفيفة وتعمدها في الكيل والوزن للناس سخاء وفضيلة يمدح فاعلها عليها

وفي الاكتيال أو الوزن عليهم طمع فهو رذيلة مذمومة .

﴿ولاتبخسوا الناس أشياءهم﴾ البخس النقص في كل الأشياء يقال بخسه ماله وبخسه علمه وفضله أي لا تظلموا الناس أشياءهم وذلك يشمل ما للأفراد وما للجماعات من مكيل وموزون ومعدود ومحدود بحدود حسية وحقوق مادية أو معنوية . ﴿ ولا تعثوافي الأرض مفسدين﴾الأفساد تعطيل يشمل مصالح الدنيا وأمور الدين وأخلاق النفس وصفاتها وكل ذلك فاش في مجتمعنا أي لا تفسدوا في الأرض وانتم تتعمدون الافساد وإنما اشترط في النهي تعمد الافساد لأن بعض ما هو افساد في الظاهر قد يراد به الاصلاح أو دفع اخف الضررين كما يقع في الحرب في قطع الأشجار .

ما يبقى لكم بعد ايفاء الكيل والميزان من الربح الحلال خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف ونحوه من الحرام إن كنتم مؤمنين به حق الإيمان فالإيمان يطهر النفس من رذيلة الطمع ويجملها بفضيلة السخاء والكرم.

(١٧ ـ ٣٥) واتموا الكيل للناس ولا تخسروهم إذا كلتم لهم حقوقهم قبلكم فإن كلتم لأنفسكم فلا جناح عليكم ان نقصتم عن حقكم ولم تفوا بالكيل وزنوا بالميزان العدل دون شيء من الجور أو الحيف لأن جميع الناس محتاجون إلى المعاوضات والبيع والشراء ومن ثم بالغ الشارع في المنع من التطفف والنقصان سعيا في ابقاء الأموال لأربابها ثم بين عاقبة هذه الأوامر وحسن مآلها فقال ذلك خير أي ايفاوكم بالعهد وايفاوكم من تكيلون له ووزنكم بالعدل أمن توفون له خير لكم في الدنيا من نكثكم وبخسكم في الكيل والوزن لأن ذلك مما يرغب الناس في معاملتكم وحب الثناء عليكم وذلك أجمل عاقبة لما يترتب على ذلك من الثواب في الآخرة والخلاص من العقاب الأليم وكثير من الفقراء الذين اشتهروا بالامانة والبعد عن الخيانة اقبلت عليهم الدنيا وحصل لهم الثروة والغنى وكان ذلك سبب سعادتهم فيها .

(٢٦ ـ ١٨١ . .) إذا بعتم للناس فكيلوا لهم الكيل كاملاً ولا تبخسوهم حقهم فتعطوه ناقصاً وإذا اشتريتم فخذوا كما لو كان البيع لكم وزنوا بالميزان السوي العدل ، ثم عم النهي عن البخس في كل حق فقال ولا تنقصوا الناس أشياءهم وحقهم في كيل أو وزن أو غيرهما كالمزروعات والمعدودات كأخذ بيض كبير واعطاء بيض صغير واعطاء رغيف صغير واخذ رغيف كبير وهكذا ثم نهاهم عن جرم أعظم شأنا وأشد خطراً وهو الفساد في الأرض تجميع ضروبه واشكاله فقال لا تكثروا في الأرض الفساد بالقتل والغارة وقطع الطريق والسلب والنهب وغيرها وبعد أن نهاهم عن ذلك خوفهم سطوة الجبار الذي خلقهم وخلق من قبلهم ممن كانوا أشد منهم بطشا وعتوا . سورة المطففين :

أفرد الله عز وجل سورة ليسميها باسم العصاة المطففين وذلك لفتا لأنظار الناس إلى خطورة هذا السلوك الذي استحق عليه وعلى كفرهم قوم شعيب الاهلاك الكامل والدمار الشامل ، من هنا يتبين مدى اهتمام الدين بعلاقات الناس ومعاملاتهم المادية بحيث اهتم ونظم وأرشد إلى كل ما فيه سعادة الانسان في علاقته بنفسه وبمجتمعه وبربه . وسورة المطففين آياتها ست وثلاثون نزلت بمكة آخر سورة .

التطفيف البخس في الكيل والوزن وسمي بذلك لأن ما يبخس شيء حقير طفيف وفصلت الآيات في هذه السورة أعمال المطففين بالتفصيل وبينت عقوبتهم على ذلك وزجرهم عليها فقال :

أي عذاب وخزي شديد يوم القيامة لمن يطفف في المكيال والميزان وقد خص سبحانه المطففين بهذا الوعيد من قبل أنه كان فاشيا منتشرا بمكة والمدينة فكانوا يطففون المكيال ويبخسونه ولا يوفون حق المشتري روى أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له كيلان أحدهما كبير والثاني صغير

فكان إذا أراد أن يشتري من أصحاب الزروع الحبوب والثمار اشترى بالكيل الكبير وإذا باع للناس كال للمشترى بالكيل الصغير هذا الرجل وامثاله ممن امتلأت نفوسهم بالطمع واستولى على نفوسهم الطمع والجشع هم المقصودون بهذا الوعيد الشديد وهم الذين توعدهم النبي عليه السلام وتهددهم بقوله خمس بخمس ما نقص قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات ومامنعوا الزكاة الا حبس عنهم المطر وقد بين سبحانه عمل المطففين الذي استحقوا عليه هذا الوعيد بقوله أنهم إذا كان لهم عند الناس حق في شيء من المكيلات لم يقبلوا أن يأخذوه إلا وافياً كاملاً وإذا كان لأحد عندهم شيء وأرادوا أن يؤدوه له اعطوه ناقصاً غير واف . واقتصر الذم على الاكتيال حين الاستيفاء وذكر الكيل والميزان فيه حين الاخسار لان التطفيف في الكيل يكون بشيء قليل لا يعبأ به في الأغلب دون التطفيف في الوزن فإن أدنى حيلة فيه يفضي إلى شيء كثير ولأن ما وزن اكثر قيمة في كثير من الأحوال بما يكال فإذا اخبرت الآية بأنهم لا يبقون على الناس ما هو قليل مهين من حقوقهم علم أنهم لا يبقون عليهم والكثير الذي لا يتسامح فيه إلا نادراً بالطريق الأول .

وكما يكون التطفيف في الكيل والميزان يكون في أشياء أخرى فمن استأجر عاملاً ووقف أمامه يراقبه ويطالبه بتجويد عمله ثم إذا كان هو عاملا اجيراً لم يراقب ربه في العمل ولم يقم به على الوجه الذي ينبغي أن يقوم به يكون واقفاً تحت طائلة هذا الوعيد مستوجبا لأليم العذاب مهما يكن عمله جل أو حقر وإذا كان هذا الانذار للمطففين الراضين بالقليل من السحت فما ظنك بأولئك الذين يأكلون أموال الناس بلا كيل ولا وزن بل يسلبونهم ما بأيديهم ويغلبونهم على ثمار اعمالهم فيحرمونهم التمتع بها اعتمادا على قوة الملك أو نفوذ السلطان أو باستعمال الحيل المختلفة ، لا

جرم ان هؤلاء لا يحسبون إلا في عداد الجاحدين المنكرين ليوم الدين وإن زعموا بالسنتهم أنهم من المؤمنين المخبتين . وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله تعالى وأوف الكيل فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى أن العرق ليلجمهم .

٧ ـ تحريم القمار (الميسر) :

الخلق الاسلامي السابع الذي له انعكاسات اقتصادية كبيرة هو أن المسلم محرم عليه الاشتراك في أي مشروع أو لعب أو مسابقة يدخل فيها عنصر الميسر أو القمار ، والميسر هو القمار من الميسر وهو السهولة لأنه كسب بلا مشقة ولا كبد ولا تعب والآيات التي ورد فيها تحريم الميسر هي التالية :

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما أثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما﴾ ٢ ـ ٢١٩ .

﴿ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون﴾ ٥ ـ ٩٠ ، ٩١ .

وقد ورد ما يلي في تفسير معنى هذه الآيات الثلاث من تفسير المراغي :

(اتفق العلماء على أن كل قمار حرام كالقمار على النرد والشطرنج وغيرهما ، واما مضار الميسر فمنها :

أ ـ انه يورث العداوة والبغضاء بين اللاعبين .
ب ـ انه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

حـ ـ انه يفسد الأخلاق بتعويد الناس الكسل بانتظار الرزق من الأسباب الوهمية وتركهم الأعمال الجالبة للكسب كالزراعة والصناعة والتجارة وهي أساس العمران .

د ـ خراب البيوت بغتة وضياع أموال أربابها فجأة بالخسارة في لعب الميسر فكم رأينا من أسرة نشأت بين أحضان الثروة والغنى وانحصرت ثروتها في واحد من أفرادها فلم يكن منه إلا أن أضاعها بين غمضة عين وانتباهتها واصبحت هذه الأسرة في فقر مدقع لا تملك ما تعيش به عيش الكفاف .

واثمهما أكبر من نفعهما في هذا ارشاد إلى القاعدة العظيمة التي دونها علماء الإسلام فيما بعد وهي **درء المفاسد مقدم على جلب المصالح** وإلى القاعدة الأخرى **ارتكاب اخف الضررين** إذا كان لا بد من أحدهما ، ولما كانت دلالة الآية على التحريم ليست صريحة هنا لم تجعل تشريعاً عاماً تطالب به كل الأمة بل عمل فيها كل واحد باجتهاده فمن فهم أنها التحريم امتنع عنها ومن لم يفهم ذلك جرى على أصل الاباحة ومن ثم عمل الصحابة باجتهادهم على اختلافهم فيه وأقرهم النبي عليه السلام على ذلك وصار عمر يدعـو الله أن يبين في الخمر بيانا شافيا حتى نزلت آية المائدة التي تقدمت إنما الخمر والميسر الخ فتركهما الصحابة جميعاً .

وأما كون اثم الميسر أكثر من نفعه فواضح مما تقدم ولا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه أنواع القمار وعم ضررها وقد تنبهت لذلك حكومات كثيرة فمنعت أكثر أنواعه وشددت العقوبة عليه مع احترامها للحرية الشخصية علما منها بأن منفعة القمار وهمية ومضرته حقيقية إذ المقامر يبـذل ماله المملوك له لربح موهوم والمسترسل في اضاعة المحقق طلباً للمتوهم يفسد فكره ويضعف عقله ومن ثم انتهى الأمر بالكثير من اللاعبين إلى قتل أنفسهم أو الرضا بعيشة الذل والمهانة وكم من أرباب

الثراء ما زال الشيطان يغريه حتى فقد ثروته وعاش بقية حياته فقيرا معدماً ولبيوت القمار وسائل في استدراج الاغنياء وتخريب بيوتهم باحابيلهم وشركهم التي ينصبونها وقلما يقدر متعاطي الخمر والميسر على تركهما ، لأن صاحب الميسر إذا ربح طمع في المزيد وإذا خسر طمع في تعويض الخسارة ، وقصارى القول أن الله قد هدانا لأن نبحث عن مضار الخمر والميسر بانفسنا لنكون على بصيرة في تحريمهما وأنا لنرى الأمم التي لا تدين بالإسلام قد اهتدت إلى ما لم نهتد اليه من المضار فانشأت تؤلف الجماعات للسعي في إبطال هاتين الجريمتين .

(روى بن المنذر عن سعيد بن جبير قال لما نزلت في البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس، شربهاقوم لقوله ومنافع للناس وتركها قوم لقوله اثم كبير منهم عثمان بن مطعون حتى نزلت الآية التي في النساء لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فتركها قوم وشربها قوم يتركونها بالنهار حين الصلاة ويشربونها بالليل حتى نزلت الآية التي في المائدة إنما الخمر والميسر قال عمر اقرنت بالميسر والانصاب والازلام بعدا لك وسحقا فتركها الناس ووقع في صدور أناس منها وقالوا ما حرم علينا شيء أشد من الخمر) .

(إن الشيطان يريد لكم شرب الخمر والمياسرة ليعادي بعضكم بعضا ،ويبغض بعضكم إلى بعض عند الشراب والمياسرة فيشتت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالإيمان وجمعه بينكم باخوة الإسلام وبصرفكم بالسكر والاشتغال بالميسر عن ذكر الله الذي به صلاح دنياكم وآخرتكم وعن الصلاة التي فرضها عليكم تزكية لنفوسكم وتطهيرا لقلوبكم . وأما الميسر فهو مثار العداوة والبغضاء بين المتقامرين فإن تعد اهم فإلى الشامتين والعائبين ومن تضيع عليهم حقوقهم من الدائنين وغير الدائنين وكثيرا ما يفرط المقامر في حقوق الوالدين والزوج والأولاد حتى يوشك أن يمقته كل

أحد ، والميسر فيه اجحاف بأرباب الأموال لأن من صار مغلوباً في القمار مرة دعاه ذلك إلى اللجاج فيه رجاء أن يغلب فيه مرة أخرى وقد يتفق ألا يحصل له ذلك إلى ألا يبقى له شيء من المال ولا شك أنه بعد ذلك سيصير فقيراً مسكينا ويصير من أعدى الاعداء لاولئك الذين كانوا له غالبين .

وأما صد الخمر والميسر عن ذكر الله وعن الصلاة وهما مفسدتهما الدينية فذلك أظهر من كونهما مثارا للعداوة والبغضاء وهما مفسدتهما الاجتماعية لأن كل سكرة من سكرات الخمر وكل مرة من لعب القمار تصد السكران واللاعب تصرفه عن ذكر الله الذي هو روح الدين وعن الصلاة وهي مادة الدين إذ السكران لا عقل له يذكر به آلاء الله وآياته ويثني عليه باسمائه وصفاته أو يقيم الصلاة التي هي ذكر الله ولو ذكر السكران ربه وحاول الصلاة لم تصح له وكذلك المقامر تتوجه جميع قواه العقلية إلى اللعب الذي يرجو منه الربح ويخشى الخسارة فلا يتوجه همه إلى ذكر الله ولا يتذكر أوقات الصلاة وما يجب عليه من المحافظة عليها ، وقد دلت المشاهدة على أن القمار أكثر الأعمال التي تشغل القلب وتصرفه عن كل ما سواه بل يحدث الحريق في دار المقامر أو تحل المصايب بالأهل والولد ويستغاث به فلا يغيث بل يمضي في لعبه ، إلى أن المقامر إذا تذكر الصلاة وترك اللعب لاجلها فإنه لا يؤدي منها إلا الحركات بدون ادنى تدبر أو خشوع لكنه على كل حال يفضل السكران إذ أنه لا يكاد يضبط أفعال الصلاة واللعب بالشطرنج أو بالنرد إذا كان على ما دخل في الميسر وكان حراما وإذا لم يكن كذلك فلا وجه للقول بتحريمه إلا إذا تحقق كونه رجسا من عمل الشيطان موقعاً في العداوة والبغضاء صادا عن ذكر الله وعن الصلاة بأن كان من المكثرين اللعب أو ممن يداومون عليه والشافعي كرهه لما فيه من اضاعة الوقت بلا فائدة) .

ومن أمثلة القمار المحرم اليانصيب الذي يطرح في الاسواق سواء لاهداف انسانية نبيلة أو لمشاريع اقتصادية ، وهو محرم لأنه تعبير عن طلب الكسب والربح بلا عمل وهو سلوك لايقره الاسلام ولا التفكير السليم السوي وفيه من الانتهازية والهمة الكسولة الشيء الكثير وسنبين أن لا ربح يرجى من هذه الطرق في التحايل وهي اليانصيب ، وان المنتفع الأكبر هم مديرو عملية اجراء اليانصيب وليس من اشترى الأوراق ودفع ثمنها وفق المثال التالي : لو فرضنا أن ادارة اليانصيب طرحت ٢٠٠,٠٠٠ ورقة يانصيب كل ورقة قيمتها ٤٠ ليرة سورية واستطاعت أن تبيعهم جميعاً ، وانها وعدت بمنح جائزة أولى قدرها مليون ليرة سورية لرقم واحد وعدة جوائز أخرى متفاوتة القيمة بمقدار مليون ليرة سورية اخرى بهذا نتبين أن الربح الصافي لادارة اليانصيب إذا وزعت الجوائز التي وعدت بها هو ٢٠٠,٠٠٠×٤٠=٨,٠٠٠,٠٠٠ أي ثمانية ملايين ليرة ثمن مبيع الأوراق ناقصا الجوائز مليوني ليرة والربح الصافي ستة ملايين ليرة سورية خلال فترة أيام بين الاصدار والسحب ، فما هو احتمال أن نسحب أو نشتري ورقة يانصيب وتكون هي الرابحة الأولى ، إن هذا الاحتمال يساوي عدد الأوراق الرابحة تقسيم عدد الأوراق المباعة أي = واحد تقسيم ٢٠٠,٠٠٠ = ٠,٠٠٠,٠٠٥ أي خمسة بالمليون احتمال أن تربح الورقة الجائزة الأولى ، وهو احتمال هزيل جداً لا يساوي أن يدفع فيه عاقل ليرة واحدة مقابل أن يربح مليون ليرة سورية فكيف يدفع أربعين ليرة يستطيع أن يشتري بها ثمانين كيلو غراماً من الخبز أو كيلوين من اللحم الطازج أو بنطالا . . . الخ وأيضاً إن احتمال أن تربح الورقة المسحوبة أي جائزة يساوي عدد الأوراق التي يمكن أن تربح تقسيم عدد الأوراق المباعة ، فلو فرضنا أن عدد الأوراق التي ستمنح المليون ليرة الثانية ٩٩ ورقة زائدة ورقة المليون الأولى لاصبح الاحتمال يساوي مائة تقسيم ٢٠٠,٠٠٠ =

٥٠,٠٠٠ أي خمسة بالعشرة آلاف وهو أيضاً احتمال ضعيف جداً والخسارة مؤكدة أو أقرب ما تكون إلى المؤكدة .

٨ ـ تحريم البخل :

الخلق الثامن الذي نهى الله عنه وله آثار اقتصادية كبيرة هو خلق البخل الذميم وقد ورد النهي عن هذا الخلق في الآيات التالية من القرآن الكريم :

﴿واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ ٩٢ ـ ٨ ، ٩ ، ١٠

﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ ٣ ـ ١٨٠ .

﴿ فلما آتاهم من فضله بخوا به وتولوا وهم معرضون﴾ ٩ ـ ٧٦.

﴿ إن يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم﴾ ٤٧ ـ ٣٧ .

﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ﴾٤٧ ـ ٣٨ .

﴿ ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء ﴾ ٤٧ ـ ٣٨ .

﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم﴾ ٣ ـ ١٨٠ .

﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ ٤ ـ ٣٧ .

﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد﴾ ٥٧ ـ ٢٤ .

ثمان آيات كريمات تنهي بكل قوة عن خلق البخل الذميم تنبيها للمسلمين أن ينتهوا عن فعل البخل أو الدعوة له والثناء عليه والا فهم يهددون للعسرى في الدنيا وللبلاء الكبير في الآخرة ، وكنا قد بينا الآيات الكثيرة المرغبة في الانفاق على مختلف وجوه الانفاق المطلوبة فهنا نهي عن الامساك وهناك حث على الجود والعطاء .

٩ ـ التخطيط :

الخلق التاسع الذي له فعالية ايجابية كبيرة على مجرى الحياة الاقتصادية للشعوب والامم هو خلق التخطيط الذي ورد عليه مثال واحد في القرآن الكريم ، عندما صور لنا الخطة الاقتصادية طويلة الأجل التي الهمها الله إلى ملك مصر وفهمها نبي الله يوسف عليه السلام وهي أول خطة اقتصادية طويلة الأجل في تاريخ الانسانية ذكرها الله لنا في قرآنه الكريم حتى نعتبرها مثالاً يمكن الاقتداء بها لحل مشكلات مشابهة وهي :

﴿ تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروة في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شدادا يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) ١٢ ـ ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .

وهي خطة اقتصادية طويلة الأجل مدتها خمس عشرة سنة تم التنبؤ باحداثها ووضعت الخطة اللازمة لتجاوز هذه الأزمة .

وورد في تفسير المراغي لهذه الآية :

قال يوسف للملك وملئه مبيناً لهم ما يجب عليهم أن يعملوه لتلافي ما تدل عليه الرؤيا من الخطر على البلاد وأهلها قبل وقوع تأويلها من زراعة القمح سبع سنين متوالية بلا انقطاع ثم بادخار ما يحصد منه في كل زرعة في سنابله على طريق تحفظه من السوس يتسرب الرطوبة اليه حتى يكون القمح لغذاء الناس والتبن للدواب حين الحاجة اليه إلا قليلاً من ذلك تأكلونه في كل سنة مع الاقتصاد والاكتفاء بما يسد الحاجة ويكفي دفع المخمصة وهذه السنون السبع هي تأويل البقرات السبع السمان أما السنبلات الخضر فعلى حقيقتها في كون كل سنبلة تأويلاً لزرع سنة ، ثم يأتي بعد ذلك سبع سنين كلهن جدب وقحط يأكل أهلها كل ما ادخرتم في

تلك السنين لاجلهم إلا قليلا مما تخزنون وتدخرون للبذر ونسبة الأكل الى السنين نحو ما جرت به عادتهم فيقولون اكلت هذه السنة كل شيء ولم تبق لنا خفا ولا حافرا ولا سبدا ولا لبدا أي لا شعرا ولا صوفا . فهذا تأويل البقرات السبع العجاف واكلهن للسبع السمان وللسنبلات اليابسات . ثم يعقبهم بعد تلك الشدائد عام فيه يغاث الناس أي يغيثهم الله من تلك الشدة اتم اغاثة ويعينهم بجميع أنواع المعونة فتغل البلاد وتكثر المحصولات بجميع أنواعها ويعصرون ما من شأنه أن يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمن ونحوها من الفواكه وخلاصة ذلك أن العام يكون عام خصب واقبال ويكون للناس فيه ما يبغون من النعمة والاتراف والانباء بهذا العام زائد على تأويل الرؤيا ولم يعرفه يوسف على التخصيص والتفصيل إلا بوحي من الله تعالى) .

هذه تفاصيل الخطة الاقتصادية التي تتحكم في الانتاج الزراعي تخزينا وانتاجا واستهلاكا حتى تمر فترة الجفاف والقحط ولا يهلك جميع الناس في فترة القحط التي ستستمر سبع سنوات وتفرغ البلاد من ساكنيها رحمة من الله بعباده فقد الهم الملك هذه الرؤيا وعهد علم تفسيرها وتأويلها إلى نبيه يوسف عليه السلام ، وفي الوقت الحاضر تكشفت للانسان العالم كثير من القوانين الطبيعية من حركة الرياح والغيوم وكميات هطول الأمطار خلال فترة طويلة من الزمان واصبح بامكان الانسان بالطرق الاحصائية العلمية التنبؤ بما سيقع في المستقبل سواء في حقل الزراعة أو في أي قطاع اقتصادي آخر وبعد أن تتوفر للانسان هذه المعلومات عن المستقبل عليه واجب الاستعداد لاحداث المستقبل سواء لأحداث الرخاء الاقتصادي أو لاحداث الكساد والقحط والازمات فلكل من هذه الحالات طرق مختلفة لمواجهتها ، هذا الأسلوب في محاولة التحكم باحداث المستقبل وفق معطيات الماضي والحاضر اصطلح على تسميته بالتخطيط

ويعني أن يضع العلماء المختصون خطة لتطبيقها في المستقبل هدفها محاولة التحكم باحداث هذا المستقبل لمصحلة الانسان وسعادته ورخائه وامنه ، وقد توسعت مختلف الدول الشرقية منها والغربية المتخلفة منها والمتقدمة في تطبيق أسلوب التخطيط لتنظيم شؤون حياتها في جميع الميادين الاقتصادية والتعليمية والصحية وجميع الشؤون الاجتماعية الأخرى أو حتى في حقول العلوم الطبيعية ، ويمكن تعميم هذا الأسلوب القرآني العلمي ليشمل حتى الحياة الشخصية لكل مواطن فهو يخطط ما سيفعل في وقته لليوم القادم وللشهر القادم وللسنة القادمة وللأعوام المقبلة وهي بذلك خطط أما قصيرة الأجل أو متوسطة الأجل أو طويلة الأجل بحيث يستفيد الفائدة القصوى من وقته وعمره في الوصول إلى الغايات النبيلة السامية التي يسعى اليها كل مواطن صالح ، وهكذا أيضاً وجدنا مختلف الدول تسعى لوضع خطط اقتصادية واجتماعية شاملة لحركة المجتمع للخمس سنوات المقبلة وتسميها الخطة الخمسية .

١٠ ـ عدم التلهي بالأمل والتمتع والأكل :

الخلق القرآني العاشر له مردود اقتصادي كبير هو الذي يدعو إلى الجدية المستمرة في الحياة وعدم التلهي والانشغال الكلي والانغماس بمتع الحياة الدنيا التي أحلها الله لعباده وخاصة المؤمنين وعدم التلهي بالآمال الانسانية المتجددة واضاعة فرصة الوجود والعمل لاكتساب الكثير للدار الآخرة . وهذا لا يعني الترك أو الفقد ، أي لا يعني عدم الانغماس في المتع الحلال عدم امتلاك اسباب النعم الحياتية في الدنيا ولا يعني الاكتفاء بالفقر والمسكنة ، أي الذل وإنما مع الامتلاك والقوة عدم الانغماس فيها والتلهي بالآمال الدنيوية وابقاء ذكر الله والدار الآخرة والحساب نصب العين باستمرار فلا تجنح النفس للبغي والعدوان والسرقة والافساد في الارض وميزان ذلك ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا

تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ ٢٨ ـ ٣٣ . وقد سبق شرحها سابقاً عند بحث أدب الغنى والآية التي توجب علينا هذا الخلق القويم هي التالية :

﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ ١٥ ـ ٣

وفي تفسير المراغي شرح هذه الآية كما يلي :

(دعهم في غفلتهم يأكلون كما تأكل الأنعام ويتمتعون بلذات الدنيا وشهواتها وتلهيهم الآمال عن الآجال ، فيقول الرجل منهم غداً سأنال ثروة عظيمة وأحظى بما أشتهي ويعلو ذكري ، ويكثر ولدي ، وابني القصور وأكثر الدور وأقهر الأعداء وأفاخر الأنداد ، إلى نحو ذلك مما يغرق بـه من بحار الأماني والآمال وطلب المحال ، ثم علل الأمر بتركهم بقوله فسوف يعلمون سوء صنيعهم إذا هم عاينوا سوء جزائهم ووخامة عاقبتهم وفي هذا وعيد بعد تهديد والزام بهم بالحجة ومبالغة في الانذار وقد جاء في أمثالهم أعذر من أنذر ، وايماء إلى أن التلذذ والتنعم وعدم الاستعداد للآخرة والتأهب ليس من أخلاق المؤمنين .

أخرج أحمد والطبراني والبيهقي عن عمرو بن شعيب مشفوعاً قال صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والأمل) وروي عن الحسن أنه قال ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل وروي عن علي أنه قال إنما أخشى عليكم اثنتين طول الأمل واتباع الهوى فإن طول الأمل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق .

١١ ـ الخوف الدائم من عدم قبول الانفاق :

الخلق القرآني هنا هو أن المسلم على الرغم من تقيده التام بأوامر الله وانفاقه ماله في سبيل الله مع الايمان والتقوى والعمل الصالح يبقى

باستمرار في خوف دائم ألا يقبل الله أعماله وإنفاقه ولا يسجل له عملاً صالحاً وثواباً يؤجر عليه في الآخرة ، وذلك خوف وجود علة ما في انفاقه كالرياء والعجب والغرور وطلب ثناء الناس أو نفاق أو ريب مهما كان تافهاً صغيراً ، فبهذا الخوف المستمر من عدم قبول انفاقه يدفعه باستمرار لتصفية نواياهوسرائرهوتخليص أهدافه إلا من رضاء الله بهذا يحصل على كمال الأعمال ويسارع في الخيرات باستمرار ويسبق ويكون من الأوائل في الدنيا والآخرة وقد ورد هذا الخلق في الآية التالية :

﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ ٢٣ ـ ٦٠

وقد ورد تفسير هذه الآية في المراغي ما يلي : (والذين يعطون ما أعطوا ويتصدقون بما تصدقوا وقلوبهم خائفة ألا يتقبل ذلك منهم وألا يقع على الوجه المرضي حين يبعثون ويرجعون إلى ربهم وتنكشف الحقائق ويحتاج العبد إلى عمل مقبول لديه وإن قل ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ، ويدخل في قوله ﴿ يؤتون ما آتوا ﴾ كل حق يلزم ايتاؤه سواء أكان من حقوق الله كالزكاة والكفارة وغيرها أم من حقوق العباد كالودائع والديون والعدل بين الناس فمتى فعلوا ذلك وقلوبهم وجلة من التقصير والاخلال بها بنقصان أو غيره ، اجتهدوا في أن يوفوها حقها حين الأداء . وسألت عائشة رسول الله عليه السلام عن قوله في الآية «أهوالذي يزني ويشرب الخمر ويسرق وهو على ذلك يخاف الله تعالى فقال لا يابنة الصديق ولكن هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ألا يقبل ذلك منه ») .

الاشارات الاقتصادية في أسماء بعض السور وذكر المعادن :

إذا استعرضنا أسماء سور القرآن سنجد لبعضها معاني اقتصادية وفي

ذلك إشارة تنبيه إلى بعض المعاني الهامة والتذكير بأهمية بعض الأعمال أو الأشياء للانتباه والوعي وعدم الغفلة عن أهميتها ، لما للعنوان من تميز ولأنه مدعاة للحفظ والتكرار والذكر أكثر من غيره بكثير وهذه الأسماء ومعانيها هي التالية :

١ ـ سورة البقرة :

سميت أكبر سورة في القرآن بالبقرة بالاضافة إلى ذكر قصة بقرة بني اسرائيل لا بد من التنبه للمعنى الأهم من تسمية أكبر سورة تشريعية في القرآن الكريم باسم البقرة ، وهي تسمية عامة لا علاقة لها ببقرة بني اسرائيل ، والمعنى الأهم هو أنه لما كان الاسلام دين الحياة واستبقاء الوجود ولا وجود إلا بالغذاء ولما كان لا غذاء للانسان إلا بالزراعة والأغذية الحيوانية وكانت البقرة تعطي الانسان بدنها لحماً ودرها حليباً ولبناً وجبناً وسمناً وعضلاتها حراثة وزرعاً وقمحاً وشعيراً وانباتاً ، فالله أطلق على أعظم سورة في القرآن البقرة ، أي سورة الحياة والعمل والكدح والانتاج والزراعة ، والحيوان شريك الانسان في الحياة ، والاسلام دين الحياة واعتنى بالحيوان وعلم الحيوان بالاشارة إلى حيوانات أخرى بأسماء سور أخرى مثل النحل وهو حشرة نافعة لأنها تنتج ما فيه شفاء للناس ، وأيضاً الحيوانات والحشرات الضارة . سورة العنكبوت لدراسة طبائع وخصائص الحيوان لاتقاء اضراره ، وايضا الحيوان ذو النظام وهو النمل الذي يبني بيته من عدة دور وله جمهورية وله نظام وله جيش فسمى سورة باسم النمل . وأيضاً سورة باسم الفيل مع أنه ضخم ولكن مردوده ضئيل فسمى سورة صغيرة باسمه لأنه لا علاقة له بحياة الانسان بصورة اساسية . وعمم بعد ذلك لكل الحيوانات التي تخدم الانسان وتغذيه وهي جملة الأنعام .

٢ ـ سورة الحديد :

نظراً لأهمية الحديد وما يشتق عنه من فولاذ ومعادن هامة أخرى ،

فقد خصص الله سورة كاملة لتسمى باسم هذا المعدن الهام في حياة وتقدم الانسان . ويقاس الآن مدى تقدم أمة أو تخلفها بكمية انتاجها من الحديد والصلب لأنه من هذا المعدن يمكن انتاج الدبابات والصواريخ وهي الصناعات الحربية التي تحفظ للأمة استقلالها وكرامتها وتحميها من الطامعين أو يمكن انتاج السلع الاستهلاكية المختلفة الضرورية لحياة المواطنين وزيادة رفاهيتهم وهي الصناعات المدنية . وذكر الحديد أيضاً في آيات مختلفة في سورة الحديد وفي غير سورة الحديد وهي :

﴿ آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني افرغ عليه قطراً ﴾ ١٨ ـ ٩٦

أي جيؤ وني بقطع أو فلزات الحديد فلما جاؤ وه بها أخذ يبتني شيئاً فشيئاً حتى إذا جعل ما بين جانبي الجبلين من البنيان مساوياً لهما في العلو . قال للعملة انفخوا بالكيران في زبر الحديد التي وضعت بين الصدفين ففعلواوما زالوا كذلك حتى صارت كالنار اشتعالاً وتوهجاً فصب النحاس المذاب على الحديد المحمى فالتصق بعضه ببعض وسد الفجوات التي بين الحديد وصار جبلاً صلداً .

﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ ٥٧ ـ ٢٥

وخلقنا الحديد لتكون منه السيوف والرماح والدروع والسفن البحرية وما أشبه ذلك وفيها القوة التي ترغم أنف الظالم وتحمي المظلوم وفيه منافع للناس في حاجاتهم في معايشهم كأدوات الصناعات وحاجات البيوت وقطر السكك الحديدية ونحوها .

و ﴿ وأسلنا له عين القطر ﴾ ٣٤ ـ ١٢

وأذبنا له النحاس كما أذبنا الحديد لداود فكان يعمل منه أعماله

٣ ـ بناء السدود :

شدد الله عز وجل على بناء السدود بتخصيص سورة من سور القرآن، وتسميتها باسم ما اشتهر عن قبيلة سبأ والتي تسكن في منزل مأرب من بلاد اليمن بينها وبين صنعاء عاصمة اليمن الشمالية مسيرة ثلاثة ايام ، اشتهر عنها السد العظيم المبني في بلادها ، فانتج لهم نعمة عظيمة وسعة في الرزق وحدائق غناء وبساتين فيحاء عن يمين الوادي وشماله وقد أرسل الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزق ربهم ويشكروه بتوحيده وعبادته كفاء ما أنعم عليهم بهذه المنن وأحسن إليهم بتلك النعم فكانوا كذلك إلى حين ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بإرسال السيل عليهم فتفرقوا في البلاد شذر مذر .

وقد اختار السبئيون المضيق بين جبلين بلن وبنوا في عرضه سوراً عظيماً عرف بسد مأرب أو بسد العرم لأنه لا انهار عندهم وإنما يستقي أهلها من السيول التي تتجمع من المطر وقد كان يذهب أكثرها في الرمال فإذا انقضى فصل المطر ظمئوا وجفت اغراسهم وربما فاض المطر فسطا على المدن والقرى فنالهم منه أذى كثير ، وبين المضيق ومدينة مأرب متسع من الأرض تبلغ مساحة ما يحيط به من الأرض من سفوح وجبال نحو ٣٠٠٠ ميل مربع ، كانت صحراء جرداء قاحلة فأصبحت بعد تدبير المياه بالسد غياضاً وبساتين على سفحي الجبلين وهي المعبر عنها بالجنتين الجنة اليمنى والجنة اليسرى ، وقد اكتشف هذا السد وصورت بقاياه وهي عظيمة شامخة بعد خراب السد فكيف كانت قبل الخراب .

٤ ـ إضافة إلى ما سبق شرحه من معاني سور المطففين والماعون ، ولا داعي لتكرارها هنا مرة أخرى .

بذلك نكون قد تعرفنا على كل ما ورد في القرآن الكريم فيما يتعلق

بالأمور الاقتصادية وهو ما اصطلحنا على تسميته بالاطار الفكري للنظام الاقتصادي الاسلامي الذي بحثنا فيه رأي القرآن الكريم في الموضوعات التالية :

الملكية : ووجدنا أن الملكية مطلقة لله للسموات والأرض وما بينهما ، وما فيهن دون شريك ولا ولد فمن يملك مع الله شيئاً ، ويمنح الله ويهب لمن يشاء أو لمن يطلب ويعمل وفق القوانين الالهية أي أن الله أجاز أن يتملك الانسان الأشياء .

الاستخلاف : إن ملكية الانسان في الأرض هي ملكية استخلاف ولها شروط وهي انفاق هذه الأموال في سبيل الله وفي الأعمال الصالحة وعلى كفاية نفسه وعياله وأهله وإذا لم يقر بهذه الحقوق في المال الذي معه تسحب منه هذه الأموال ويكون عاصياً لله يستحق المؤاخذة والعذاب بحسب ما فعل بهذه الأموال .

كسب العيش : أمر الله الانسان في مواضع كثيرة أن يسعى جهده لكسب عيشه وفق امكاناته وما ييسره الله له بالأسلوب الشرعي وللأهداف الشرعية النبيلة .

نعم الله الاقتصادية المتاحة لبني آدم : وفيه بيان الكنوز التي أتاحها وسخرها الله لبني آدم يطلبونها من الله وفق الطرق التي أمر الله بها وبين شروط هذا الغنى وآدابه .

درجات الناس : إن الله فضل الناس على بعضهم البعض في العلم والايمان وهذا هو النسب الذي أمر به الله أن يرفع لا نسب الآباء والابناء .

الله هو الرزاق : ومن يتق الله في كل أموره يجعل الله له مخلصاً ويرزقه من جهة لا تخطر له على بال مع أن العبء عليه أن يأخذ بالأسباب

التي جعلها الله من سننه في هذه الحياة ويؤديها ألى أمثل الطرق ثم يكل أمره إلى الله تعالى فيما لا يعلمه من الأسباب التي لا يصل علمه إليها .

كيف نحصل على الرزق : هنا نتبين العلاقة الحتمية المباشرة بين القوانين الطبيعية وبين طبيعة البشر وكنه ودرجة ايمانهم وصلتهم بالله عز وجل .

أسباب زوال النعم : وبين الله أيضاً في كتابه العزيز كيف تزول نعمة أنعمها الله على عبده

الحث على الانفاق : وجدنا أن القرآن قد حث المؤمنين على الانفاق في خمس وسبعين آية مختلفة بينما الآيات الحاثة على الصلاة سبعون آية وعلى الزكاة اثنتان وثلاثون آية .

أنواع الانفاق المطلوبة من كل مسلم : ووجدنا أنها ستة أنواع مطلوبة التحقق من كل مسلم وهي التجارة مع الله ، اقراض الله عز وجل ، البيع لله ، الصدقات ، في سبيل الله ، الزكاة .

لمن نعطي الانفاق الواجب : تبين أن الأنواع المستحقة للنفقات الواجبة هي الفقراء ، والمساكين ، العاملين عليها ، المؤلفة قلوبهم ، في الرقاب ، الغارمين ، في سبيل الله ، ابن السبيل ، الوالدين ، الأقربين ، اليتامى ، فعل الخير ، الجار ذي القربى ، الجار الجنب ، الصاحب بالجنب ، المهاجرين في سبيل الله ، السائل ، المحروم ، البائس الفقير ، وهذا ارقى أنواع التكافل الاجتماعي فلو حقق المسلمون لهؤلاء الناس حاجاتهم فهل يبقى محتاج إلى شيء .

الأخلاق الاسلامية : وهي الأمانة ، وجوب كتابة الدين ، تحريم الربا ، عدم أكل السحت ، عدم التطفيف ، عدم بخس الناس أشياءهم ،

تحريم القمار ، تحريم البخل بالمال ، وجوب استخدام اسلوب التخطيط العلمي لحياة الانسان ومجتمعه ، عدم التلهي والتمتع بالأكل والخوف الدائم من عدم قبول الانفاق ، ثم انتباه إلى الاشارات الاقتصادية في أسماء بعض السور وذكر المعادن في القرآن .

مما سبق يتبين أن الأخلاق التي أمر القرآن المؤمنين بالتحلي بها والتمسك بها رحمة بهم وحتى تستقيم أمورهم ومعاملاتهم وتخف ازماتهم وتنقطع خلافاتهم وتتحسن معيشتهم هي : الأمانة وتبينا أنها أمانة الانسان مع ربه وأمانة الانسان مع الناس وأمانة الانسان مع نفسه ، ثم وجوب كتابة الدين بين الناس وأصول ذلك العملية الواجبة من جميع الأوجه ، ثم أمر القرآن تحريم التعامل بالربا بين الناس ، ثم عدم أكل المال الحرام وهو السحت ليكون انفاق المؤمن كله حلالاً نزيهاً شريفاً ، عدم التطفيف أي الوفاء بالكيل والميزان ، وعدم بخس الناس أشياءهم حفظاً لحقوق الناس وكراماتهم ، ثم حرم القرآن الكريم القمار ، أو الميسر ، لأنه تضييع لمال حاضر على كسب متوهم ضعيف المردود دون جهد ولا كسب ولا مشقة وهذا ينافي سنة الله في خلقه ، ثم حرم الله أسوأ الأخلاق وهو البخل بالمال ، ثم أمر الله بالسلوك العلمي لادارة حياة الانسان والدول وهو اسلوب التخطيط العلمي لمستقبل الأحداث تلافيا للأزمات واستثمار افضل لكل الامكانات وعدم التلهي بالأمل والتمتع بالأكل والخوف الدائم من عدم قبول الانفاق .

ويمكن الآن الانتقال لاقتراح نظام اقتصادي حديث ضمن الاطار الاقتصادي الاسلامي السابق بحيث يعالج الأوضاع الاقتصادية القائمة بجميع عللها وأمراضها ، ثم يضع الأمور الاقتصادية على درب التقدم والنجاح والفلاح الذي أمر الله المؤمنين أن يكونوا قادته ومعلميه وصانعيه ، لا طالبيه ونرجو من الله التوفيق .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع

النظام الإقتصادي الجديد وفق الإطار الفكري

بعد أن تعرفنا على موجبات التقدم والسعادة في الفصل الأول من هذا البحث عن طريق بيان أهمية اكتشاف الطرق العلمية وتوضيح كيف نستطيع تحقيق النجاح في أي أمر من الأمور وبحثنا في موضوع الحرية ، وهل تتعارض فكرة الحرية مع العقيدة أم لا تتعارض ، انتقلنا في الفصل الثاني لبيان مظاهر تخلف العالم الاسلامي وأعطينا المظاهر الاجتماعية اهتماماً خاصاً نتيجة إهمالها الكبير من قبل الباحثين في اقتصاديات التخلف والتنمية ، على الرغم من تأثيرها الواسع على تقدم حياة الشعوب أو على تأخرها ، ثم وضحنا أيضاً مظاهر التخلف الاقتصادية السائدة في مختلف دول العالم الثالث بما فيها العالم الاسلامي ، وفي الفصل الثالث بحثنا في آيات القرآن الكريم عن كل ما له علاقة بالأمور الاقتصادية على طريقةالحصر الشامل فتوضحت لنا معالم اطار فكري متكامل يعطينا ما نستطيع أن نقرره على أنه نظرية اقتصادية قرآنية، فتبين لنا أن القرآن الكريم أجاب على التساؤلات المتداولة حتى عصرنا الحاضر حول مشكلة الملكية التي تولد عنها النظامات الاقتصاديان المتصارعان في العالم اليوم وهما النظام الاقتصادي الرأسمالي الذي يقر

حق الملكية الفردية لوسائل الانتاج وللثروة مهما اتسعت ومن أي مصدر جاءت وهو حق مقدس لصاحبها والنظام الاقتصادي الماركسي الذي يرى أنه لا حق لأي انسان في تملك وسائل الانتاج ويقر له بحد أدنى مقنن من الملكية الشخصية وإنما الملكية كلها لمجموع الناس والتي تديرها الفئة القيادية في التنظيم الحاكم ، وحول مشكلة الاستخلاف وطرق كسب العيش وضرورته وبيان نعم الله المتاحة للانسان وبيان درجات الناس عوضاً عن نظرية صراع الطبقات التي استنبطها الفكر الماركسي ، وبيان أن الله هو الرازق وإرشاد القرآن لكيفية الحصول على الرزق وكيف يمكن أن تزول الثروة عن انسان تملكها وحث القرآن الناس على الانفاق لأوجه مختلفة وأنواع هذا الانفاق المطلوب من كل مسلم ثم بيان لمن نعطي هذا الانفاق وبيان الاخلاق السلوكية للانسان المسلم التي يجب أن يتصدق بها والتي لها مردود اقتصادي أكيد .

يبقى هذا الاطار الفكري الاقتصادي عاماً وشمولياً ليحقق صلاحية القرآن لكل زمان ولكل مكان ، ولا بد له من ترجمة أو نقل أو محاولة تطبيق على الظروف الاقتصادية المتغيرة وفق ظروف كل مجتمع من المجتمعات لكل زمن على حدة ، بهذا لا بد أن يثور السؤال التالي ، والآن كيف يمكننا الاستفادة من هذا الاطار الفكري الاقتصادي الاسلامي العام في بناء اسلوب ادارة الأمور الاقتصادية للمجتمعات الاسلامية المتخلفة في وضعنا وزماننا الحاضر ، إذ لا يكفي أن نقول للناس هذه آيات القرآن الكريم المتضمنة للأصول الاقتصادية فطبقوها حتى يجدوا حلولاً لكل المشاكل الاقتصادية المعاصرة ، بما فيها من تشابكات وعوامل ومؤثرات ، بل لا بد من تخصيص الطرق والحلول والاجراءات الواجب اتباعها بحيث تستطيع الخروج بالمجتمع من حالة التخلف وتقوده نحو حالة التقدم وبالتالي تكون

كلها ضمن الاطار الفكري الاسلامي القرآني المنوه عنه في الفصل الثالث والمأخوذ من القرآن الكريم حصراً .

لذلك سنقسم بحثنا التالي إلى اقسام تختص كل منها بجزء من النشاط الاقتصادي المتعارف عليه ، ونقدم الحلول اللازمة لتطويره وتحديثه بما يتفق وأوامر القرآن الكريم أو ضمن الاطار الفكري للنظام الاقتصادي الاسلامي ، بحيث سيشمل بحثنا النشاطات الاقتصادية التالية :

١ ـ التجارة الخارجية بفروعها التصدير والاستيراد والجمارك .
٢ ـ التجارة الداخلية والتموين .
٣ ـ المصارف .
٤ ـ التأمين .
٥ ـ السياسة النقدية .
٦ ـ السياسة الضريبية .
٧ ـ المراقبة المالية العامة .
٨ ـ الزكاة
٩ ـ الاسكان .
١٠ ـ الصناعة .
١١ ـ الزراعة
١٢ ـ المواصلات .
١٣ ـ الأجور والرواتب .

أولاً ـ التجارة الخارجية والجمارك :

كيف يمكن إدارة التجارة الخارجية بشقيها التصديري والاستيرادي

بشكل يحقق الكفاءة العالية للحركة الاقتصادية بين البلد والعالم الخارجي ويساعد على تنشيط حركة السلع والخدمات من وإلى البلد موضع الدراسة ، ودفع العملية الانتاجية إلى الامام باتجاه تحسينها كماً وكيفاً ، وبالتالي دفع عملية التنمية الاقتصادية نحو محور التقدم والنجاح المستمر .

وتؤكد النظرية الاقتصادية على أن التصدير يعني تصريف جزء من الانتاج المحلي لمجتمعات اخرى تعود بريعها وفوائدها الكثيرة على البلد المصدر ولو تم بيعها بسعر أقل من سعر التكلفة ، وكمثال توضيحي لهذه الفكرة يمكننا القول : لو أنتج مصنع من المصانع ٥٠٠ وحدة انتاجية تكلفة الوحدة الواحدة عليه ٨ ل س منها (٤ ل. س تكاليف ثابتة و ٤ ل. س تكاليف متغيرة) يبيع هذا المصنع انتاجه بسعر ١٠ ل س للوحدة فثمن مبيعه هو ٥٠٠ × ١٠ = ٥٠٠٠ ل س وربحه يساوي ٥٠٠ × ٢ = ١٠٠٠ ل س فلو فرضنا أن هذا المصنع اتفق على تصدير ٢٠٠ وحدة اضافية من انتاجه للخارج بسعر ٥ ل س للوحدة فالتكلفة الاجمالية الجديدة (٥٠٠ × ٨ = ٤٠٠٠) + (٤ × ٢٠٠ = ٨٨٠) = ٤٨٠٠ ل س = تكاليف الانتاج القديم + التكلفة الاضافية (المتغيرة) لحاجات التصدير وتكلفة الوحدة بعد انتاج حاجة التصدير هي ٤٨٠٠ ÷ ٧٠٠ = ٦,٨٥٧ ل س أي تم خفض التكلفة الاجمالية للوحدة بعد أن كان قبل التصدير ٨ ل س والربح الجديد هو ٦٠٠٠ - ٤٨٠٠ = ١٢٠٠ ل س أي أن الربح الصافي ازداد بمقدار مائتين ليرة سورية على الرغم أن سعر مبيع الجزء المصدر إلى الخارج أقل من سعر التكلفة أي بخسارة ونتجت الزيادة في الربح نتيجة انخفاض التكلفة عن طريق توزيع التكاليف الثابتة التي لا تتغير بتغير رقم الانتاج على عدد وحدات انتاج أكبر فتقل اجمالي التكلفة ويزداد الربح ويستمر هذا الوضع طالما أن هناك جزءاً من الطاقة الانتاجية الصناعية غير مستغل أي يمكن انتاج المزيد من المنتجات دون شراء آلات

ومعدات جديدة غير تلك الآلات الموجودة بالمصنع .

بالاضافة إلى أن التصدير يعطي صورة جيدة عن البلد المصدر وعن تقدمه وحضارته ومستوى تقدمه التقني ويزيد في الصداقة بين الشعوب وفي اتمام عملية تبادل ثقافي واسعة بين البلدان المختلفة .

لهذا نؤكد على أهمية الدخول إلى الأسواق الخارجية والمنافسة فيها بعد دراسة هذه الأسواق وحاجاتها والأسعار المناسبة ودرجة الجودة والاتقان المطلوبة واجراء الدعاية اللازمة لترغيب الناس في تلك البلدان بالاقبال على شراء المنتجات الوطنية المصدرة ، ويمكن التوصية بما يلي دعماً لهذه السياسة التصديرية التي تعود بالنفع الكبير على الاقتصاد الوطني :

أ ـ يجري بيع السلع الزراعية أو الصناعية المطلوبة في الأسواق الدولية في السوق الحرة لأعلى سعر بعد توصيف وتعبئة هذه السلع بعناية بهدف كسب أكبر مردود مادي لانتاجنا المحلي بما يعود بالنفع على المزارعين والمنتجين والعمال والمصدرين والبلد ككل .

ب ـ تشجيع عقد اتفاقيات تبادل سلعية مع بلدان العالم بحيث نضمن أسواقاً لبعض منتجاتنا المحلية زيادة في امكاناتنا التصديرية والانتاجية .

جـ ـ تشجيع تصدير منتجات صناعاتنا اليدوية والشعبية والتاريخية والأثرية وتلك التي يتميز بها صانعونا البسطاء المهرة والتي ليس لها مثيل في العالم والدعاية لها لأننا نخلق أسواقاً لهذه السلع ونضمن ازدهار تلك الصناعة وانتعاش خبراتنا المتوارثة وفنوننا المحلية الأصيلة ونضمن دخولاً لفئة كبيرة من العاملين والخبراء الشعبيين في هذه الصناعات ونعطي بذلك أيضاً فكرة ومعلومات حية مادية عن حضارتنا وأصالتنا ، ونحن نشاهد اقبال الاجانب ورغبتهم بشراء هذه السلع عندما يأتون إلى بلادنا سائحين فلماذا

لا نقوم بايصال هذه السلع إليهم والتي يمكن أن تباع بأسعار عالية في بلادهم وتحقق دخلاً للبلد المصدر .

د ـ تشجيع المنتجين المحليين على تصدير انتاجهم بتوفير المعلومات عن الاسواق الخارجية لهم عن طريق الممثلين التجاريين والمعارض والأسواق والغرف الصناعية والتجارية المختلفة في العالم .

هـ ـ يمكن رفع الاستفادة من الطاقات الانتاجية غير المستغلة في المصانع القائمة الخاصة والعامة عن طريق تصدير الفائض من حاجة السوق المحلية نحو الأسواق المجاورة والخارجية مما ينتج تخفيضاً في التكاليف وزيادة في الأرباح كما مر معنا سابقاً .

و ـ تشجيع قيام صناعات تصديرية أي يخصص كامل انتاجها إن أمكن إلى التصدير للخارج بعد دراسة الحاجة الفعلية لهذه الأسواق وإمكانات تصريف انتاج هذه الصناعات فيها ، مما يعود بالدخل والفائدة والربح للمستثمرين والعمال والدخل القومي للبلد .

ويمكن ايراد التوصيات التالية المتعلقة بسياسة الاستيراد :

١ ـ تشجيع أي استيراد لأي سلعة إذا كان الهدف من ذلك إعادة تصديرها إما على نفس الشكل التي وردت به أو بعد إضافات صناعية بأي درجة لأن ذلك لن يؤثر تأثيراً سلبياً على اقتصاد البلد وإنما سيزيد من دخله وربحه .

٢ ـ تأمين وصول المواد الأولية المستوردة للصناعات القائمة إذا لم يتوفر من هذه المواد الأولية من الانتاج المحلي بعد دراسة الأسواق الأجنبية المختلفة وتوفير المعلومات عنها للراغبين حول البضائع المتوفرة بكل سوق وأنواعها وأسعارها ، وتأمين اتفاقات تسهيل تبادل مع هذه الأسواق الأجنبية

إن أمكن بغية استيراد هذه المواد الأولية بأرخص الأسعار وأجود الأصناف وأنسب الأوقات دعماً للصناعة المحلية .

٣ ـ تشجيع قيام المناطق الحرة التي يجري فيها التبادل السلعي بين الأسواق المختلفة .

٤ ـ عدم التدخل بحدة في أسواق السلع الاستهلاكية المستوردة لعدم خلق سوق سوداء يضيع بها على الوطن ايرادات الجمارك والضرائب والمنافع الأخرى ، فيما لو وردت هذه السلع بالطرق الرسمية ، وعدم فتح أبواب استيراد ما هب ودب من سلع متشابهة ومتماثلة ومجهولة المصدر أحياناً ، مما يفتت الدخل القومي ويذهب بادخارات المواطنين ويشجع حمى الاستهلاك النهائي الطاغي المدمر لكل امكانية انتاجية ويقضي على أي صناعة محلية مماثلة أو فكرة اقامة مشروع صناعي لانتاج هذه السلع الاستهلاكية ، ويجعل مواطنينا عملياً زبائن لدى منتجين اجانب يجهدون لربحهم ويكسبون دخولنا لثرائهم .

يتبع سياسة التجارة الخارجية بشقيها السياسة المتعلقة بالجمارك وهي ضريبة غير مباشرة تنصب على السلع المصدرة أو المستوردة ووسيلة من وسائل السياسة الاقتصادية تتحكم تشجيعاً أو حداً من الرغبة في التصدير أو الاستيراد للسلع المختلفة ، ويمكن إيراد بعض المبادىء العامة التي تكفل كون السياسة الجمركية سياسة اقتصادية هدفها تحريك ودفع الاقتصاد نحو زيادة الانتاجية وحماية الصناعة المحلية من حمى الاستهلاك للسلع المستوردة وعدم انضباطية الواردات بحيث تشل الصناعة الوطنية أو تقضي عليها وبحيث لا تكون السياسة الجمركية هدفها جمع أكبر ما يمكن من الأموال دعماً لخزينة الدولة مهما أدى ذلك من أزمات اقتصادية وهذه التوصيات هي :

أ ـ تبسيط الاجراءات الجمركية وشرحها وتيسيرها للمراجعين بحيث يمكن الاطلاع عليها لمن أراد الاعتماد على نفسه في إتمام معاملاته الجمركية سواء عند التصدير أو عند الاستيراد أو من أراد أن يوفر مداخلات الوسطاء وتعقيدهم للعمل لتأمين دخل لهم أحياناً .

ب ـ على الاجراءات الجمركية أن تتبع البضائع المخالفة نفسها وليس حاملها أو صاحبها ، أو من يشتبه بحمل بضائع أو تمريرها بدون اذن جمركي رسمي .

جـ ـ يتم ربط الضابطة والقضاء الجمركيين بسلطات الأمن والقضاء العام .

د ـ تبسيط لائحة التعريفات الجمركية بحيث تشمل مجموعات السلع لا كل سلعة على حدة لأن ذلك فوق طاقة أي مشرع .

هـ ـ تعفى المواد الخام والنصف مصنعة الواردة للصناعات المحلية كمواد أولية صناعية من أي رسم أو ضريبة جمركية بهدف تخفيض تكاليف صنعها وإثبات وجودها في السوق المحلية والأسواق الأجنبية .

و ـ تعفى الآلات والعدد ووسائل الانتاج الواردة للقطاعات الاقتصادية الانتاجية من الرسوم والضرائب الجمركية تشجيعاً لزيادة الطاقات الانتاجية المحلية .

ز ـ تعفى الواردات من سلع الاستهلاك الأساسية لقوت المواطنين وحياتهم . تعفى أيضاً من الضرائب والرسوم الجمركية خفضاً لتكاليف معيشة المواطنين وتيسير حياتهم .

حـ ـ الواردات من السلع الاستهلاكية غير المرتبطة بأقوات وحياة المواطنين ولكنها أساسية تفرض عليها تعرفة جمركية متوسطة .

ط ـ الواردات من السلع الاستهلاكية الأخرى تفرض عليها تعرفة عادية عادلة .

ى ـ لا يفرض على تصدير السلع أي نوع من الضرائب والرسوم التصديرية إن لم نفكر باعطاء إعانات تصدير لتشجيع بعض الصناعات على التصدير ، واثبات وجودها في الخارج وضمان أسواق دائمة لتصريفها وحسن سمعتها وأهميتها للمستهلكين الخارجيين .

ثانياً : التجارة الداخلية والتموين :

تتحكم التجارة الداخلية بحركة السلع والخدمات ضمن أراضي البلد بما يضمن تخزين هذه السلع وتوزيعها وايصالها من المنتجين إلى المستهلكين ، عبر سلسلة من تجار الجملة ، ونصف الجملة ، والمفرق ، وكذلك عبر الادارات الحكومية التي تحاول ايصال السلع إلى المستهلكين من المنتجين مباشرة سواء المنتجين من القطاع العام ، أو القطاع الخاص . ونعلم أن القانون التجاري عرف التجارة على أنها شراء البضائع بقصد بيعها بربح ، وتتضمن التجارة خدمات النقل والتخزين والتوزيع . وبهذا المفهوم تعتبر الصناعة ايضاً تجارة لأنها شراء مواد أولية بقصد بيعها بربح إنما بعد اجراء بعض العمليات التحويلية أو التجميعية على المواد الأولية .

من ذلك نجد أن وجود تجار الجملة ونصف الجملة والمفرق ضروري لتأمين نقل وتخزين وتوزيع مختلف السلع التي يحتاجها المواطنون بحيث تكون هذه السلع في متناول أيدي الناس قريبة منهم وضمن حدود امكاناتهم المادية ، بحيث يمكن أن يبيع لهم تاجر المفرق طلباتهم بالدّين لحين توفر الدخل سواء للموظف أو المزارع أو الحرفي أو محدود الدخل .

وكذلك إن وجود مؤسسات القطاع العام في السوق التجاري ضروري وهدفه لا الحلول محل مجموع تجار الجملة ونصف الجملة والمفرق . فهذا فوق طاقة المؤسسات العامة من جميع النواحي ولكن هدفه موازنة توفر المواد الاستهلاكية الضرورية للمواطنين بالأوقات والأسعار المناسبة فمثلاً لو وجدت مؤسسة التجارة الداخلية العامة أن سلعة من السلع الضرورية فقدت من الأسواق وهي ضرورية للناس عليها ، عندئذ ان تسعى لتأمين هذه المادة من أي مصدر كان وبأسرع وقت فإذا توقعت أن بيع هذه المواد للتجارة سيدفعهم لتخزينها أو حجبها عن السوق عمدت إلى بيعها للمواطنين مباشرة عن طريق تجمعاتهم النقابية أو المهنية أو الشعبية ، بالاضافة إلى الاجراءات التأديبية الأخرى لكل محتكر أو رافع للسعر زيادة عن مستوى الربح المقبول ، وإذا وجدت أيضاً أن سعر سلعة ما قد ارتفع عن مستواه الطبيعي فتبحث عن السبب فإذا كان سبب ذلك احتكار بعض التجار لهذه السلعة وحجبها عن السوق رغم الحاجة الماسة إليها وإن ارتفاع السعر كان كبيراً فيكون الاجراء الطبيعي ، هو مصادرة هذه السلعة من محتكريها وبيعها للمحتاجين لها بسعر معقول ، أما لو كان سبب ارتفاع السعر قلة توفر البضائع سعت هذه الادارة العامة إلى توفير هذه السلعة للمواطنين خدمة لهم بتوفير احتياجاتهم المادية السلعية دائماً وبأسعار مناسبة .

وبصورة عامة يمكن تصور المبادىء التالية الحاكمة للتجارة الداخلية والتموين :

١ ـ على جميع التجار والمتعاملين ضبط مكاييلهم وموازينهم والبيع للناس بالقسط والعدل بحيث لا ينقص المكيال والميزان على أحد وذلك تأدية لحقوق جميع المتعاملين بالسلع المادية ، وسيادة مبدأ العدالة بين الناس يعني أن كل مشترٍ طالما دفع قيمة كمية محددة يجب أن يأخذ

مقدار هذه الكمية إن لم يكن بزيادة فبدون نقصان ، وكل بائع طالما باع كمية محددة وقبض قيمتها عليه تأدية هذه الكمية كاملة دون نقص إن لم يكن مع زيادة كرم وسخاء .

٢ ـ عدم التعامل بالربا بين التجار وزبائنهم وبين بعضهم البعض بأي شكل وعدم استعمال الحيل في تبرير بعض أنواع الربا المحرم ، مع العلم أنه من الجائز البيع بالأجل بسعر يزيد عن سعر البيع النقدي وذلك مقابل خدمة الأجل أو الوقت لأن الذي اشترى أخذ سلعة مادية يحتاج إليها بذاتها وتمتع بها دون أن يدفع ثمنها لعدم تمكنه من ذلك ، فهذه المنفعة المتخصصة للمشتري دون أن يكون قد دفع قيمة السلعة اصلاً عليه أن يدفع عوضاً عنها لمن مكنه من هذا الانتفاع عن طريق زيادة في ثمن السلعة كلها يؤديها عند تمكنه من ذلك ، وهذا يخالف الربا المحرم بأن الربا هو إعطاء نقد مقابل نقد مع زيادة أحد البدلين عن الآخر ، وهو محرم مهما كانت الزيادة طفيفة فمن أحب تفريج مساعدة المحتاج للمال عليه أن يقرضه إياه قرضاً حسناً بغير عوض مادي إلا الثواب والأجر من الله تعالى ، وتأدية ما لله من حق في مال الأغنياء للفقراء والمحتاجين للعون والمساعدة .

٣ ـ تشجيع عمليات المشاركة بين من يملك المال ومن يملك الخبرة والمؤهل لادارة العمل وتنشيطه لأن في ذلك ثلاث منافع ، فيه منفعة لمالك المال بحيث ينميه بدل كساده ونقصانه بالمصاريف المختلفة والزكاة المفروضة وبقية أنواع الانفاق المطلوب ، والمنفعة الثانية ، لمالك الخبرة والمؤهل والمهارة فإنه بدون مال لا يستطيع الافادة من خبرته ومهارته ، فبواسطة مال الشريك ينهض عمله ويزيد دخله ويكثر ماله ، وفيه منفعة ثالثة للوطن بزيادة الدخل القومي والرفاهية العامة والامكانات

الاجمالية للمواطنين التي ستنعكس بدورها قوة ورفاهية وثقلاً لاجمالي البلد .

٤ ـ منع الاحتكار الذي حرمته الشريعة منعاً كلياً هو حبس البضائع عند حاجة الناس لها وعدم توفرها في السوق بهدف رفع سعر مبيعها بشكل كبير ، مما يحقق ربحاً فاحشاً كبيراً للمحتكر .

٥ ـ يحسن بجميع أنواع التجار الاكتفاء بالحد الأدنى من نسبة الأرباح المقبولة لأن ذلك يوفر السلع للمواطنين بأقل الأسعار ويعود على البائع أيضاً مع دوران السلع وكبر رقم الأعمال بالربح الكبير ، وذلك أفضل من انتظار الربح الفاحش الكبير مع تجميد حركة السلع في السوق وحجبها عن التداول والاستهلاك .

٦ ـ تأدية الضرائب للدولة التي تعود لجميع الناس عن طريق خدمات الدولة الحديثة بالتربية والتعليم والخدمات المختلفة في الأمن والقضاء والدفاع وخدمات توفير السلع المفقودة أو المرتفعة الثمن وينبغي على هذه الضرائب أن تكون عادلة خفيفة على كل مكلف وفي الحد الأدنى فقط لأن ارهاق المواطنين بالضرائب يشل الفعاليات الاقتصادية فتقل ايرادات الضرائب عوضاً عن أن تزيد ، وأيضاً تأدية حق الله من جميع أنواع الانفاق الأخرى المطلوبة من كل مسلم وخاصة حصراً أصحاب الأموال وهذه الأنواع من الانفاق هي كما مر معنا سابقاً التجارة مع الله ، الاقراض لله ، البيع لله ، الصدقات في سبيل الله ، والزكاة ، واخراج تلك النفقات على مدار العام تعميماً لنفع المحتاجين لهذه النفقات الواجبة ﴿ وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ .

٧ ـ عدم بخس الناس أشياءهم واستغفال البسطاء والتحكم بالناس نتيجة توفر المال الذي يمكن التاجر من شراء البضائع من المنتجين الصغار

والمزارعين بل يحسن بصاحب المال إعطاء العامل والمزارع والحرفي حقه كاملاً دون بخس أو نقصان إن لم يكن باحسان وزيادة .

٨ ـ ارجاء المعسر غير القادر على تسديد دينه في وقته إلى وقت آخر وتعاون مجموع الناس مطلوبة لتفريج كربة المدين المعسر والسداد عنه ومساعدته في سداد دينه احتفاظاً بالقوى العاملة في السوق وعدم تشرد بعض الأسر نتيجة خطأ في التقدير أو هبوط مفاجىء في الأسعار أو أزمة من الأزمات .

٩ ـ جرت العادة في السوق التجاري أن التجار يفتحون خزائنهم المالية على مصراعيها للغني المليء في حال تبادل التعامل التجاري بينهم بحيث لا يأبه التاجر كون رصيد حسابه مع صاحبه المليء دائناً أو مديناً ، سالباً أو موجباً ، لاطمئنانه على أن ماله الموجود عند صاحبه الغني في مأمن على الرغم من أن جزءا من ماله قد خرج من يده إلى يد غيره ليرد له في وقت لاحق وبنفس الوقت نجد التجار يقفلون هذه الخزائن ويدعون نضوبها وفراغها وشحهـا فوراً فيما إذا كان طالب الدعم غني سابق أو حتى زميل سابق كبـا به العمل أو الخطأ أو لا يملك الكثير من المال مع أن الثاني أحرى بالعون والدعم والكفالة من الأول ، لأن الأول لديه ما يمكنه من الاعتماد على نفسه أما الآخر فهو بحاجة لهذا الدعم حتى يقف على قدميه ويشارك في العمل والانتاج ومع أن الخدمة المطلوبة هي نفسها في الحالتين إلا أن ملخص الواقع أن التاجر يحجب عونه عمن يحتاجه ويصرفه ويبذله لمن ليس له بحاجة ، وهذا عكس ما يفترض أن يتم في حال سيادة المنطق والرؤيا السليمة وروح التآخي والتعاون والأخوة والرحمة والايثار بين الناس .

١٠ ـ عدم اتباع اسلوب البذخ والاسراف في الانفاق كأسلوب حياة واتجاه سلوك

والترف قضية نسبية وتقديرها متروك لواقع كل مجتمع وظروفه الاقتصادية لكنه بوجه عام مرحلة يلجأ فيها الأغنياء إلى تكديس الأموال والخلود إلى حياة الدعة والخمول ، مرحلة يفقد فيها الانسان صفته كخلية حية منتجة في المجتمع ، إلى عنصر أناني مستهلك لا يرى في الكون رسالة إلا الشهوة الجامحة والبطر والتمرغ في اللذائذ والمتع . والقرآن يذهب إلى أبعد من ذلك في تصديه العنيف والقاسي لظاهرة الترف والمترفين فهم أعداء الهدى والعرفان أعداء الحق والعدل لذلك فصورتهم في القرآن الكريم ترتبط دائماً بالافساد في الدنيا وسوء المآل في الآخرة . ﴿ إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ العلق ٧ فثمة علاقة بين الثراء الفاحش وهو المعني بالترف هذا وبين الطغيان ﴿ وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله إذا تردى ﴾ ٩٢ ـ ٨ ، ١١ وهؤلاء الذين يحبسون المال في الدنيا لن ينفعهم هذا الشح في الآخرة ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ التوبة ٩ ـ ٣٤ وهذا جزاء الذين يكدسون المال ولا يرعون فيه حق الذي هو حق الفقراء.

(هم القاعدون الخاملون في الدنيا ، وهم بما يضربونه من مثل وما يمثلونه من قيم مصدر افساد وبلاء لكل مجتمع ، بل نذير غضب الله ولعنته ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ الاسراء ١٦ وهم بما يفعلون يظلمون الناس ويظلمون أنفسهم واستحقوا وصف التجريم ﴿ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾ هود ١١٧ وربما ألقت هذه الآية بعض الضوء على ما قبلها فسقوط أي مجتمع وهلاكه ليس قدراً مكتوباً عليه ، ولكن له أسبابه وهي تكمن في حالتنا هذه في ظاهرة الترف التي تستشرى فيه ، والآية لها مغزى آخر أكثر من تجريم الترف والمترفين لكنها هنا تحمل المجتمع مسؤولية

التصدي لهذه الظاهرة والقضاء عليها وإذا تقاعس المجتمع عن ذلك فالمصير السيء ينتظره . وهم على مدار التاريخ ضد الهدى والعدل ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾ وهم على مدار التاريخ ضد الهدى والعدل ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ سبأ ٣٤ وهم دائماً مكابرون جاحدون ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك مترفين، وكانوا يصرون على الحنث العظيم، وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءإنّا لمبعوثون ﴾ وفي هذا الموضع من سورة الواقعة يواصل القرآن إنذارهم بمصيرهم في الآخرة حيث ينتظرهم أفظع نهاية ، ويخاطبهم الله سبحانه بهذا التوجه المليء بالازدراء ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم ﴾ والآيات كثيرة في القرآن الكريم وكلها تشن هجوماً ضارياً وقاسياً على الترف والمترفين وتكشف ما في الترف من جرم وقبح وكفر وظلم . . .)[1] .

وفي القرآن الكريم ثمانية مواضع ندد فيها الله سبحانه تعالى بالترف وأهله والآيات أرقامها التالية (٢٣ ، ٣٣) (٢١ ، ١٣) (١١ ، ١١٦) (٣٤ ، ٣٤) (٤٣ ، ٢٣) (٥٦ ، ٤٥) . . . (١٧ ، ١٦) (٢٣ ، ٦٤) .

ثالثاً : المصارف :

تعمل المصارف وفق المبادىء الاقتصادية لتحقيق الأهداف التالية :

١ ـ هدف المصارف خدمة التنمية الاقتصادية وتدعيمها عن طريق توفير الأموال اللازمة لتجري بناء المشاريع وتوفير رأس المال لبعض المؤسسات .

---

(١) فهمي هويدي ، « كلام في العدل هؤلاء المترفون » مجلة العربي العدد ٢٤١ ، ١٩٧٨/١٢ .

٢ ـ تأمين السيولة النقدية للمشاريع بهدف تنشيط الاستثمار وتوسيعه وللأفراد حتى لا يتعطلوا عن الانتاج والعمل .

٣ ـ تسهيل التعامل المالي بين الأفراد والمشاريع ومع العالم الخارجي .

٤ ـ القيام بعمليات الاتجار بالأموال بيعاً وشراءً ، بمختلف أنواعها وجنسياتها تدعيماً للعملة الوطنية .

٥ ـ تحقيق أرباح لتوزيعها على العاملين ولزيادة امكانية عمل المصرف وتوسع نشاطه .

٦ ـ لا تتعامل المصارف بالفوائد أياً كان نوعها واسمها وشكلها لا مدينة ولا دائنة .

٧ ـ النشاط المصرفي حكومي بالكامل ويدار لصالح مجموع المجتمع لأهمية الأعمال المصرفية وتأثيرها على مجرى الحياة الاقتصادية للبلد بذلك لا ضرورة لبقائها بيد الأفراد .

٨ ـ لكل فرع مصرفي وحدته المستقلة ويتنافس مع بقية الفروع لتحقيق الأرباح والخدمات للمواطنين ويتعاون في تنفيذ الدراسات العلمية التي يحتاج إليها في تنفيذ مهامه مع أي دائرة عامة أو خاصة أو مصرفية أخرى .

٩ ـ توزع اجزاء من أرباح المصارف قبل رفع الاحتياطيات على العاملين لأنهم منتجون أساسيون لهذه الأرباح بتعاونهم وتفانيهم بالعمل .

١٠ ـ تخدم المصارف السياسة المالية والاقتصادية للدولة عن طريق المصرف المركزي الذي يتعامل مع الفروع المصرفية ويوجهها لمصلحة البلد .

١١ ـ الايداعات الفردية في المصارف مضمونة من الدولة وتحصيل ديون المصارف على الافراد بالقانون .

بهذا نجد أن للمصرف ممارسة النشاطات التالية :

١ ـ قبول ايداعات الأفراد وحفظها لهم لحين الطلب كنوع من الادخار الاختياري دون دفع أية فائدة مادية لهم ودون خصم أي مصروف أو نفقة عليهم .

٢ ـ فتح حسابات للتجار والصناعيين ورجال الأعمال والمؤسسات الخاصة والعامة ، لتسهيل عملياتهم التجارية ويعمل كوكيل مالي لهم دون دفع أي فائدة لهم ودون خصم أي مصروف عليهم .

٣ ـ الاتجار بالقطع الأجنبي والتدخل في السوق بائعاً ومشترياً بقصد الربح وبقصد تحسين المركز المالي للعملة المحلية ولتمويل التجارة الخارجية واحتياجات الدولة من القطع الأجنبي .

٤ ـ تسهيل الاستيراد والتصدير بفتح الاعتمادات المصرفية مع ايداع نسبة من قيمة الاعتماد كأمانة تكفي لتغطية فوائد المصارف الأجنبية عن الفترة بين فتح الاعتماد وتسديد قيمته .

٥ ـ الدخول في شراكات مع أصحاب المهارات بالمال تشجيعاً لهم ولدعم حركة الأعمال مقابل إما نصف الأرباح أو الاشتراك في الادارة أو التملك الكامل في حالة التقصير الاداري أو الفني أو مراقبة حسابات الشريك .

٦ ـ القيام بدراسات اقتصادية ومالية تجارية للأسواق والسلع والأسعار .

٧ ـ تسليف ذوي الدخل المحدود بدون اقتطاع أية فائدة فتعطي

الموظفين بضمان رواتبهم وللحرفيين بضمان أعمالهم ولصغار الكسبة إما برهن أو بأسلوب يشجعهم على العمل ويضمن عودة أموال المصرف .

٨ ـ تسليف رجال الأعمال والاداريين والصناعيين والماليين والتجار بنفس شروط المشاركة الواردة في البند (٥) .

٩ ـ تمويل شراء المحاصيل والاتجار بها وبيع وتسويق البذور والمخصبات والمشاركة في تأمين خدمة النقل للانتاج الزراعي للبلد عن طريق المشاركة في الأرباح لا الفوائد الربوية .

١٠ ـ يفتح المصرف فروعاً له في الخارج لتمويل التجارة الخارجية الوطنية ، ويقبل ودائع أجنبية وتأمين القطع الأجنبي وتهدف إلى دراسة الأسواق الأجنبية وتأمين الاستيرادات والصادرات لصالح الدولة والأفراد وتأمين السيولة النقدية التحويلية للقطر بالمشاركة مع مشاريع أو أفراد .

١١ ـ تتبادل جميع الفروع المعلومات عن الزبائن والسلع والأسواق والدراسات بنظام معلومات شامل ومتكامل .

١٢ ـ يمكن تبديل سندات البيع بالأجل من التجار بقيمتها النقدية على أساس مشاركة التاجر بنسبة من الفرق بين ثمن البضاعة النقدية والآجلة تساوي نسبة الزمن الباقي من أجَل السند التجاري . فمثلاً لو باع تاجر لآخر بضاعة قيمتها ٥٠٠٠ ل س وقيمتها الآجلة مبلغ ٦٠٠٠ ل س لستة أشهر بسند بالقيمة الآجلة فيستطيع هذا التاجر قبض قيمة السند الذي حرر بتاريخ ١ / ١ ويستحق بتاريخ ٣٠ / ٦ بمبلغ ٦٠٠٠ ل س وقيمة البضاعة نقداً ٥٠٠٠ ل س فإن هذا التاجر يمكن أن يخصم هذا السند في البنك كما يلي :

يستطيع قبض ٥٠٠٠ ل س من المصرف وهي قيمة البضاعة الحاضرة بتاريخ ١/١

يستطيع قبض ٥٠٠٠ + ١/ ٦ (١٠٠٠) = ٥١٦٦ بتاريخ ٢/١

يستطيع قبض ٥٠٠٠ + ٢/ ٦ (١٠٠٠) = ٥٣٣٣ بتاريخ ٣/١

يستطيع قبض ٥٠٠٠ + ٣/ ٦ (١٠٠٠) = ٥٥٠٠ بتاريخ ٤/١

يستطيع قبض ٥٠٠٠ + ٤/ ٦ (١٠٠٠) = ٥٦٦٦ بتاريخ ٥/١

يستطيع قبض ٥٠٠٠ + ٥/ ٦ (١٠٠٠) = ٥٨٣٣ بتاريخ ٦/١

يستطيع قبض ٥٠٠٠ + ٦/ ٦ (١٠٠٠) = ٦٠٠٠ بتاريخ ٦/٣٠

ويقوم المصرف بتحصيل النسبة الباقية لحسابه من المدين بتاريخ الاستحقاق .

رابعاً : التأمين :

تشمل النشاطات التأمينية الأعمال التالية :

التأمين ضد أخطار النقل البحري والجوي والبري ، التأمين ضد أخطار الحريق ، التأمين ضد أخطار حوادث السيارات ، عمليات إعادة التأمين . ونتصور المبادىء التالية لتحكم عمليات التأمين المذكورة أعلاه :

١ ـ توضع تعريفات التأمين وهي النسب الموضوعة على المبالغ المؤمن عليها لقاء تحمل أخطار النقل أو الحريق أو الحوادث وفق الخبرة العملية والتعريفات السائدة في العالم وقوانين الاحتمالات الرياضية .

٢ ـ عدم التهرب من تعويض الأضرار الجزئية او الكلية لمستحقيها بعد التأكد من وقوع الضرر ومدى هذا الوقوع وبسرعة .

٣ ـ الأصل في أعمال شركات التأمين تعويض اضرار الحوادث لا

جني الأرباح الطائلة فإن تحقق الربح فلا بأس ولكن ليس هو الهدف من عمل شركات التأمين وذلك حتى لا تسعى الشركة للتهرب من تعويض أضرار المؤمنين والاكتفاء بالتشدد في تحصيل اقساط التأمين المتوجبة على المؤمنين .

٤ ـ لهذا لا أعتقد أن شخصاً أو شركة تخاطر بهذا العمل لتحقيق الارباح لذلك يمكن أن يكون هذا العمل التأميني والذي هو نوع من أنواع التكافل الاجتماعي عملاً حكومياً عاماً .

٥ ـ لا تأمين على الحياة بمختلف أشكال هذا التأمين وأنواعه وتتكفل مؤسسات التكافل الاجتماعي بكفالة الاضرار الناشئة عن الموت أو الحوادث على الأشخاص لذلك ينبغي انشاء مؤسسات متكاملة هدفها الرعاية الاجتماعية للعمال والموظفين والمستخدمين في القطاعين العام والخاص ولكل من يحتاج ويرغب ، بحيث تغطى لقاء اشتراكات محسوبة أخطار الاصابة أو العجز أو البطالة أو المرض أو الحوادث الطارئة أو المناسبات الخاصة ، أو تغطى تعويضات المحتاجين من ايرادات صناديق التكافل الاجتماعي من الزكاة أو التبرعات من المواطنين .

خامساً : السياسة النقدية :

يمكن ذكر الأهداف الكبيرة التالية التي يجب أن تحققها السياسة النقدية بهدف ضبط التضخم النقدي بحيث لا يؤثر تأثيراً سلبياً على الحياة الاستهلاكية وعلى الطاقات الانتاجية المتاحة للمواطنين والتضخم النقدي ببساطة هو طرح كمية من الأوراق النقدية أكبر بكثير من السلع والخدمات المتوفرة في السوق والتي يمكن أن توفرها الطاقة الانتاجية للبلد ، فإن كثرة الأوراق النقدية المطروحة في السوق تدفع مالكيها لدفع كمية منها أكبر في شراء سلعة كانوا يدفعون بها كمية معينة من النقود ، بهذا لا يستطيع ذوو

الدخل المحدود شراء السلع بأسعارها الجديدة فتتفاقم أزمة الفقر والعوز وتكسد البضائع لعدم وجود مشترين كثر لها في السوق لغلائها فتتعطل الدورة الانتاجية ويسود الكساد السوق الاقتصادي مما يجعل استمرار حالة التخلف بدلاً من السير باتجاه التقدم والتنمية الاقتصادية .

وقد برر بعض الاقتصاديين عملية طرح أوراق نقدية في السوق زيادة عن الامكانية الانتاجية المتوفرة للبلد بأنها وسيلة لا بد منها لبدء انشاء المشاريع الاقتصادية اللازمة للبلد وانشاء المرافق العامة الضرورية كالطرق والجسور والسكك الحديدية والسدود وهو ما يسمى بلغة الاقتصاديين البناء الهيكلي الأساسي للبلد ، وأنه بدون هذا الطرح الكثير للأوراق النقدية ـ تسمى هذه الطريقة التمويل بالعجز ـ لا يمكن البدء بتنفيذ المشاريع المطلوبة لبلد متخلف يسعى لتلمس طريقه نحو التقدم والتنمية الاقتصادية .

ويمكن الاجابة على هذه السياسة بأن الدواء الذي يخلف مرضاً جديداً نحار من جديد في علاجه بدواء آخر يخلف أمراضاً جديدة تقضي في النهاية على الانسان نهائياً وهذا مثل علاج المشكل الاقتصادي بحل يخلف لنا مشكلة اقتصادية أكثر تعقيداً وهي مشكلة التضخم النقدي والكساد الاقتصادي .

لذلك لا بد من ايجاد وسيلة تعين على حل المشكل الاقتصادي الأساسي دون الوقوع في شرك احداث مشاكل جديدة لم تستطع دول العالم وخبراؤها ايجاد الحلول العملية لها .

واعتقد أن علاج أي مشكلة اقتصادية أو اجتماعية يكمن في البحث عن الوسائل المتاحة بين ايدينا وإمكاناتنا والمتوفرة ذاتياً ولو كانت بسيطة ، ولو كانت غير فعالة ، فإن تجميع هذه الطاقات البسيطة مع بعض وارداتها

بنجاح وتوجيهها وجهة واحدة كفيل بتحقيق القصد والهدف في حل هذه المشاكل الاقتصادية ، ويعني ذلك أيضاً استغلال إمكانات الأفراد في خدمة الهدف العام بدل اتكال الجميع على الجهاز الاداري للدولة ليحل لهـم كل هذه المشاكل فيجد هذا الجهاز نفسه في دوامة من الأعمال والمهمات يستطيع على أقلها ولا يستطيع على بعضها وتبقى امكانات مجموع الناس معطلة جامدة لا تعمل شيئاً أو تعمل في عكس الهدف النهائي المحدد مسبقاً .

وكمثال على ذلك نجد أن معظم البلدان النامية تجد نفسها عاجزة عن القيام بكل الانجازات الضرورية في مجال البناء الهيكلي الاقتصادي للبلد من شق طرق وايصال كهرباء وفتح مدارس وتوفير معلمين والقضاء على الأمية . وذلك إما لنقص الاعتمادات أو الأموال اللازمة أو لضخامة العبء الملقى على عاتق الميزانية العامة والتي تستنفذها المراكز الادارية المتعددة فلو أن البلد طرحت شعار الاعتماد على النفس وطبقته في تنفيذ كل هذه المشاريع وذلك بأن تشجع كل قرية في المساهمة في ايصال الطريق بينها وبين القرى المجاورة والتبرع ببناء يصلح كمدرسة والتبرع بتوفير الأعمدة الخشبية اللازمة لتمديد وصلات الكهرباء وتبرع المتعلمين في كل قرية بتعليم الكبار منهم . وكذلك استغلال العطلة الصيفية وتوجيه الطلاب والطالبات لهذه القرى والمراكز الحضرية لتأمين الخدمات المطلوبة لها تطوعاً وتبرعاً عوضاً عن الفراغ الممل الذي يعيشة الجيل الناشىء . بذلك نجد انفسنا قد حققنا انجازات كبيرة دون تكلفة مادية كبيرة مع فائدة كبيرة للشباب المتحمس لخدمة بلده فيما ينفع وشعوره بأن جهده ووقته لم يضع هباء وأنه ساهم مساهمة فعالة حقيقية ومادية في خدمة بلده وتحقيق تقدمها وتنميتها .

فإذا تم اعتماد النهج في حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية نكون

قد ساهمنا في حل المشاكل دون احداث مشكلات جديدة وهذا افضل من أي حل يؤدي إلى إحداث تعقيدات نحار في حلها وتستعصي على الجميع .

والأهداف العامة هي التالية :

١ ـ جعل القوة الشرائية تحقق توزيعاً عادلاً للدخول بين مختلف درجات المواطنين فلا تكون القوة الشرائية لكمية النقد المتداولة في السوق ضعيفة يتضرر ذوو الدخل المحدود منها بحيث لا يستطيعون شراء احتياجاتهم الرئيسية ولا هي مرتفعة مما يعطي قوة اضافية للمتمولين اصحاب رؤ وس الأموال ويخل بالتوازن وعدالة توزيع ثروة الأمة وطاقتها الانتاجية بين الناس .

٢ ـ تيسير تمويل أصحاب الخبرة والمهارة المنتجين وتوفير رؤ وس الأموال لهم ليستطيعوا بدء نشاطهم الانتاجي بها بشروط معقولة تتيح لهم تسديد هذا المال دون ارهاق والحصول عليه دون مشقة .

٣ ـ مراقبة التقلبات في اسعار صرف العملة الوطنية مقابل العملات الأجنبية والتدخل في توجيه هذه التقلبات في الأسعار في صالح العملة الوطنية عن طريق البيع والشراء في السوق المالي وذلك لتثبيت مستوى اسعار العملة الوطنية خدمة لتثبيت اسعار مبيع وشراء البضائع والمنتجات في الأسواق الداخلية .

٤ ـ ترغيب المواطنين في تجميع ادخاراتهم لدى المصارف المحلية تمهيداً لتوجيهها وجهة انتاجية في صالح استغلال الطاقات الانتاجية المعطلة في المصانع القائمة أي لجعل كل الوحدات الانتاجية في المعامل والمصانع تعمل بكل طاقتها الانتاجية وتنتج اقصى ما يمكن انتاجه من السلع وكذلك في صالح زيادة الطاقة الانتاجية عن طريق انشاء وبناء

وحدات انتاجية جديدة من معامل ومصانع وورش .

٥ ـ يمكن استخدام طريقة التمويل بالعجز أي اصدار اوراق نقدية فقط في حالة صرفها في انشاء مصانع أو وحدات انتاجية تستطيع إعادة رأس المال الذي أصدر بأوراق نقدية جديدة خلال فترة قصيرة جداً سنة أو سنتين أو ثلاث سنوات على الأكثر .

٦ ـ منع التعامل بالفائدة في السوق النقدية بأي شكل ولأي غرض لأن سعر الفائدة من أهم عوامل احداث التضخم في السوق النقدية .

٧ ـ السعي لعقد اتفاقات مع مصارف اجنبية أو انشاء فروع للمصارف المحلية في الخارج لتسهيل التجارة الخارجية وتأمين المصالح الوطنية النقدية والسلعية في تعاملها مع الأسواق الخارجية .

٨ ـ لا بد من وجود ادارة مركزية تراقب حركة الاسواق النقدية داخل البلد وفي علاقة البلد مع الأسواق النقدية العالمية .

٩ ـ تعامل حركة الاعتمادات المصرفية أو ما يسمى بالنقد الخطي وهي التسهيلات التي يمنحها المصرف لزبائنه في سحب الأموال منه لصرفها على مشاريع مالية أو عمرانية أو انتاجية أو تجارية أو زراعية ، معاملة الاصدار النقدي بدون تغطية ذهبية أو انتاجية أي معاملة التمويل بالعجز وذلك يعني عدم استخدام طريقة التمويل بالاعتمادات المصرفية إلا لتمويل الحركة الانتاجية في البلد وليس بأسلوب الفائدة الربوية وإنما بأسلوب المشاركة في الأعمال كما مر في بحثنا لعمل المصارف .

سادساً : السياسة الضريبية :

ينظر إلى الضريبة على أنها :

أ ـ وسيلة من وسائل السياسة الاقتصادية يجري عن طريقها تنشيط الحركة الاقتصادية في البلد أو تثبيطها .

ب ـ وسيلة من وسائل تحقيق العدالة الاجتماعية وتصحيح اختلال توزيع الثروة بين المواطنين عن طريق فرض ضرائب عالية على الشرائح العليا من الدخول أي على كبار المتمولين ورجال الأعمال الكبيرة وإعفاء صغار الدخول من الضريبة وبعد ذلك انفاق الضرائب المتحصلة من الشرائح العليا من الدخول في صالح أصحاب الدخول الضعيفة ، بذلك يمكن إعادة بعض التوازن في توزيع الدخول بين المواطنين .

جـ ـ عدم تحصيل أي ضرائب من المواطنين إلا في حدود مستوى الانفاق الحكومي الواجب والضروري جداً عن طريق استبدال الانفاق الحكومي على قضايا التكافل الاجتماعي بانفاق الأفراد التطوعي بدافع من وازع ديني أفضل من جباية الأموال منهم بقوة الدولة .

ويمكن توصيف سياسة ضريبية خاصة بكل من نوعي الضرائب وهي المباشرة وغير المباشرة :

أولاً ـ الضريبة المباشرة :

وهي التي تفرض بشكل مباشر على شخص أو دخل أو مال محدد ويمكن اتباع المبادىء التالية في تحديد الضريبة المباشرة :

١ ـ تخفيض الضريبة المباشرة عن ذوي الدخل المحدود والتوسع في اعفاءات الحد الأدنى من الدخل .

٢ ـ تبسيط حسابات الضريبة المباشرة وتسهيل طرق جبايتها لتحصيلها بسرعة وبتكلفة اقل .

٣ ـ جعل الضريبة المباشرة تصاعدية على الدخل وعادلة بحيث لا

يتردد أحد عن التصريح بدخله الحقيقي ويسارع في تسديد ما كلف به من ضريبة مباشرة .

٤ ـ عدم استثناء أي مجموعة أو طبقة أو فئة أو قطاع من الضريبة المباشرة مع اعفاء الفعاليات المرغوب بتنشيطها كتأليف الكتب العلمية والبدء بالاستثمارات الصناعية أو الزراعية .

٥ ـ فيما يخص الضريبة المباشرة على الرواتب والأجور على الموظفين والعمال والمستخدمين يمكن التفكير تخفيفاً من أعباء توزيع الرواتب من مالية الدولة ثم يجري اقتطاع جزء من هذه الرواتب كضريبة مباشرة على الرواتب والأجور والتعويضات ، ثم تحويل هذه الأموال المقتطعة إلى مالية الدولة مرة ثانية ، وتوفيراً لهذه الجهود يمكن اعتبار الراتب المقطوع هو الراتب الصافي بعد الضريبة دون أن تخرج الضريبة من صندوق المالية ثم تعود إليه بعد أن يعمل على احتسابها ، وتسجيلها ، وتحويلها عدد كبير من المحاسبين ، وتستهلك مبلغاً كبيراً من النفقات الادارية والكتبية ، ويستلم كل موظف أو عامل راتبه الصافي مباشرة على جدول واحد يوقع عليه كل شهر ، ويقبض صافي استحقاقاته فوراً على أنها راتبه المقطوع الجديد .

ثانياً ـ الضريبة غير المباشرة :

تفرض الضرائب غير المباشرة على السلع بحيث لا تؤدي إلى رفع سعر السلع إلى درجة تثبط الطلب على السلع وتحدد استهلاكها وبحيث لا يحدد السعر على أساس درجة احتكار السلعة وقلتها أو ندرتها في السوق ، وتفرض ضريبة غير مباشرة عالية على سلع المترفين والسلع الكمالية .

سابعاً ـ الزكاة :

بعد أن تعرفنا على هذا الفرض الالهي الذي أوجبه على عباده

وجعله ركناً من أركان اسلام المرء ، فحتى يكتمل اسلام انسان ما عليه أن يؤدي جميع أركان هذا الاسلام ، والتي هي خمسة أركان ثلاثة أركان منها لا تحتاج لانفاق مادي وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وصيام شهر رمضان ، وركنان لا بد من المال لأدائهما وهما الحج والزكاة ، فمن لا يملك المال فإن اسلامه بثلاثة أركان ومن لديه المال يفرض عليه حتماً تأدية أركان اسلامه كاملة مع الحج والزكاة ، لذلك يصبح فرضاً على كل مسلم أن يعمل ويكد ويسعى جهده ليصبح غنياً وبالتالي يكتمل اسلامه بأركانه الخمسة كاملة ، وهذا لا يتنافى مع الزهد الواجب والمطلوب من كل مسلم أيضاً إذ أن للزهد معنى شائعاً خاطئاً عند الناس وهو باعتقادهم يقابل الفقر والعوز والفقر وهذا خطأ كبير إذ هل نستطيع أن نصف الفقير الذي لا يستطيع أصلاً شراء أي شيء إنه زاهد بهذه الأشياء ؟ أو يجب أن نصفه أنه عاجز عن شرائها ؟ إنه بلا شك عاجز وليس بزاهد ، إنما الزهد أن تملك الدنيا ولا تملكك أي أن تكون الدنيا بيدك لا بقلبك إن تملك الدنيا ولا تأبه بها ولا تكون عبداً لها ولكن تستعبدها مرضاة لله وإنفاقاً في سبيل الله والتمتع بها والجود بها ضمن حدود الأوامر الشرعية . فهذا هو الزهد الحقيقي الذي يجب على كل مسلم أن يكونه أي أن يمتلك الدنيا ويزهد بها ولا يصبح عبداً أسيراً لشهواتها وزخارفها فيوظفها لخير نفسه وخير أهله وخير مجتمعه في سبيل الله ومحبة لله وبهدف الفوز برضاء الله عز وجل .

والزكاة فريضة واجبة على كل مسلم امتلك النصاب وتعني اقتطاع جزء بسيط من ثروات الناس فرضاً وإلزاماً لا خيار فيه ولا تردد ليجري انفاق هذه الأموال على الوجوه المختلفة كما مر معنا سابقاً في بند على من ننفق أعطيات المسلمين وهي الجهات التي حددتها الآيات الكريمة . إن هذه الواردات البالغة ٢,٥٪ من اجمالي ثروة المواطنين لا من ارباحهم تشكل

مورداً عظيماً يمكن بواسطته تغطية كل حاجات جهات التكافل الاجتماعي المطلوب توفرها في المجتمع بحيث لا يترك أي فرد نهبة للطوارىء وعرضة للفواجع فيجد من أهله وجيرانه وحيه ومجتمعه من يواسيه عطفاً ومساعدة مادية ومن يقف إلى جانبه دعماً مالياً ومعنوياً بحيث يعود كما كان وأحسن عضواً نافعاً منتجاً في المجتمع يكون نفسه ويعيلها ويعيل اسرته ثم ليعود ليؤدي دوره في معاونة مواطنيه واخوانه ، وقد نجد في المراحل الأولى أن المجتمع بحاجة إلى اعتمادات اضافية لم تتمكن أعطيات الزكاة من توفيرها . هنا نجد أن الله قد فرض بعد الزكاة على المسلمين التي تمثل الحد الأدنى المفروض ، فرض انفاقاً اضافياً نوه عنه القرآن الكريم كما مر معنا في بحث أنواع الانفاق المطلوبة من كل مسلم .

ومن أجل ضبط عملية جمع أموال الزكاة وتوزيعها يمكن الاسترشاد بالاجراءات التالية :

١ ـ يقسم البلد إلى وحدات صغيرة في المدن والقرى لتشمل الأسواق الرئيسية والأحياء الكبرى .

٢ ـ تصرف الزكاة بالدرجة الأولى في الوحدة التي جبيت منها وإن فاض عن حاجتها يحول إلى وحدات أخرى محتاجة وإن كانت موارد الوحدة ضعيفة تدعم من وحدات أغنى منها .

٣ ـ جمع الزكاة في القرى على المحاصيل الزراعية وقطعان الماشية عند الحصاد أو الربيع وتتسلمها لجنة الزكاة لتقوم بتوزيعها على المستحقين فوراً ، بعد أن تكون قد أعدت خطة لكيفية انفاق هذه الموارد .

٤ ـ إن جمع الزكاة في الأحياء مدعاة للتنافس في أعمال الخير والتسابق بها بحيث يعلن أن الحي الفلاني قد جمع وأنفق ما مبلغه كذا من الأموال وليس به محتاج أو مريض أو عاجز أو مديون أو مشروع اسلامي من

بناء مدارس شرعية أو تمويل الدعوة إلى الله أو الانفاق على العلم والعلماء والأئمة .

٥ ـ إن جمع الزكاة ايضاً في الأسواق مدعاة أيضاً للتنافس بين الأسواق لجمع وإنفاق أكبر ما يمكن من المبالغ في سبيل الله والأعمال الخيرية .

٦ ـ ضغط نفقات الجباية إلى أقل ما يمكن بتشجيع العمل الطوعي وحث الأفراد على تسديد زكاتهم المفروضة وأي إنفاق آخر إلى اللجنة المختصة بجمع الزكاة .

٧ ـ تساعد لجان الزكاة المواطنين في تقدير مقدار زكاتهم بناء على طلبهم أو لمن تعتقد اللجنة بأنه لم يقدر مقدار الزكاة المفروضة عليه بشكل سليم .

ثامناً : الاسكان :

نلاحظ في أغلب الدول النامية ميل المتمولين إلى الاتجاه إلى سوق العقارات لا بهدف اقتناء مسكن خاص أو متجر خاص أو مخزن أو أرض لاقامة مصنع أو لانشاء مشروع زراعي أو تربية حيوانات نافعة بل بهدف المضاربة والربح عن طريق بيع ما تم شراؤه مرة أخرى لمستفيد آخر قد يكون تاجراً آخر أي مضارباً آخر ، ينتظر فرصة أخرى لارتفاع سعر العقار أو الأرض ليبيعه بربح وهكذا ، لقد أدى منع وتثبيط الأفراد القيام بمشاريع صناعية بإجراءات التأميم العشوائية والمصادرة الظالمة وتعقيد الأعمال ومنع الأفراد من التوسع في الأعمال الصناعية عن طريق عدم تجهيز وتدريب يد عاملة مناسبة وعدم تشجيع قيام زراعات حديثة ممكنة وكذلك منع الأفراد الذي لا يتمكنون من إدارة أنشطة مربحة بأنفسهم من تثمير

ادخاراتهم في شركات مساهمة أدى كل ذلك إلى اتجاه جميع إمكانات المقيمين والمغتربين والأجانب إلى استثمار أموالهم وادخاراتهم وانشطتهم في المضاربة على العقارات والأراضي لأنه هو المجال الوحيد المفتوح أمامهم ، إضافة إلى ذلك أدت قوانين الايجارات المتشددة إلى عدم اقبال مالكي العقارات الجدد على استثمار عقاراتهم في تأجيرها للمحتاجين بواقع ٥٪ أو ٧٪ من القيمة فأصبح المالك لا يسلم بيته إلا إلى مشتر جديد . وهكذا دارت حلقة المضاربة على العقارات واحكمت . وبذلك قفزت أسعار البيوت إلى أرقام خيالية تفوق سعر التكلفة أضعافاً مضاعفة وارتفعت ثمن المنازل والعقارات والأراضي إلى عشر أضعاف ثمنها قبل خمس سنوات فقط فأصبح سعر المنزل في دمشق أو القاهرة أو دول الخليج أغلى من ثمن منزل في لندن أو باريس أو نيويورك ، وهي كبرى العواصم المكتظة ، والمقصودة في العالم . وهذا وضع شاذ جداً وغير منطقي ولا يتفق مع المصلحة الاقتصادية للمجتمع ولا المصلحة الفردية للمواطنين إذ تعذر على أغلب الشبان الذين يرغبون بالزواج وتكوين اسرة كخلية اجتماعية حية منتجة بدء حياتهم لغلاء البيوت وتعذر على مالك البيت ومؤجره أن يسترد بيته وكثرت المشاحنات والمنازعات ووصلت إلى حد القتل والجريمة .

والسبيل الوحيد للخروج من هذه الأزمة ، هو وقف كل عمليات المضاربة على الأرض والعقار بأي شكل من الأشكال ، هذا الوقف يتم عن طريق انهاء كل العوامل التي أدت إلى المضاربة على العقارات والأراضي والتي تم ذكرها سابقاً وهي :

١ ـ فسح المجال إن لم يكن تشجيع المواطنين على انشاء مشاريع صناعية .

٢ ـ فسح المجال إن لم يكن تشجيع المواطنين على إنشاء مشاريع زراعية .

٣ ـ تثمير ادخارات المواطنين في شركات مساهمة منتجة لا في شكل قروض ربوية تزيد من التضخم النقدي الموجود بكل اضراره وانعكاساته السيئة .

٤ ـ تعديل قوانين الايجارات بحيث تضمن للمالك استرداد بيته بعد مهلة محددة مع تدبير سكن للمستأجر ولو مؤقتاً ريثما يجد مسكناً بديلاً .

٥ ـ من نذر نفسه وحياته للخدمة العامة في وظائف الدولة على الدولة تأمينه في حياته وسكنه ومرضه وتربية أولاده وتعليمهم .

٦ ـ تأمين سكن للعاملين بجانب مراكز عملهم في المصانع والمزارع مما يوفر على المشاريع مشكلة المواصلات وعدم ارتباط العامل بالمشروع . أما إذا ارتبط العامل بالمشروع فإنه يخلص لعمله أكثر ويتفانى في أدائه على أكمل وجه .

٧ ـ توزيع المراكز الحضرية على انحاء البلد وعدم تكثيفها في مدن وأماكن محددة .

٨ ـ التوسع في الحدائق والمساحات الخضراء بين المنازل مع عدم ارتفاع المساكن بشكل عالٍ جداً .

٩ ـ توفير مواد البناء بأرخص الأسعار .

١٠ ـ الاتجاه لاعمار المناطق الجرداء والقاحلة ولو كانت بعيدة مع تأمين المواصلات والخدمات لها لا اعمار المناطق الزراعية حتى لا يحرم البلد من انتاجها وخيراتها وفوائدها الكثيرة .

١١ ـ تشجيع التعاون العقاري المنظم من قبل الدوائر العامة والمصرفية .

تاسعاً : الرواتب والأجور :

يمكن ايراد المبادىء والأسس التالية التي يقوم عليها النظام المقترح للرواتب والأجور :

١ ـ المساواة الكاملة في الراتب الأصلي بين جميع العاملين على اختلاف مستوياتهم من العامل العادي إلى حامل الدكتوراه .

٢ ـ إعطاء راتب إضافي لحملة الشهادات والخبرات تحقيقاً للعدالة وتعويضاً عن الجهد وتقديراً للخبرة المتحصلة .

٣ ـ الزيادة سنوية في الرواتب والأجور وقائمة على اعتبار أنه كلما عمل العامل فترة أطول في عمله ازدادت خبرته ومهارته في أداء هذا العمل لذا فإنه يستحق اجراً أعلى من اجره الأول

٤ ـ ضغط الفروق في مستويات الدخول إلى أدنى حد ممكن .

٥ ـ التركيز على العمل ضمن الاختصاص .

٦ ـ تعويض راتب الشهادة يتضمن ايضاً علاوة أو زيادة سنوية مقابل ازدياد الخبرة إلا أن هذه الزيادة متناقضة لأن الخبرة تزداد بشكل كبير في المراحل الأولى ثم تزداد ببطء أكبر في المراحل المتقدمة .

٧ ـ شمل النظام لجميع حالات العمر أو السن ومدة الخدمة أي منذ الثامنة عشرة من العمر وحتى سن الستين ، هو سن التقاعد ذلك يمتد على مدى اثنتي واربعين سنة .

٨ ـ يردف هذا النظام نظاماً آخر للمكافآت التشجيعية يربط الأجر بالانتاج إن أمكن لرفع الانتاجية فوق الحدود المطلوبة .

٩ ـ إذا حصل العامل على شهادة أعلى من التي يحملها وعمل في اختصاصه الجديد يتقاضى الراتب الذي وصل إليه مع راتب الشهادة الجديدة .

١٠ ـ يقر التعويض العائلي عن الزوجة والأولاد ومن يعيلهم الموظف .

١١ ـ يحرم من الزيادة في راتب الشهادة الذي لا يعمل ضمن اختصاصه رغم توفر العمل له .

١٢ ـ يربط الاجر بالرقم القياسي للأسعار السلع الاستهلاكية الأساسية بحيث يعدل الأجر الأساسي وفق التقدير النهائي للرقم القياسي للأسعار في مطلع كل سنة حتماً حتى لا يتأثر مستوى معيشة محدودي الدخل بالتضخم النقدي وذلك يعني أن يزداد دخل العامل بازدياد الأسعار وانخفاض الدخل بانخفاض الأسعار ويحسب هذا الرقم القياسي عن طريق دراسة أسعار مجموعة سلع الاستهلاك الأساسية والضرورية لمعيشة المواطنين ويحسب مقدار زيادة هذه الأسعار في كل سنة عن السنة السابقة لها مع اعتبار الكميات المستهلكة من كل سلعة كعامل تثقيل وترجيح للسلع المختلفة بحسب أهميتها الاستهلاكية .

ونستطيع ايراد مثال عملي عن النظام المقترح للرواتب والأجور كما هي اسعار ٣١ /١٢/ ٧٨

عاشراً : التخطيط الاقتصادي والاجتماعي :

يمكننا ايراد البحث التالي عن ماهية التخطيط مفهومه العام وأنواعه

الراتب بحسب أوضاع ٣١/ ١٢/ ١٩٧٨ بموجب النظام المقترح

	العامل العادي	حملة الثانوية	المعاهد المتوسطة	الاجازة الجامعية	الماجستير	الدكتوراه
الراتب الأساسي	٥٠٠	٥٠٠	٥٠٠	٥٠٠	٥٠٠	٥٠٠
تعويض الشهادة	-	١٥٠	٣٠٠	٥٠٠	٨٠٠	١٥٠٠
مجموع راتب السنة١	٥٠٠	٦٥٠	٨٠٠	١٠٠٠	١٣٠٠	٢٠٠٠
الوضع الحالي		٤١٥	٥٧٥	٦٩٥	٧٣٠	+٨٧٠ ١٢٦٠ للجامعة
الزيادة السنوية (لكل اربع سنوات) ١	٢٠	٢٥	٣٠	٣٥	٤٠	٥٠
الزيادة السنوية ٢	٢٥	٣٠	٣٥	٤٠	٤٥	٥٥
الزيادة السنوية ٣	٣٠	٣٥	٤٠	٤٥	٥٠	٦٠
الزيادة السنوية ٤	٣٥	٤٠	٤٥	٥٠	٥٥	٦٥
الزيادة السنوية ٥	٤٠	٤٥	٥٠	٥٥	٦٠	٧٠
الزيادة السنوية ٦	٣٥	٤٠	٤٥	٥٠	٥٥	٧٥
الزيادة السنوية ٧	٣٠	٣٥	٤٠	٤٥	٥٠	٨٠
الزيادة السنوية ٨	٢٥	٣٠	٣٥	٤٠	٤٥	٨٥
الزيادة السنوية ٩	٢٠	٢٥	٣٠	٣٥	٤٠	٩٠
الزيادة السنوية ١٠	٢٠	٢٥	٣٠	٣٥	٤٠	٩٥
آخر راتب يصل إليه	١٦٢٠	١٩٧٠	٢٣٢٠	٢٧٢٠	٣٢٢٠	٤٩٠٠
آخر راتب بالنظام الحالي		٦٩٥	١٢٠٥	١٩٥٥	١٩٥٥	١٩٥٥

وصفات الخطة الاقتصادية والاجتماعية وتطور التخطيط والفلسفة الاجتماعية له وأسسه التي يبنى عليها ومبررات اعتماد اسلوب التخطيط في ادارة قضايا البلد الاقتصادية والاجتماعية[١] .

---

(١) الدكتور محمد العمادي « التنمية الاقتصادية والتخطيط » مطبعة دار الحياة ١٩٦٧ ، كتاب جامعي .

(يستعمل الانسان في تحقيق اهدافه طرقاً مختلفة منها ما يختاره بصورة عشوائية أو عاطفية ومنها ما يختاره نتيجة الدراسة والتمحيص والمفاضلة والتعقل والتبصر بحيث تأتي طريقة تحقيق صحيحة ومنسجمة مع الامكانات المتوفرة له ومتلائمة ليس فقط مع الهدف ذاته بل ومع باقي سلم افضليات الشخص ، ويطلق عادة على هذا الأسلوب الأخير الأسلوب التخطيطي بمعنى أن المرء حدد حاجاته وأهدافه وبين أفضل طرق تحقيقها بما ينسجم مع موارده وامكاناته ثم الف بين هذه الامكانات والأهداف . ويستعمل هذا الأسلوب تقريباً في جميع الحقول والمجالات ، ولذلك نرى أن كلمة التخطيط اليوم قد شاع استعمالها في معان كثيرة فمنهم من يستعملها للدلالة على أعمال تنظيم المدن ويقول تخطيط المدن ومنهم من يستعملها للدلالة على تنظيم الثقافة أو الصحة أو الادارة أو السياسة أو الحرب ، فيقول التخطيط الثقافي أو الصحي أو الاداري أو السياسي أو الحربي ، وتستند هذه الاستعمالات لكلمة أو اصطلاح التخطيط إلى مفهومه العام الأساسي الذي هو « جهد واع يرمي إلى توجيه الفاعليات البشرية نحو تحقيق أهداف محددة بصورة عقلانية » أي أن التخطيط أداة أو وسيلة أو طريقة عمل علمية عملية حيادية يمكن استعمالها في جميع النشاطات الانسانية ولتحقيق مختلف الأهداف ومن هذا التعريف يمكن أن تستنتج بعض الصفات الأساسية للتخطيط :

فالتخطيط أولاً وسيلة وأداة أي أنه ليس هدفاً بحد ذاته بل أداة للوصول إلى الهدف وأسلوب عمل لتحقيقه بأقل تكلفة وأقصر وقت . والتخطيط أداة وأسلوب علمي تستند إلى أسس ومبادىء علمية مقررة والتخطيط جهد عقلاني يتطلب معرفة وخبرة ودراية ، والتخطيط وسيلة حيادية يمكن استعمالها لتحقيق مختلف الأهداف في مختلف المجتمعات ، والتخطيط بهذا المعنى يختلف عن التنظيم باعتبار أن

التنظيم هو ترتيب جديد لأشياء موجودة فعلاً أما التخطيط فهو عملية خلق وابتكار تربط الحاضر بالمستقبل .

هذا هو المعنى العام الواسع الأصلي للتخطيط إلا أن هناك معنى آخر اكتسبه التخطيط في القرن العشرين إذ اصبح بموجبه الأداة أو الوسيلة التي يتم بموجبها نقل المجتمع من وضع إلى وضع آخر أي أنه الطريقة التي تنظم عملية نقل المجتمع من حال إلى حال فالتخطيط بهذا المعنى شامل لجميع نشاطات المجتمع الاقتصادية منها والاجتماعية السياسية منها والادارية المدنية منها والعسكرية . فهو إذن الأداة الارادية للتغيير الاقتصادي والاجتماعي الشامل ولهذا يسمى أيضاً بالتخطيط الاقتصادي والاجتماعي الشامل والواقع أن هذا المعنى الجديد للتخطيط لا يختلف عن معناه القديم وإنما أضحى متصفاً بصفات الأهداف التي يسعى لتحقيقها أي احداث التغيير الاقتصادي والاجتماعي الشامل في المجتمع الذي يطبق فيه . . .

بينا أن التخطيط في القرن العشرين قد اكتسب مفهوماً جديداً فأصبح الأداة الارادية للتغير الاقتصادي والاجتماعي الشامل ، وإنه بهذا المعنى أضحى يشمل كافة نشاطات المجتمع من اقتصادية واجتماعية ووفقاً لذلك شاعت استعمالات وتسميات مختلفة للتخطيط ، تعبر في جوهرها عن جزئيات التخطيط الاقتصادي والاجتماعي الشامل ووصف التخطيط في نطاق قطاع معين من هذه التسميات : التخطيط الزراعي والتخطيط الصناعي ، والتخطيط المالي ، والتخطيط النقدي ، والتخطيط الاجتماعي والتخطيط الثقافي والتربوي والصحي والعلمي .

والتخطيط بهذا المعنى يختلف عن البرمجة التي هي عبارة عن عملية تجميع لمشروعات مختلفة في ميزانية واحدة يوزع تنفيذها على عدد

من السنوات فالبرمجة عملية قاصرة على قطاع واحد أو على قطاعات معينة بعكس التخطيط الشامل الذي يشمل مختلف القطاعات ، والبرمجة عملية مؤقتة تنتهي بانتهاء وتنفيذ المشروعات التي يتضمنها البرنامج بينما التخطيط عملية دائمة مستمرة . والبرمجة تعني بالمشروعات بينما يعني التخطيط ، بالاضافة إلى ذلك ، بالأهداف الاقتصادية والاجتماعية العامة ، وبأهداف الانتاج والتوزيع بصورة خاصة . والبرمجة لا تتطلب بالضرورة دراسات اجمالية شاملة عن الاقتصاد القومي بينما التخطيط لا يمكن أن يقوم إلا بها ، والبرمجة لا تتطلب بالضرورة متابعة آثار المشروع على الاقتصاد القومي بينما يعتبر ذلك جزءا لا يتجزأ من عملية التخطيط ، والبرمجة لا تتطلب بالضرورة جهازاً مركزياً لتصحيحها وإدارتها ومتابعتها بينما يشكل ذلك ضرورة قائمة في التخطيط .

التخطيط كما بينا أسلوب وطريقة والعملية التخطيطية هي العملية التي تتعلق بتصور الأهداف وتبيان أحسن وسائل تحقيقها ، وكذلك بالتأليف بين الوسائل والأهداف . أما الخطة فهي مجموعة القرارات التي أمكن الوصول إليها بخصوص أهداف المجتمع ووسائل تحقيق هذه الأهداف مع ما تتضمنه من مشروعات وتدابير بشرية ومادية وتنظيمية وتتصف الخطة بالميزات الأساسية التالية :

أولاً ـ الخطة قرار سياسي :

يقوم المخططون على ضوء التوجيهات والاهداف العامة التي تعطى إليهم من قبل السلطات السياسية بوضع الاطارات البديلة المختلفة للتنمية المخططة ، ويعرضونها على السلطات السياسية التي لها وحدها حق اتخاذ القرار وانتقاء احدى هذه الطرق . وباتخاذ السلطات السياسية المسؤولة قرارها هذا تكون قد أعطت الصفة القانونية للخطة وبالتالي الصفة الالزامية .

والسلطة السياسية في اتخاذ قرارها إنما تبنيه على الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية والادارية والفنية والسياسية ومقتضيات الأمن الداخلي والخارجي ، إلى ما هنالك من اعتبارات اخرى تهم المجتمع وقد لا يدخلها المخطط في اعتباره .

ثانياً ـ الخطة مرنة وهي عمل يتطلب التصحيح والتجديد المستمر :

ليست الخطة عملاً ثابتاً لا يمكن تغييره أو كتاباً مقدساً لا يمسه الباطل وإنما هي مخلوق حي ينمو ويتطور ثم يؤتي ثماره ويتلاشى . فالخطة توضع موضع التنفيذ في مجتمع وعليها أن تماشي متطلبات هذا المجتمع وإلا انفصلت عنه وابتعدت عن تلبية حاجاته وأهدافه .

والأسباب التي تقضي باجراء التبديل المستمر على الخطة هي :

١ ـ عدم تحقق الافتراضات التي يضعها المخطط فالمخطط يفترض افتراضات معينة وذلك كالمواسم الزراعية الجيدة في فترة الخطة وقد لا تتحقق هذه الافتراضات ، الأمر الذي يوجب ادخال بعض التعديلات على الخطة .

٢ ـ وقوع حالات لم يكن ليتوقعها المخطط كالحروب والفيضانات والزلازل والكوارث الطبيعية الأخرى .

٣ ـ عدم تجاوب الشعب مع الخطة إما نظراً لأنها لا تلبي كل مطالبه، أو لأنها تفرض عبئاً كبيراً عليه مما يستوجب إعادة النظر بالخطة لجعلها أكثر انسجاماً مع أهداف الشعب وإمكاناته .

٤ ـ عدم امكانية تنفيذ المشروعات التي تتضمنها الخطة إما لنقص في الفنيين أو الاداريين أو العمال .

٥ ـ قصور التمويل الداخلي والخارجي .

٦ ـ وذلك بالاضافة إلى الاختناقات الأخرى التي قد تعترض مجرى تنفيذ الخطة كاستحالة استيراد مادة ما أو زيادة استهلاك مادة اخرى الأمر الذي يستوجب اعادة النظر بالخطة .

ولهذا وحتى تتمكن الخطة من أن تتلاءم مع الظروف والحوادث اللامتناهية في مجتمع متطور فعليها إذن أن تكون مرنة قابلة للتعديل المستمر .

ثالثاً ـ الخطة اطار شامل للتطور المطلوب احداثه في الفاعليات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة

وهذا ما يميزها عن البرنامج الذي هو عبارة عن مجموعة مشروعات ترصد الاعتمادات الضرورية لتنفيذها وتوزع لتنفذ على عدد من السنوات ، فالخطة تبين أهداف الانتاج في مختلف الفروع وأهداف الاستهلاك لمختلف المنتجات ، وكذلك تبين حركة الأموال والنقود والاعتمادات والسلع بين القطاعات ، إلى ما هنالك من نشاطات اخرى للمجتمع .

رابعاً ـ الخطة ليست عبارة عن اهداف أو تنبؤات عن المستقبل فقط :

بل وتشمل ايضاً وسائل تحقيق هذه الأهداف أو طرق التأليف بين الوسائل والأهداف .

خامساً ـ الخطة قرار الزامي التنفيذ

ليس للحكومة أو الوحدات الانتاجية أمر الخيار في تنفيذه أو عدمه بل إن تنفيذه واجب قانوني تحميه العقوبات الاقتصادية المقررة .

وهكذا يتبين لنا أن التخطيط ليس بدعة من البدع الشائعة في هذا العصر ، وإنما هو اسلوب للتعقل والتبصر الارادي الذي اكسبه الزمن حلة

من المبادىء والأسس التي تنظم استعماله وتتيح استخدامه في مختلف الحقول .

بعد أن عرفنا التخطيط أنه عملية نقل المجتمع من حال إلى آخر ، وتستوجب عملية النقل هذه فيما تستوجبه صورة واضحة للحال التي سينقل إليها المجتمع تظهر ويعبر عنها بأهداف معينة تتعلق بمختلف فاعليات هذا المجتمع ومما لا شك فيه ان هذه الأهداف يجب ان تكون متناسقة متجانسة ضمن الاطار المرسوم للمجتمع الجديد ، أو الحال التي سيصير إليها المجتمع القديم وإلا أدى تضاربها إلى ضياع الجهود وعرقلة الوصول إلى غايات المجتمع وتختلف الأهداف باختلاف الفئات المسيطرة على الحكم فقد تجعلها الفئة الحاكمة وسيلة لبسط سلطانها وخدمة مصالحها ، فتبعد بذلك الخطة والتخطيط عن معالجة القضايا الأساسية للمجتمع الذي يطبقان فيه ، وبذلك يفقد التخطيط أهم صفة من صفاته وهي الصفة الاجتماعية التي تشترط في التخطيط أن يعالج مشاكل المجتمع ويصدر عن ارادته ويلبي رغباته .

وحتى يكون التخطيط اجتماعياً فلا بد له من أن يقوم على الأسس التالية :

١ ـ يجب أن يهدف التخطيط إلى تأمين مصلحة المجموع :

ولا يقصد هنا بكلمة المجموع ، المجموع العددي للمواطنين وإنما مجموع فئات المجتمع دون اغفال أية فئة منها ، وعلى ذلك فلا يتطلب من التخطيط أن يهدف إلى منفعة كل مواطن بمفرده وإنما يجب أن يهدف إلى منفعة جميع فئات المواطنين من عمال وأرباب عمل وفلاحين وصناعيين وطلاب وموظفين وتجار ، إلى ما هنالك من فئات أخرى في المجتمع . فلو استهدف التخطيط مصلحة فئة معينة لكان تسلطاً لفئة على بقية الفئات

ولكان التخطيط وسيلة فردية لفرض تسلط هذه الفئة لا وسيلة اجتماعية لحل مشاكل المجتمع ، وتحقيق أهدافه وليس من الضروري أن يسعى التخطيط إلى منفعة جميع كل أفراد الفئة وإنما إلى تأمين مصالح غالبية أفرادها لأنه لا يمكن للتخطيط أن يجعل نقطة انطلاقه مصلحة كل فرد من أفراد المجتمع إلا بمقدار ما تتفق هذه المصلحة مع مصلحة المجتمع بأسره . فالمعيار هو المصلحة العامة ، مصلحة المجتمع بأسره ، لا مصلحة فئة منه وبقدر ما تنسجم المصلحة الخاصة مع المصلحة العامة ، بقدر ما تعتبر هدفاً للتخطيط الاجتماعي . وعلى هذا يمكن القول أن من أهم عناصر التخطيط الاجتماعي أنه يسعى إلى تأمين مصلحة المجموع يهدف إلى تعديل النظم الفاسدة وتحقيق المساواة الفعلية لا النظرية وإقامة التعاون بين الطبقات لتحقيق الخير والرفاه للجميع .

٢ ـ يهدف التخطيط إلى تلبية الحاجات الاجتماعية :

لكي يستطيع التخطيط تلبية الحاجات الاجتماعية فلا بد له أولاً من التعرف على هذه الحاجات ومسألة التعرف على الحاجات الاجتماعية مسألة صعبة تلعب فيها قوانين التطور والاحتمالات والطرق الاحصائية دوراً هاماً إلا أن عدم الحد في استخدام الاحصاءات أو تفهم مدلولها من شأنه أن يبعد الوصول إلى التعرف إلى الحاجات الاجتماعية الحقيقية كما أن عدم توفر الاحصاءات التفصيلية في مختلف القطاعات من شأنه أيضاً أن يعيق الوصول إلى هذه الغاية وبالتالي يبعد التخطيط عن أسسه الاجتماعية .

٣ ـ يجب أن يقوم التخطيط على أساس الاستثمار الأمثل للموارد :

ونعني بالموارد هنا لا الموارد العادية فقط ، التي تتمثل في الأموال الاقتصادية ، بل الموارد البشرية أيضاً ، التي تتمثل في الطاقات الانسانية

المعدة للعمل والموارد الفنية المتمثلة في الخبرات والمهارات والموارد الثقافية والقيم الدينية والاخلاقية والنصوص التشريعية والمؤسسات الاجتماعية المختلفة ، كمؤسسة الملكية الفردية وأنظمة الحكم وأشكال تنظيمات الأعمال والاستثمار الأمثل لهذه الموارد يعني تحديد الوظيفة الاجتماعية لكل مورد وتقييمه على اساس مردوده الاجتماعي لا الفردي ، أي على اساس نظرة المجتمع لا نظرة الفرد .

٤ ـ يجب أن يعبر التخطيط عن درجة الطموح في المجتمع :

إن الأهداف التي يسعى التخطيط إلى تحقيقها تتطلب بلا شك موارد مادية وبشرية مختلفة وتتناسب سرعة تحقيق الأهداف مع السرعة التي يمكن معها تعبئة هذه الموارد لتحقيق هذه الأهداف إلا أن استعمال هذه الموارد قد يتطلب بعض التضحيات والسرعة في تعبئتها ، تزيد من هذه التضحيات . فإذا كان الشعب طموحاًلبلوغ الأهداف التي يهدف إليها التخطيط فإن ذلك يعني أنه مستعد للتضحية وإنه يريد الوصول إلى أهدافه بسرعة أكبر .

٥ ـ يجب أن يعلن المجتمع ارادته في التخطيط :

ولا يكفي التخطيط الاجتماعي أن ينسجم مع أهداف المجتمع ويلبي طلباته ويتلاءم مع طموحه ويركز على استثمار موارده الاستثمار الأمثل ، بل لا بد وأن يتجلى فيه التعبير الواضح عن ارادة الجماعة وقبولهم به بشكل من الأشكال فالتخطيط المفروض على المجتمع ، لا ينسجم مع القوى الاجتماعية الاساسية كالحرية والديمقراطية ، لذلك لا يمكن اعتباره تخطيطاً اجتماعياً .

إن تحقيق تنمية اقتصادية غير مخططة لا يحقق النمو المتوازن ولا

معدلات التنمية المطلوبة ولا العدالة الاجتماعية كما أنها قد تؤدي إلى ضياع وسوء اختيار المشروعات .

أ ـ بالتنمية الاقتصادية غير المخططة تؤدي إلى الضياع : لأن عدم امكانية تحقيق الشروط التي وضعها الاقتصاديون لتمكين جهاز السوق من القيام بدوره في تحقيق المعدلات القصوى للتنمية ، قد أدى إلى ضياع كثير من الجهود في التنمية التي استطاعت أن تحققها الدول التي لم تتبن أسلوب التخطيط . فلقد نتج عن عدم تبني اسلوب التخطيط في الدول الغربية ، ضياع كثير من رؤوس الأموال نتيجة فشل بعض المشاريع التي لم تتوفر لها مقوماتها ، أو التي قتلتها المزاحمة نتيجة تهافت رؤوس الأموال على بعض الصناعات الكمالية ، نظراً لارتفاع هامش الربح فيها دون الصناعات الضرورية التي يحتاجها الشعب ، أو الضرورية في عملية التنمية . وبالاضافة إلى ضياع الجهود الاقتصادية فقد رافق عملية التنمية غير المخططة ضياع في عامل الزمن الذي لا تستطيع البلاد المتدرجة في مراحل النمو اليوم التفريط به أو الاقلال من أهميته .

ب ـ التنمية غير المخططة لا تضمن حسن اختيار المشروعات : ففي التنمية غير المخططة يلعب عامل الربح الفردي الدور الأول بينما نجد في التنمية المخططة أن الأهمية الأولى تعطى للربح الاجتماعي ولذلك نرى أن بعض المشروعات التي تهمل عادة في التنمية غير المخططة ، تعطى اعتبارات خاصة في التنمية المخططة وذلك كالمشروعات المؤدية إلى إقامة الهيكل الأساسي للاقتصاد القومي مثل مشروعات الطرق والمواصلات والتعليم والتدريب وأعمال الاستصلاح ، كما أن التنمية غير المخططة تهمل المشروعات التي لا يقوى الأفراد عليها رغم توفر عامل الربح فيها نظراً لضخامة الأموال التي تتطلبها أو جسامة الأخطار التي يمكن أن تتعرض لها .

جـ ـ التنمية غير المخططة لا تستطيع تعبئة الجهود والامكانات : ففي الاقتصاد غير المخطط لا يتوفر عادة للقائمين بالمشروعات حصر كامل للامكانات المتوفرة أو الممكن توفيرها كما أنه لا يمكن في مثل هذا الاقتصاد تعبئة هذه الامكانات بصورة كاملة وتوجهها الوجهة التي تحقق أهداف المجتمع ، أما في المجتمع المخطط فالمسح الاقتصادي الذي هو حصر الامكانات أساس لأي عمل تخطيطي شامل وتعبئة هذه الامكانات لتحقيق اهداف المجتمع هو جوهر عملية التخطيط التي لا يمكن أن تستقيم بدونها

د ـ التنمية غير المخططة لا تحقق النمو المتوازن : إن النمو المتوازن لمختلف أوجه النشاط الاقتصادي هدفاً بحد ذاته وإنما هو وسيلة لمنع الاختناقات في عملية التنمية والنمو المتوازن، إنما يعني ضمان التوافق وليس التساوي بين معدلات النمو في جميع أوجه النشاط فلا يختلف مثلاً نشاط عن نشاط آخر فيعيق هذا التخلف نمو بقية النشاطات فلا يمكن مثلاً مكننة الزراعة ما لم نتمكن من القضاء على البطالة المقنعة فيها عن طريق ضمان استخدام فائض العمال الزراعيين في القطاعات الأخرى كالصناعة مثلاً كما أنه من الضروري ضمان توفر انتاج السلع الزراعية حتى بعد نزوح عمال الزراعة إلى الصناعة لتأمين متطلباتهم من هذه السلع ويمكن إجمال نقاط التوازن المطلوب في نقطتين أساسيتين : التوازن بين عرض السلع والخدمات النهائية وطلبها . والتوازن بين عرض السلع والخدمات الوسيطة وطلبها .

هـ ـ التنمية غير المخططة لا تحقق معدلات التنمية المطلوبة : إن الأسباب التي ذكرناها تبرهن عن عدم استطاعة التنمية غير المخططة تحقيق معدلات التنمية الممكن تحقيقها فيما لو قضي على ضياع الجهد والوقت وأمكن اختيار المشروعات ذات الانتاجية الأكبر والدخل الأعظم وتأمين

التوازن بين مختلف اوجه النشاط في المجتمع .

و ـ التنمية غير المخططة لا تؤدي إلى العدالة : إن الفرق الأساسي بين التنمية غير المخططة والتنمية المخططة إن الأولى تنظر إلى الانسان كعامل من عوامل الانتاج الذي يمكن التضحية به إذا ما استطاعت فنون الانتاج تأمين وسائل أرخص للانتاج . أما التنمية المخططة فهي تنظر إليه كعامل من عوامل الانتاج بقدر ما تنظر إليه كهدف نهائي تسعى التنمية إلى زيادة رفاهيته الاقتصادية والاجتماعية ، إذ أن التنمية المخططة تعكس أهداف المجتمع بمختلف فئاته ، بينما تعكس التنمية غير المخططة أهداف الطبقات التي تتجمع بيدها وسائل الانتاج .

هكذا نرى أن التنمية المخططة توجه اهتماماً خاصاً لمشكلتي العمالة وتحسين توزيع الدخل كأساسين من أسس العدالة الاجتماعية .

حادي عشر : الرقابة المالية الاقتصادية :

قد يجد المختص في موضوع الرقابة على المشروع غرابة في وجود علاقة بين الاحصاء والتخطيط من جهة ، وبين تخصصه أو عمله في الرقابة ، وخاصة الرقابة المالية المحاسبية على المشروع ، وقد يجد المختص أيضاً في الاحصاء أو في التخطيط في مجال الرقابة على المشروع ميداناً جديداً لاهتماماته . فهل الواقع والمنطق العلمي يعطي أي دور للاحصاء أو التخطيط في عملية الرقابة على المشروع سواء منها الرقابة الداخلية أم الرقابة الخارجية .

ولا يخفى علينا ما لموضوع الرقابة على المشروع سواء منها الداخلية أي المراقبة التي تتم داخل المشروع وبدافع من المسؤولين عنه تأميناً لحسن سير المشروع وضماناً لنجاحه وتحقيق أهدافه جودة بالانتاج

وكميته وتسهيل المبيعات ، وتحقيق الأرباح والأهداف الاجتماعية المرجوة من المشروع ، وسواء منها الخارجية أي التي يقوم بها مسؤولو الرقابة المفوضون من السلطة الشعبية والتشريعية كما اتفق على ذلك المهتمون بشؤون الرقابة الخارجية ، وذلك تأميناً أيضاً لحسن سير العمل في المشروع وضماناً لتحقيق أهدافه في البيع الداخلي والتصدير وتحقيق الأرباح والأهداف الاجتماعية مع تأمين الاستقرار في الأسعار لجميع فئات المستهلكين .

ومما يجدر بنا اضافته في هذا المجال هو كون عملية المراقبة الداخلية والخارجية عملية مساعدة ومشجعة للمشاريع ليس من أهدافها الأساسية تسقط بعض أخطاء العاملين في المشروع وليس من أهدافها كذلك أن تكون عامل نجميد للمشاريع الانتاجية الحيوية بلجمها بمختلف أنواع القيود والجزاءات والتخويف بحيث يقعد المشروع عن كل خطوة تجديدية أو تطويرية أو تحسينية بالمشروع سواء في تنظيمه الداخلي أم في مستوى التقنية المستخدمة أم في مستوى التدريب المتوفر أو في تشجيع المبادرات الفردية للعاملين على جميع مستوياتهم واهتماماتهم ، بل على العكس تكون عاملاً مساعداً بحيث تساعد المشروع على إزاحة أي عقبة أو حل أي مشكلة تعترض طريق الانتاج واداء مهمته على الوجه الأكمل أي أن المراقبة ليست عملية سلبية معوقة للعمل ولكنها عملية ايجابية تفيد في تطوير العمل وتحسينه وضمان أدائه على أحسن وجه ممكن .

وحتى نتعرف على دور الاحصاء والتخطيط في عملية الرقابة على المشروع نستعيد تعريف علم الاحصاء[1] على أنه النظرية والطرق العلمية

---

(١) مبادى علم الاحصاء ، د. محمد فريز منفيخي ١٩٧٨/٧٧ ، الامالي الجامعية كلية التجارة دمشق .

لجمع وتصنيف وتبويب وتلخيص البيانات العددية أو الرقمية وتحليل انتائج ثم اتخاذ القرارات المبررة على ضوء هذا التحليل وبما أن المشاريع الانتاجية للوحدات الاقتصادية الأساسية المنتجة للبيانات الاحصائية التي تعبر عن النشاطات الاقتصادية التي تؤديها الوحدات الانتاجية . لذلك نجد أن أهم ميدان لتطبيق علم الاحصاء هي البيانات التي تصور مختلف النشاطات الانتاجية في الوحدات الاقتصادية الانتاجية ، كما يمكننا استعادة تعريف التخطيط [1] على أنه الأداة أو الوسيلة التي يتم بموجبها نقل المجتمع من وضع إلى آخر أي التي تنظم طريقة أو عملية نقل المجتمع من حال إلى آخر مع مرونة هذه الخطة وكونها اطاراً شاملاً للتطور المطلوب احداثه في الفاعليات الاقتصادية أو الاجتماعية المختلفة للبلد . أي نقل المجتمع من حال التخلف إلى حال التنظيم والتحديث والتقدم مع بيان وسائل تحقيق هذا التنظيم والتطور وأن تكون الخطة بصورة الزامية تحميها القوانين الاقتصادية النافذة .

ويمكننا الآن التعرف على دور كل من الاحصاء والتخطيط في المشروع وبخاصة في تحقيق عملية الرقابة الداخلية والخارجية . كما مر من تعريف علم الاحصاء يتبين أن الاحصاء يمكن أن يقدم تصويراً كاملاً لمختلف أوجه النشاط الانتاجي والاداري في المشروع الانتاجي . أي الدور الاحصائي حتى الآن هو تقديم الصورة البيانية الكاملة عن المشروع ، بالاضافة إلى جميع البيانات المالية التي يهتم بها المسؤولون عن الجانب المالي المحاسبي في المشروع نجد أن هناك كثيراً من الأنشطة الانتاجية تقع خارج الدائرة المالية المحاسبية للمشروع .

فمثلاً يهتم المراقب المالي المحاسبي برقم الانتاج المحقق فقط ،

---

(١) التنمية الاقتصادية والتخطيط ، د. محمد العمادي ١٩٦٧ ، مطبعة دار الحياة دمشق .

بينما نجد الاحصاء يهتم بالاضافة إلى ذلك ، بدراسة الطاقة الانتاجية للمنشأة ونسبة استغلال هذه الطاقة في الانتاج الجاري .

ويعتبر المراقب المالي استهلاك المنشأة من الطاقة كعامل من عوامل التكلفة بينما يهتم الاحصاء بتنفيذ خطة معينة للانتفاع من الطاقة في المنشأة ، كذلك يهتم المراقب المالي المحاسبي بأجور العمال وتكلفة العمل كعنصر من عناصر التكلفة في الانتاج . بينما نجد أن الاحصاء يهتم بالاضافة إلى ذلك بانتاجية هذا العمل من أجل رفع انتاجية العمل هذه إلى أقصى حد ممكن باعتبار ايام العطل الرسمية والغياب عن العمل وبحساب العمال اليوميين المشتغلين فعلاً أو حتى رقم العمالة الساعية الذي تم تحقيقه خلال فترة الدراسة .

ومن أجل تنفيذ ذلك ، يطلب إلى المنشآت الصناعية أن تعتمد ثماني استمارات احصائية يجري ارسالها شهرياً حتى يتم متابعة العمل الانتاجي في الوحدات الانتاجية عن طريق هذه البيانات الاحصائية ، وهذه الاستمارات هي[1] نموذج رقم

(١) خاص بالمخزون والانتاج والمبيعات :

(٢) خاص بالصادرات

(٣) خاص باستهلاك المواد الأولية والمساعدة ومواد التعبئة .

(٤) خاص بالوقود والزيوت والشحوم

(٥) خاص بالكهرباء المنتجة والمشتراة

(٦) بيان بالملتحقين بالعمل والتاركين له

(٧) بيان الأجور ومتمماتها

---

(١) تعميم اتحاد الصناعات الهندسية والكيميائية رقم ١١٨٦ ، تاريخ ١٩٦٨/٦/٤ .

(٨) بيان عن العمال وساعات العمل .

أما في حال مجال التخطيط العلمي على مستوى المشروع وبعد أن قررت الدولة عام ١٩٦٨ توجيه المؤسسات إلى العمل الانتاجي عن طريق خطة انتاجية سنوية يجري الاعداد لها وتنفيذها بالتعاون بين المشاريع الانتاجية واداراتها وهيئة تخطيط الدولة والتي قررت أنه بهدف الوصول إلى أعلى مردود بأقل التكاليف يجب الاعتماد على تخطيط الانتاج الصناعي تخطيطاً علمياً صحيحاً تشترك بإعداده كافة الدوائر الانتاجية والمالية والفنية والتجارية . بالتعاون فيما بينها ، وبالاشتراك مع دائرة التخطيط والاحصاء وتتعاون جميعاً على تنفيذها بدقة ومرونة وتتضمن خطة الانتاج النقاط التالية[١] :

١ ـ تقدير الطلب على الانتاج .
٢ ـ تحديد كمية الانتاج
٣ ـ معايير المواد الداخلة في الانتاج
٤ ـ تحديد كمية المواد الأولية والمساعدة الرئيسية اللازمة .
٥ ـ خطة الانتفاع من الطاقة .
٦ ـ خطة التكاليف والربح .

حيث تعتبر الخطة الانتاجية السنوية أن تقدير حجم الطلب المتوقع هو الأساس في وضع خطة الانتاج الصناعي ويعتبر دراسة أسواق التصريف الداخلية والخارجية والطاقة الانتاجية الخاصة بالوحدة الانتاجية ، المنطلق في هذا التقدير ، لأن أهم العوامل المؤثرة في الطلب بشكل عام هـي :

أ ـ زيادة عدد السكان

---

(١) تعميم اتحاد الصناعات الهندسية والكيميائية ، رقم ، تاريخ ١٩٦٨/٩/٧ .

ب ـ زيادة الدخل الفردي

جـ ـ التطور الحضاري الاجتماعي

د ـ تغير الأسعار

هـ ـ تغير الأوراق وتبدلها

و ـ الاتفاقات التجارية واتفاقيات الدفع المعقودة مع الدول الأخرى .

فإذا أخذت كافة الظروف التي تتحكم في أسواق التصريف وتطور المبيعات في السنوات السابقة واتجاه خط المبيعات صعوداً أو هبوطاً فإننا نستطيع تقدير كمية المبيعات التي يمكن تصريفها في سنة الخطة ، باعتبار الطلب المتوقع على السلع المنتجة . ويمكن اعتماد رقم مبيعات منشأة على أساس أقصى ما يمكن انتاجه . وذلك في حال كون الطلب الداخلي والخارجي من انتاجها كبيراً يفوق أو يوازي طاقتها الانتاجية الكاملة .

وأما على أساس أقصى ما يمكن تصريفه فيما إذا كان الطلب الداخلي والخارجي باستخدام جميع وسائل تنشيط الطلب من دعاية وإعلان وسعر منخفض وانتاج جيد ، أقل من طاقتها الانتاجية . ولهذه الغاية أصبحت الاستمارة احصائية احتوت على المعلومات التالية :

١ ـ اسم المادة المنتجة .

٢ ـ رقم تصنيفها الاحصائي الدولي .

٣ ـ وحدة القياس الاحصائي

٤ ـ كمية وقيمة المبيعات في عدة سنوات سابقة .

٥ ـ متوسط كمية وقيمة المبيعات للفترة السابقة .

٦ ـ وسطي السعر الذي بيع على أساسه في السنوات السابقة .

٧ ـ سعر البيع السنوي اعتماده في سنة الخطة .

٨ ـ تقدير الطلب المتوقع على المادة المنتجة في سنة الخطة بعد الأخذ بعين الاعتبار عوامل تنشيط الطلب والطاقة الانتاجية والأسواق الداخلية والخارجية .

بعد ذلك يمكن تحديد آلية الانتاج المخططة نهائياً على ضوء مستوى التخزين في أول المدة وآخر المدة . وبعد تحديد رقم الانتاج يمكن التحديد الدقيق لكميات المواد الأولية المستخدمة في الانتاج وفق العلاقات الفنية الانتاجية القائمة التي سميناها معيار استهلاك المواد الأولية والمساعدة . ومن ثم تحديد الحاجة الحقيقية الدقيقة من المواد الأولية مع أخذ التغير في مخزون المادة الأولية وطبيعة اسواق هذه المادة بعين الاعتبار . وكذلك خطة الانتفاع من الطاقة الانتاجية للأقسام الانتاجية حتى يتم تحقيق الاستغلال الكامل من الطاقة الانتاجية المتوفرة . وأخيراً خطط التكاليف والأرباح .

إذن بعد أن تم وضع خطة انتاجية دقيقة على ضوء معطيات السوق والاسعار والطاقة الانتاجية وتم اعتماد هذه الخطة وبدء العمل بتنفيذها تأتي بعدها الاحصاءات الشهرية وفق النماذج التي تم بيانها سابقاً . هنا يبدأ علم الاحصاء والتخطيط في الرقابة على المشروع الانتاجي ، وذلك بأن يقوم الاحصائي والمخطط بمقارنة رقم الخطة مع رقم التنفيذ المقابل لكل شهر من شهور السنة . وبهذه المقارنة التفصيلية يمكن اتمام عملية مراقبة ومراجعة مستمرة وآنية لما تم تحقيقه فعلاً مع ما كان مقرراً في الخطة الانتاجية السنوية ، هذه المقارنة توضح للمسؤولين أوجه النشاط أو القصور في تنفيذ العملية الانتاجية ولكل المستويات التي تم شرحها إذ لا

يكتفي الاحصاء والتخطيط كما مر بدراسة الجوانب المالية والمحاسبية للمشروع ، ولكنه يدرس أيضاً الجوانب الأخرى التي تم جمع معلومات احصائية عنها والتي عادة يهملها المراجع والمراقب أو يمر عليها مراً سريعاً . وينتج عن هذه المراقبة أو ما يسميه الاحصائيون والمخططون بعملية متابعة تنفيذ الخطة الانتاجية ، أما تدعيم أوجه النشاط والحماس في المشروع أو المعالجة الآنية لأوجه القصور أو العثرات حتى لا تطول فترة القصور أو الجمود في المشروع ويتم التغلب على العثرات بأسرع وقت ممكن ليعاود المشروع النشاط الانتاجي السريع لتعويض ما فاته ومحاولة تحقيق خطته الانتاجية الأصلية .

قد يحاول أنصار الاكتفاء بالمراقبة عن طريق المحاسبة المالية للمشروع القول بأن هذه المراقبة تغني عن أي جهد آخر إذ أن الوضع المالي النهائي للمشروع هو مرآة أو حصيلة لكل الأنشطة الانتاجية التي تمت خلال الفترة السابقة وأن مبلغ الربح المحقق لهو أنصع برهان أو دليل على نجاح أو فشل العمل الانتاجي في المشروع وعلى ذلك نجيب :

١ ـ إن المراقبة عن طريق الاحصاء والتخطيط لا تتعارض مع المراقبة المالية المحاسبية بل يحسن أن يسيرا جنباً مع جنب إلا أنني أجد أن المراقبة المالية المحاسبية وحدها قاصرة تماماً عن القيام بدور المراقبة الفعالة الناجحة .

٢ ـ صحيح أن الربح الاجمالي هو مرآة أو محصلة للنشاط الانتاجي للمشروع ولكنه يجب ألا يؤخذ على اطلاقه ، لأن الربح تعريفاً هو الفرق بين قيمة المبيعات ناقصاً التكاليف المادية للانتاج . وقيمة المبيعات تساوي الكمية المباعة مضروباً بسعر البيع أي بالتالي إن الربح تابع مباشر لسعر البيع ، فأي مناقشة للأرباح يجب أن ترفق بتحليل وافٍ للسعر الذي

يباع به الانتاج . إذ قد يغطي وجود الربح قصوراً انتاجياً هائلاً يجري تغطيته برفع أسعار السلعة ، خاصة إذا كانت هذه الأسعار احتكارية وبغياب وجود سياسة مقننة فنية للتسعير .

٣ ـ إن المراقبة المالية المحاسبية تتم في نهاية الدورة المالية على أحسن الظروف إن لم تتأخر سنوات ، أي إن ما حصل قد حصل ولا سبيل إلى تلافي نواحي الخطأ أو القصور إن وجدت آنياً ، بل يوصى بألا تتكرر فعل هذه الأخطاء في المستقبل . وغالباً كما يقال التاريخ لا يعيد نفسه ، أي أن الأخطاء السابقة لن تتكرر ولكن تقع أخطاء من أنواع جديدة ، يجري التوجيه ألا تتكرر وهكذا ، بينما المراقبة الاحصائية التخطيطية آنية لكل شهر إذا كانت المراقبة من خارج المنشأة كالاتحاد مثلاً أو الوزارة أو هيئة التخطيط ويوميه في المشروع بحيث يجري اكتشاف الخطأ أو التقصير بعد فترة وجيزة من وقوعه بحيث يتم معالجته فوراً والتغلب على آثاره وتعويض أضراره .

٤ ـ المراقبة المالية والمحاسبية للمشروع تحاكم الفعالية الانتاجية والمالية والحسابات الختامية على ضوء بعض اعتبارات السيولة والريعية المالية للمشروع ، بينما نجد أن المتابعة الاحصائية التخطيطية تتابع أعمال المشروع على ضوء خطة انتاجية مقررة بعد دراسات فنية واقتصادية وتقنية .

٥ ـ قد نجد أن بعض المشاريع لا يحقق ريعية كبيرة ، ولا أرباحاً طائلة ، فيظهر على أنه غير ناجح من الناحية المالية ، ولكنه قد يكون قد قام بتنفيذ الخطة الانتاجية المقررة له بدقة ونجاح ويستغل طاقته الانتاجية كاملاً ، ويشارك في توظيف العمال الانتاجية ولكن أسعار مبيعه متواضعة بحيث لا تترك فائضاً كبيراً في سبيل وضع سلعة في متناول جميع

الدخول ، فمشروع كهذا لا يمكن اعتباره فاشلاً أو مقصراً بأي حال من الأحوال .

أي أن المراقبة المالية والمحاسبية قد تعتبره فاشلاً ، بينما هو في حالة نجاح كامل من الوجهة الاحصائية التخطيطية وهذا ما يعتبر أقرب إلى الواقع .

ولا بد أخيراً من ربط الخطط الانتاجية للمشاريع بالخطة الانتاجية العامة للقطر أي ربط هذه الخطط مع الخطة الانتاجية الخمسية للدولة التي تعتبر من مجموع خطط انتاج جميع المشاريع في كل القطاعات الاقتصادية المختلفة بحيث نكرر ما نفذناه على مستوى المشروع ، على مستوى مجموع الاقتصاد الوطني . ولا يفوتنا التوجيه بتطبيق الوسائل الاحصائية المتقدمة لتقدير الخطة الانتاجية للقطر والقطاع أو المشروع مثل النماذج الاحصائية القياسية التي تربط بين الاقتصاد والرياضيات والاحصاء لتقديم الحلول العلمية لاعداد تقارير أقرب ما تكون إلى الواقع بحيث تصبح عملية متابعة تنفيذ هذه الخطط عملية مجدية والتوجيه كذلك لربط المراقبة المالية والمحاسبية مع المراقبة الاحصائية التخطيطية حتى يتكامل العمل وتتجاوز ثغرات وعيوب الاعتماد على الطريقة الأولى فقط في إجراء المراقبة الخارجية على المشروع .

ثاني عشر : الانتاج المادي :

أولاً : طريق زيادة الدخل :

ويبقى السؤال الهام كيف ننتقل لوضع المجتمع من دائرة التخلف إلى دائرة التقدم أي كيف نحقق عملية التنمية الاقتصادية ؟

وللاجابة على هذا السؤال نقول إن الطريق الوحيد لذلك هو زيادة دخل كل مواطن مع تحقيق البناء الهيكلي المتكامل للوطن أي مجموعة الطرق والسدود والموانىء والتنظيم العام والخدمات العامة ، وطريق زيادة دخل كل مواطن هو زيادة انتاجه لأننا نعلم أن الدخل القومي للبلد يساوي الانتاج ناقصاً المستلزمات المادية الأولية له ، أي أنه بزيادة انتاج كل مواطن سيزداد دخله وبالتالي يتحسن الدخل القومي لمجموع المواطنين الذي هو الدخل القومي للبلد والذي سيذهب قسم منه لتحسين البناء الهيكلي للبلد ، وتحسين الخدمات العامة لكل المواطنين ، عن طريق موارد الدولة من المواطنين والقسم الباقي سيذهب إلى الاستهلاك النهائي والاستثمار ، وبذلك فقط يبدأ المجتمع في التقدم نحو وضع ندعوه دولة متقدمة ، أي أن الانتاج القومي لهذه البلد في تحسن مستمر ، وبالتالي إن الدخل القومي له في تحسن أيضاً وهكذا تصبح الدولة دولة متقدمة .

كما أجبنا على السؤال الأول : كيف نحقق التنمية الاقتصادية ، بأن ذلك يتم عن طريق زيادة الانتاج لكل مواطن وبالتالي دخله ، يثور سؤال ثان هام كذلك وهو كيف نحقق زيادة انتاج كل مواطن كطريق وحيد لتحقيق تنمية اقتصادية حقيقية ؟ والسؤال بشكل أكثر تحديداً كيف نجعل كل مواطن منتجاً ثم نعمل أيضاً على زيادة هذه الانتاجية باستمرار وبشتى لطرق ؟

ثانياً : عوامل تحقيق الانتاج :

للاجابة على هذا السؤال نقول : إن المعنى العملي لانتاج مواطن أو دخله هو أنه يوجد انسان يعمل عملاً اقتصادياً فيحقق انتاجاً أو يقدم خدمات يعود ذلك على نفسه وأهله وبلده دخلاً ، وكذلك حين ينفقه

فيعطي بذلك دخلاً لغيره من المواطنين هذا الانفاق إما أن يكون إنفاقاً استهلاكياً أو إنفاقاً استثمارياً كل ذلك سوف يزيد في الدخل القومي للبلد بشكل عام .

في هذا التخصيص نجد ثلاثة عوامل في تحقيق الانتاج وبالتالي زيادته :

١ ـ وجود انسان .
٢ ـ تحقق انتاج
٣ ـ توفر مردود لهذا الانتاج .

فإذا أردنا أن نحقق زيادة في انتاج ودخل كل مواطن وبالتالي زيادة الدخل القومي للبلد ككل ، أي أن نحقق تنمية اقتصادية حقيقية وسريعة ، فيحسن التفكير بالوسائل العملية التي نستطيع عن طريقها الافادة الكاملة من جميع عوامل تحقيق الانتاج وزيادته عن طريق بناء الانسان المواطن بناء متكاملاً ومساعدته على أن يكون منتجاً وثالثاً أن نساعده أيضاً على رفع المردود أو العائد من هذا الانتاج ، وبذلك تتحقق الزيادة المطلوبة في الانتاج والدخل القومي ويتحقق ما نهدف إليه من تنمية اقتصادية حتى يصبح البلد متقدماً .

نبدأ بدراسة كل عامل من هذه العوامل الثلاثة ونتحقق من كيفية الافادة الكاملة منها في تحقيق الانتاج وزيادته :

أ ـ الانسان :

يولد الانسان كما نعلم في حاجة لرعاية وعناية ويبقى مستهلكاً حتى يستطيع الاعتماد على نفسه في كسب رزقه ويبدأ عمر الانسان المنتج من السن ١٤ حتى سن الستين ، إن كتب له البقاء حتي ذلك السن ، أي أن أقصى فترة منتجة للانسان هي ٦٠ - ١٤ = ٤٦ أي ستة وأربعون عاماً مع

احتمال انقطاع هذا العمر في أي مرحلة بالوفاة ، هذه الفترة المنتجة من أعمار المواطنين ينبغي أن يخطط لها بعناية حتى يستفاد الفائدة القصوى منها ، ويحقق كل انسان اقصى انتاجية له في عمره المنتج هذا ، وخاصة أن الموت يلاحق الانسان في جميع مراحل عمره فهو معرض للموت الحق عند أي مرحلة .

وتتحقق امكانية الاستفادة من عمر الانسان المنتج عن أربعة طرق :

١ ـ تركيز وتقصير فترة التعلم ما أمكن بحيث تنتهي مثلاً في سن السادسة عشرة من العمر، يكون المتعلم خلالها (وهي تمتد اثنتي عشرة سنة) قد حصل على المبادىء الأولية الأساسية المركزة في العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية وتاريخه الحضاري وتاريخ البشرية .

٢ ـ ارفاق فترة التعلم بتوجيه المتعلم نحو السلوك الاجتماعي السوي الحميد والتحلي بالأخلاق الشرعية ضماناً لخروجه إلى المجتمع انساناً مؤمناً سوياً خلوقاً منتجاً .

٣ ـ تزويد المتعلم بمجموعة مهارات أساسية ومبادىء مهن مختلفة يحتاج إليها في حياته الخاصة وفي مستقبله .

٤ ـ اكتشاف ميول المتعلم ومواهبه بحيث يمكن توجيهه نحو القطاع الذي يمكنه فيه أن يكون مبدعاً ومنتجاً وفعالاً .

وبذلك نكون قد ضمنا باحتمال كبير الافادة الكاملة من عمر الانسان المنتج وهيأناه تهيئاً متكاملاً لينطبق في القطاع الذي اكتشفنا أنه يميل إليه ويبدع فيه حتى يحقق انتاجاً كبيراً .

ب ـ العامل الثاني والثالث من عوامل زيادة الدخل القومي للبلد وتحقق التنمية الاقتصادية والاجتماعية الحقيقية المنشودة وهما تحقق

الانتاج وزيادة هذا الانتاج وزيادة انتاجية الانسان المنتج ، فبعد أن تلقى المواطن علوماً أساسية مركزة في فترة قصيرة نسبياً وتسلح بسلوك اجتماعي سوي وأخلاق حميدة وتعلم بعض المهن والمهارات الأساسية وتم اكتشاف ميوله ومواهبه التي توجهه نحو القطاع الذي فيه سيحقق أعلى انتاج وانتاجية لأنه يعمل فيه مع هواية وميل ومحبة ، سيبدأ الآن في المشاركة العملية في الانتاج ثم في رفع مردود هذا الانتاج أي زيادة انتاجيته .

ثالثاً : قطاعات النشاط الاقتصادي :

فما هي القطاعات الأساسية التي يمكن أن يحقق فيها هذا المواطن انتاجه وكيف سنعمل على زيادة انتاجه وانتاجيته فيه ؟

يمكننا الاقتصار في التعرف على أبسط تقسيم للاقتصاد على ثلاثة قطاعات أساسية :

أ ـ قطاع الزراعة والصيد والغابات والأسماك .

ب ـ القطاع الصناعي .

جـ ـ قطاع الخدمات .

وفيما يلي سنستعرض أسلوب تحقيق الانتاج وزيادته في هذه القطاعات الأساسية الثلاث :

القطاع الأول : قطاع الزراعة

إذا آنس المواطن في نفسه الرغبة أن يتوجه إلى قطاع الزراعة والصيد والغابات والأسماك فماذا سينتج وكيف سيحقق زيادة مضطردة في هذا الانتاج ؟

نحن نعلم أن مهنة الزراعة والصيد والغابات والأسماك هي أقدم

مهنة في التاريخ الانساني كله إذ أن أول عمل قام به الانسان الأول هو أن يصطاد ليأكل ، ثم اكتشف النباتات الصالحة كطعام له ثم تعلم زراعتها وتفنن في ذلك ، وذلك ما استمر لفترة طويلة على أنه القطاع الوحيد المنتج ، ونتج عن ذلك أن الانتاج الهامشي في هذا القطاع ضعيف لأن الرقعة الصالحة للزراعة محدودة وأن الانتاج الزراعي يتصف بتناقص المردود ، أي أن زيادة الانتاج الزراعي تحتاج إلى جهود مركزة ويمكن أن يتم عن طريقين :

١ ـ زيادة رقعة الأراضي الصالحة للزراعة :

إن زيادة رقعة الأراضي الصالحة للزراعة تتطلب جهوداً وإنفاقاً كبيرين في بناء السدود والقنوات لتوفير المياه لاحياء واستصلاح أراضٍ لم تكن صالحة للزراعة سابقاً ثم تنظيف هذه الأراضي ودراسة تركيبها الكيميائي ، لمعرفة أفضل ما يصلح لها زراعته ، ثم بناء شبكة طرق ومواصلات لنقل العمال الزراعيين والانتاج الزراعي بين المناطق الزراعية ومراكز التسويق . بهذا نجد أن زيادة الانتاج الزراعي عن طريق زيادة الأراضي الصالحة للزراعة مرتبط بالبناء الهيكلي العام للمجتمع الذي لا يمكن توفيره إلا بتحقيق وفورات من بقية القطاعات لاستثمارها في القطاع الزراعي .

٢ ـ زيادة انتاجية الأراضي المزروعة :

تتحقق زيادة انتاجية الأراضي المزروعة عن طريق تحسين البذور واستخدام الأسمدة المناسبة والآلات الزراعية الحديثة وتنظيف الأراضي والعناية بالمزروعات ووقايتها من الحشرات والآفات الزراعية ، وعوامل الطقس ، مع توفير امكانات فنية لعملية القطاف والتعبئة والنقل والتوزيع مع اختيار أنسب الأوقات للتسويق بهدف الحصول على أحسن الأسعار .

ليقابل الجهد الكبير الذي يبذل للعناية بالمحصول الزراعي . وبهذا الاتجاه نجد أن هذا الطريق الثاني أيضاً يحتاج إلى إدخال الخبرة العلمية والفنية والآلية لهذا القطاع حتى يعطي المردود المناسب وحتى تتحقق الزيادة الكبيرة المطلوبة في الانتاج وبالتالي الدخل القومي ، ويحتاج أيضاً لانفاق كبير على الجهود الفنية والعلمية التي ستعود على نفسها وعلى مجمل القطاع بالنفع الكبير ، وهذا الطريق الثاني أيضاً مرتبط بالبناء الهيكلي العام للبلد وبالتقدم الحضاري وباستغلال الامكانات المتاحة وبتحقق وفورات أيضاً من بقية القطاعات .

فإذا أمكن تحقيق الزيادة الكبيرة المضطردة في الانتاج الزراعي عن الطريقين المذكورين فإن ذلك سيوفر الحاجات الاستهلاكية للمواطنين ، وسيوفر المواد الأولية للصناعات الغذائية ويوفر فائضاً زراعياً للتصدير يتيح للبلد استيراد مواد أجنبية للاستهلاك والاستثمار .

القطاع الثاني : قطاع الصناعة

إذا رغب المواطن في التوجه إلى القطاع الصناعي فماذا سينتج وكيف سيحقق زيادة مضطردة في الانتاج الصناعي ؟ كما مر رأينا أنه لتحقيق زيادة كبيرة في الانتاج الزراعي الذي يؤلف ٢٢,١٪ من اجمالي الناتج المحلي الصافي لعام ١٩٧٦* ، نحتاج إلى وفورات لتستثمر في هذا القطاع تأتي من بقية القطاعات ، وبما أن قطاع الصناعة يساهم بمعدل ١٩,٢٪ من اجمالي الناتج المحلي الصافي لعام ١٩٧٦ أيضاً . وإن بقية القطاعات الاقتصادية وهي قطاعات خدمات ، سنكتشف فوراً بأن أي وفورات مطلوبة سواء للقطاع الزراعي أم لقطاع الخدمات المرتبطة

(*) المجموعة الاحصائية السورية ١٩٧٧ المكتب المركزي للاحصاء بدمشق ، جدول ٧/٢٤

بالقطاعين الرئيسيين (الزراعي والصناعي) يجب أن تتحقق هذه الوفورات حتماً في القطاع الصناعي .

أ ـ مهام القطاع الصناعي :

بهذا تحققنا من الدور الرئيسي الهام الذي يجب أن يحققه القطاع الصناعي ويمكن تعداد المهام الأساسية التي يضطلع بها هذا القطاع كما يلي :

١ ـ استغلال الثروات الطبيعية عن طريق الصناعات الاستخراجية أو الصناعات التحويلية .

٢ ـ تشغيل الأيدي العاملة في جميع فروع الصناعات وامتصاص فائض اليد العاملة الزراعية .

٣ ـ انتاج حاجات المواطنين من مختلف السلع .

٤ ـ انتاج وسائل الانتاج (آلات وعدد وأدوات) لبقية القطاعات وللقطاع الصناعي نفسه .

٥ ـ الاستفادة من المخترعات والفن الانتاجي الحديث لزيادة الانتاج وتنويعه .

فحتى يتاح لهذا القطاع الصناعي أن يحقق اكبر انتاج واقصى دخل ويؤمن الوفورات لزيادة انتاجه ولتحويل بعض الوفورات إلى قطاع الزراعة لتحسين انتاجه وإلى بقية القطاعات ، علينا أن نتبع كافة الوسائل والطرق لتشجيع انشاء صناعات جديدة وتوسيع القائم منها فعلاً وتعميم الخبرة والمهارة والفن الصناعي وتدريب اليد العاملة لزيادة مهارتها وتهيئة كوادر علمية وفنية واقتصادية لقيادة العملية الصناعية بنجاح .

ولا بد هنا أيضاً من أن يثور نفس السؤال السابق كيف ندعم الصناعة وكيف سنزيد من الانتاج الصناعي .

ب - عناصر النشاط الصناعي :

للاجابة على هذا السؤال سنتعرف على العناصر الأساسية المعروفة للنشاط الصناعي وندرس كيفية تشجيع كل عنصر من هذه العناصر على أداء دورها بأعلى مردودية ممكنة حتى نحصل على التوسع الكبير المطلوب في الانتاج الصناعي .

١ ـ الأرض

أول عنصر هام من عناصر الانتاج الصناعي هو الأرض التي سيقام المشروع عليها ، وهذه تعطي جزءاً من الدخل القومي للبلد نسميه الريع أو الايجار وبهدف الاستغلال الأمثل للأرض يمكن التذكير بالعناصر التالية :

أ ـ ابتعاد الأراضي المخصصة لاقامة المشاريع عليها عن الأراضي التي تزرع أو التي يمكن استصلاحها وجعلها صالحة للزراعة .

ب ـ كون الأرض الصناعية أيضاً قريبة من مراكز المواد الأولية والطرق وبعيدة عن المراكز الآهلة بالسكان ، هنا ندخل في دراسات تقييم المشاريع وما نسميه أيضاً بالتخطيط الاقليمي أو المكاني .

جـ ـ ويحسن أن يفرض على كل مشروع صناعي أن ينشيء وحدات سكنية لعماله بحيث تقضي على مشكلة السكن والانتقال للعمال والموظفين كما يمكن التفكير **بمراكز صناعية** حيث ينشأ عدد من المصانع وحولها البيوت السكنية المخصصة لعمال هذه المشاريع مع بقية الخدمات الاجتماعية .

٢ ـ المواد الأولية

العنصر الأساسي الثاني من عناصر العملية الانتاجية الصناعية هي المواد الأولية التي تعتبر مدخلات للصناعات المختلفة ويمكن تقسيم هذه المواد بحسب نوعيتها إلى الأصناف التالية :

أ ـ مواد أولية طبيعية أي كما هي في الطبيعة والتي لم يجر عليها أي عملية صناعية أولية كالمنتجات الزراعية أو مواد المناجم والمحاجر والصيد ونتائج الغابات .

ب ـ مواد أولية نصف مصنعة : وهي مواد أولية دخلت مرحلة صناعية محددة ثم تعتبر بنفس الوقت مادة أولية لصناعة تالية .

جـ ـ مواد أولية مصنعة . وهي المواد الأولية التي تعتبر مصنوعات كاملة لمن انتجها ثم هي تدخل كمادة أولية في صناعة تالية .

كما يمكن تصنيف المواد الأولية ، بحسب مصدرها إلى النوعين التاليين : ١ ـ مواد أولية محلية : وهي تلك المواد التي تم استخراجها أو تحويلها أو صنعها كلياً ضمن القطر .

٢ ـ مواد أولية مستوردة : وهي تلك المواد التي يتم استيرادها من الخارج سواء أكانت طبيعية أم نصف مصنعة أم مصنعة .

ويمكن اعتماد الاستراتيجية التالية فيما يختص بالمواد الأولية :

أ ـ تشجيع استغلال جميع المواد الأولية الطبيعية المحلية وقيادة عملية اكتشاف هذه المواد أولاً ثم استغلال هذه المواد إلى اقصى حد ممكن . إما عن طريق التصنيع المباشر من قبل الدولة أو المشاركة مع الأفراد أو طرح هذه المواد في السوق ليجري الاستفادة منها إلى أقصى حد

ممكن ، مع تشجيع استثمار واستهلاك المواد الأولية الطبيعية المحلية التي لم تستثمر بعد .

ب ـ محاولة انتاج جميع المواد الأولية نصف المصنعة أو المصنعة والتي تحتاج إليها الصناعة المحلية إن أمكن ، مساهمة في إنشاء صناعات جديدة وتخفيض تكلفة الانتاج المحلي وذلك بوضع الخبرة الفنية اللازمة بتصرف كل من يقدم على إنشاء هذه الصناعات مع تقديم التسهيلات المالية اللازمة .

جـ ـ تسهيل استيراد جميع المواد الأولية (الطبيعية ونصف المصنعة والمصنعة) الضرورية للصناعة المحلية من غير رسوم جمركية واعطائها الأولوية في الاعتمادات والقطع الأجنبي وتسهيلات التفريغ والشحن والنقل والتخليص حتى تصل إلى مصانعها بأسرع وقت وأقل تكلفة ، ويدخل ضمن اجراءات تسهيل الاستيراد بناء شبكة معلومات لمصادر هذه المواد وأسعارها والتقلبات المتوقعة على هذه الأسعار وأنسب الأوقات لشرائها ، لما في ذلك من تخفيض لتكلفة المصنوعات المحلية تشجيعاً لاستهلاكها محلياً ولتصديرها ، ودفعاً للعملة الانتاجية إلى أقصى حد ممكن .

٣ ـ الفن الصناعي الانتاجي :

وهي الطريقة أو الأسلوب التي يتسم بها صناعة أو انتاج مختلف المنتجات المطلوبة ، إما لتصنيع المواد الأولية المحلية أو المواد الضرورية للاستهلاك المحلي أو التصدير ، والتي تعتبر بدرجة ما من الأسرار الصناعية . فمهمة الدولة في هذا المجال بهدف زيادة الانتاج القومي هو ما يلي :

أ ـ نشر الثقافة الفنية الانتاجية لمن يرغب من المواطنين عن طريق معاهد للتدريب منفصلة أو معاهد ملصقة بالمشاريع الحكومية .

ب ـ مساعدة المنشآت الصناعية بإعطائها أحدث المعلومات عن تطور الفن الانتاجي في العالم .

جـ ـ الحصول على الفن الانتاجي من أي جهة في العالم لمحاولة انتاج السلع التي تحتاجها الصناعات أو المواطنون للاستهلاك النهائي محلياً ووضع هذه الخبرة إما بتصرف القطاع العام لانتاجها أو إنشاء شركات مشتركة لانتاج هذه المواد .

٤ ـ اليد العاملة :

إن من أهم عناصر الانتاج اليد العاملة وهي تتألف من المواطنين الذين يقومون بالاشراف على الآلات وإدارتها بهدف إتمام العملية الانتاجية على أكمل وجه لها . وبما أننا هنا نتعامل مع بشر فإن ظروف العمل لن تقتصر على مجرد علاقة صناعية فنية بحتة ولكنها لا بد لها وأن تأخذ بعداً اجتماعياً محدداً فمن ناحية أولى تم استدعاء هؤلاء المواطنين لتحقيق الهدف الأول وهو المساعدة في اتمام العمل الانتاجي على أكمل صورة ومحاولة أيضاً تحسينه وتطويره وأدائه بكل اهتمام وتفان واخلاص ، ومع تحقيق هذا الهدف الأصلي يجب مراعاة الناحية الثانية الهامة وهي أن هؤلاء المساعدين هم بشر أتوا ليعملوا ليعيشوا ويحسنوا أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية فكيف نستطيع المواءمة بين الناحيتين اللتين تتضمنا بعض التعارض إن لم يحسب حسابها بعين الاعتبار بدقة ، هذا التعارض يرجع إلى طبيعة كل من الناحيتين كما يلي :

أ ـ تهدف العملية الانتاجية إلى استخدام جميع عناصر الانتاج بأقل تكلفة ممكنة وانتاج المصنوعات بأجود ما يمكن ثم تصريف الانتاج بالسعر السائد دون احتكار ولا ربح فاحش بل ربح معقول يؤمن سير العملية الانتاجية وتطورها ، بهذا نجد أن أحد عناصر الانتاج التي يجري العمل

على خفض تكلفتها ورفع عائديتها هي اليد العاملة في المشروع ، ويجب ألا يفهم من خفض التكلفة خفض الأجور أو انقاص الخدمات الاجتماعية بل رفع انتاجية العمل إلى مستويات متزايدة مع ربط اليد العاملة بالوحدة الانتاجية ربطاً عضوياً لأن في تحقيق عائدية المشروع مصلحة لهم وهي استمرار وجود فرص العمل والتوسع في الخدمات الاجتماعية لهم .

ب ـ بينما الجانب الاجتماعي للعمالة يقول بأن المصنع يأخذ كل الجهد والوقت ، لهذا فهو مطالب بتأمين العيش والخدمات الاجتماعية كلها بغض النظر عن زيادة التكلفة الناشئة عن هذه الخدمات أو عن زيادة الأجور .

ويمكن الربط بين الناحيتين كما يلي

إن استخدام اليد العاملة المنتجة والمدربة والضرورية فقط والتي تـؤدي واجبها على أكمل وجه وتحاول باستمرار تحسين انتاجيتها واستغلال كل دقيقة وكل جهد لزيادة الانتاج وتخفيض الاعطال وصيانة الآلات لهو في مصلحة المشروع وإن أي نشاط اجتماعي تعاوني ضمن المشروع يزيد من ارتباط العامل بمشروعه ويساهم في حل المشاكل الخاصة لليد العاملة بحيث يصبح مصلحة المشروع هي مصلحة اليد العاملة فكلما نجح المشروع ازداد الانتاج وازداد الربح وازدادت الأجور والخدمات الاجتماعية الممكنة وهذا يتطلب ما يلي :

١ ـ عدم تشغيل أي عنصر دون مساهمة جادة وكاملة في الانتاج .

٢ ـ إمكانية استبدال أي عنصر غير متلائم مع العمل بغيره عن طريق مؤسسة التأمينات الاجتماعية للعمال بحيث لا يفقد العامل كامل أجره وهو مصدر عيشه ثم يحول إلى المكان الذي يستطيع أن ينتج فيه أو يحول إلى مدارس فنية لتساعده على التدريب والعمل بنجاح .

٣ ـ فرض اتباع دورات تدريبية مستمرة لليد العاملة لتحسين مستوى الأداء والخبرة الفنية .

٤ ـ ربط الأجر بالانتاج ما أمكن عن طريق دفع زيادات محددة إلى العمال المجدين والمنتجين وانذار المتخلفين حتى يصل الأمر إلى استبدالهم بغيرهم .

٥ ـ التوسع في الخدمات الاجتماعية ما أمكن لليد العاملة في المشروع .

٥ ـ المستحدث

إن أهم عنصر من عناصر العملية الصناعية هو المستحدث وهو الانسان الذي لا يملك مالاً ولا أدوات ولا إمكانية فنية بل موهبة جمع عناصر الانتاج وادارتها بفعالية ونجاح بحيث يصل المشروع إلى هدفه ويتوسع باستمرار ، وقد يظن البعض أن أي انسان بدون موهبة يستطيع القيام بهذا الدور الهام أو حتى لا حاجة للمشروع بهذا المستحدث وإن الآلات موجودة والمواد موجودة والعمال موجودون والانتاج يسير بالاستمرارية الطبيعية فإذا ما كان ذلك سنجد أن المشروع بعد فترة قد تحول إلى مشروع خاسر ينتج انتاجاً فاسداً أو لا يباع .

لذا فمن الواجب البحث عن هؤلاء الموهوبين بهدف اعطائهم الفرصة لممارسة موهبتهم بالادارة الفعالة للمشاريع الصناعية بحيث يستفيدون ويفيدون مجتمعهم ويجعلون المشاريع الصناعية مشاريع ناجحة ، وإن العائد الذي يوفره للمشروع هو الربح الذي يجعل من الممكن للمشاريع الصناعية أن تستمر في العمل والانتاج وزيادة الخدمات الاجتماعية المقدمة لليد العاملة .

٦ ـ رأس المال

آخر عنصر من عناصر العملية الانتاجية هو عنصر رأس المال وهو مجموعة المال التي يتم بواسطتها شراء الآلات وشراء الأرض أو استئجارها ، ومنها دفع ثمن المواد وأجور العمال للدورة الأولى من العمل ثم يبدأ المشروع فتغطيه مستلزمات الانفاقية للدورات التالية ويعتبر رأس المال الذي يحتاجه المشروع في بداية تأسيسه أقل عنصر من عناصر الانتاج أهمية ، إذ أن الأموال وحدها لا تنتج قيمة ومساهمتها بالانتاجية المستمرة للمشروع أقل المساهمات ، ولكن الصحيح أيضاً أنه لا يمكن البدء بالعملية الانتاجية دون توفر رأس المال اللازم ، لذا يجب العمل بكل الطرق لتوفير رأس المال لمن يستطيع أن يبني عن طريقه وحدة انتاجية تزيد من الدخل القومي للبلد وبذلك يتم تحطيم اعطاء قيمة اضافية لعنصر رأس المال عن طريق كسر طوق احتكار هذا العنصر أو شح موارده أو ضعف قنوات حركة رأس المال باتجاه المشاريع الصناعية . ويمكن التفكير بالأساليب التالية لتحقيق ذلك .

١ ـ سحب ادخارات القطاع العائلي البسيطة وتجميعها وتوجيهها إلى الأهداف الانتاجية مباشرة عن طريق المشاريع المساهمة أو المشتركة والمضمونة ضد أي تأميم أو مصادرة أو منع تداول أو تخفيض قيمه أو البيع الالزامي بسعر الاصدار دون سعر السوق .

٢ ـ سحب ادخارات المواطنين والمشاريع والمؤسسات عن طريق المصارف المتخصصة لتوجيهها إلى المشاريع الانتاجية مباشرة أيضاً .

٣ ـ توسيع المصارف في توفير المساهمة المالية والمشاركة مع المستحدثين والخبراء في انشاء مشاريع انتاجية سواء بالمشاركة بالأرباح أو المضاربة بالمال أو بالتملك المباشر وكل ذلك عن غير طريق الفوائد . لأن

الفائدة ستصبح عبئاً على المشروع بل الأفضل أن تعتبر مساهمة المصارف مشاركة في الأرباح يتحمل المصرف في ذلك مسؤولية مباشرة في الدعم والاشراف وتوفير الظروف المناسبة للربح والتطور وزيادة الطاقة الانتاجية للبلد .

٤ ـ تحويل ادخارات القطاع العام بالمشاركة مع المستحدثين والفنيين إلى مشاريع انتاجية جديدة .

٥ ـ تشجيع الجمعيات والاتحادات والتعاونيات على بناء مشاريع انتاجية جديدة معتمدة على ادخاراتها الخاصة وسلف المصارف أو القطاع العام .

القطاع الثالث : قطاع الخدمات :

أما إذا رغب المواطن في التوجه للعمل في قطاع الخدمات والذي يشكل ٢٠٪ من الانتاج القومي هذا القطاع الذي يتألف من النشاطات التالية ـ النقل والمواصلات والتجارة والمالية والايجارات والادارة العامة وبقية أنواع الخدمات ، هذه القطاعات تشكل نشاطات مكملة للقطاعين الانتاجيين الأساسيين وتخدم أهدافها في رفع الانتاج وبالتالي الدخل القومي ، مما يحتم ألا يجري تركيز انشطة المواطنين في هذه القطاعات بل تحويل اهتمامات المواطنين وتركيز انشطتهم في القطاعات الانتاجية .

وهذه تجربة اليابان الانتاجية[1] (لماذا زيارة مصنع ماتسوشيتا وليس ماتسوبيشي أو ميتسوي أو سوميتومو لماذا وقع اختيار وزارة الخارجية اليابانية على هذا المصنع من بين سائر النمور اليابانية لقضاء يوم كامل في

---

(١) سليم اللوزي : الرحلة الثانية إلى بلاد الشمس المشرقة البارافان الاخير (٣) مجلة الحوادث اللبنانية ، العدد ١١٢٧ ، تاريخ ١٩٧٨/٦/٩ .

مصانعها في أوزاكا فقالوا إن هذا المصنع هو أحدث مصنع للالكترونيات وهو المصنع الذي ينتج الآلات التي تنتج السلع الاليكترونية ، وفي المصنع تبين أن عدد المديرين والمهندسين والعمال في المصنع يبلغ ٨٣٠٠ عامل ، وأن شركة ماتسوشيتا مؤلفة من ٢٩ مصنع وحجم تعاملها المالي حوالي عشرة مليارات من الدولارات الأميركية في السنة وهي التي تتحكم في انتاج الاليكترونيات وكل ما يعرفه العالم ، من كومبيوترات وتلفزيونات وآلات حاسبة) تنتجها آلات صممت وأنتجت في هذا المصنع . ودار في ذهني السؤال التالي كيف يمكن انتاج آلات دقيقة وقادرة على التحكم في انتاج آلات اخرى تنتج بدورها ما نعتبره نحن أعجوبة مثل الآلة الحاسبة الصغيرة التي قدموها إلي هدية والتي ستنزل الأسواق في العام القادم ويمكن وضعها في الجيب وهي تعمل بلا بطارية ولا كهرباء ولا نفط ولا شمس ، سألت هل هذا المصنع قطاع عام قالوا : إنه في المفهوم الغربي ملكية خاصة لعائلة ماتسوشيتا وعميدها الحالي هو السيد ماساهارو ماتسوشيتا وهو بالمناسبة ليس ابن العائلة ، ولكنه بدأ كعامل واستطاع أن يحوز على إعجاب ماتسوشيتا الكبير واسمه كونوسوكي فزوجه ابنته وانصرف إلى التأليف . قلت يعني إن ماساهارو الممثل لعائلة ماتسوشيتا هو الذي يملك تقرير مصير صناعة يفوق حجمها انتاج العالم العربي ؟ أجاب أبداً فحتى في المصانع الصغيرة في اليابان ، تنفصل القرارات الادارية عن حقوق الملكية إن التملك لا يعني القدرة على الادارة فالعبقرية لا تورث لذلك كان لا بد من العثور على الكفاءات التي تنتجها عادة الجامعات الكبيرة أما القرار فلا يصدر من أعلى إلى أسفل ، كما هو الحال في النظام الصناعي الغربي بل يبدأ باقتراح من أي مستوى يعمم على القاعدة ويعرض للنقاش في عدة اجتماعات ويطور حتى يأخذ صيغة مكتوبة ترفع إلى مجلس المديرين لينفذها وهذا يشكل جوهر الحركة

الاشتراكية في أوروبا الغربية المطالبة بمشاركة العمال في صنع القرارات المتعلقة بالانتاج ، ولكن ما الفارق . لماذا تشكل ضعف الادارة في دول أوروبا الغربية ونمو سلطة العمال أزمة تهدد بتدهور الصناعة . بينما استطاعت اليابان أن تحل هذه المشكلة بدون ثورة ولا اشتراكية ولا اضطرابات. السبب هو طبيعة العلاقات بين العمال والمؤسسة فهي في الغرب علاقة صراع كل طرف يريد أن يحقق أكبر قدر ممكن من الكسب ولو على حساب الآخر . وهو صراع بين العامل والمؤسسة وتزاحم بين العاملين داخل المؤسسة وبينهم وبين العاملين في الخارج الذين يريدون أن يحلوا محلهم وبينهم جميعاً وبين المؤسسات المنافسة . بينما الوضع في اليابان مختلف تماماً فالعشرة آلاف عامل الذين يعملون في الـ ٢٩ مصنعاً لشركة ماتسوشيتا ، لا يمكن اعتبارهم عمالاً بالمفهوم الشائع في الغرب والرائج عندنا ، إنهم منذ ولادتهم مرتبطون بالمؤسسة ولدوا في مستشفياتها وتعلموا في مدارسها وتخصصوا في وظائف محددة وفق برنامج يغطي عشرات السنين ، ومنذ اللحظة التي يلتحق فيها العامل بالمصنع يعرف أنه لن يفصل ولا مجال أمامه للبحث عن عمل آخر في الخارج إن مستقبله ومستقبل أولاده مرتبطان بتقدم المصنع واخلاصه له ، وهنا يجب أن نتوقف أيضاً عند كلمة التقدم فليس هناك صراع ديكه أي أن يفتك نائب المدير بالمدير ليحل محله بل هناك احترام للسن والأقدمية المعمول بهما في نظام العائلة الملكية السعودية فالسن والأقدمية وحدهما اللذان يؤخذان في الاعتبار عند تقرير المرتب . أما المناصب فهي تقلد على ضوء الكفاية وحدها وهي لا تعترف دائماً بسلم الرواتب لأنهم لا يعتبرون إن المال شهادة على الكفاءة وقد استغرقت مناقشة فلسفة الادارة في اليابان معظم الوقت ، قلت لهم كيف استطعتم اقناع اصحاب المال بالتنحي عن اتخاذ القرار ، قالوا لأنهم اقتنعوا أن هذه هي مصلحتهم وإذا توفرت الكفاءة مع المال يأخذ كل منهما حصته .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخاتمة

في صحافة الغرب ضجة وفي صحافة الاتحاد السوفييتي تلميحات وغمزات لا تكاد تفتح صحيفة أو مجلة إلا وتقرأ عن عودة المارد أو البعث الاسلامي ، من مكسيم رودنسون الماركسي في اللوموند ومن جوزيف كرافت في الهيرالد تريبيون ، إلى نانسي وهولفر في النيوزويك الذين يتحدثون عن عودة الجهاد من طهران إلى كوالا لامبور ، إن انبعاث الحس الديني ظاهرة عامة بعد انحسار موجة المادية الليبرالية والماركسية وفي عصر شهد لأول مرة منذ أكثر من مائة عام ، قيام دولة على اسس دينية كاملة ابتداء من أسمها وهو اسم نبي من أنبياء التوراة ، إلى تقويمها الذي يفترض أن الأرض وجدت منذ أقل من ستة آلاف سنة (٥٧٣٨) وهي طبعاً دولة اسرائيل التي يؤيدها الغرب .

أثبت تحقيق مجلة التايم أن الجيل الجديد بدأ يعود لأحضان الدين بحماسة أتاحت الفرصة لعدد من الدجالين لاستغلال هذا التعطش للدين وخيبة أمل الشباب في المؤسسات الدينية القائمة ، فاخترعوا أدياناً وطقوساً وتحكموا في المؤمنين وابتزوا أموالهم ، بل وحياتهم بوهم خلاص

روحهم أو حتى بمنحهم السعادة الروحية بمجرد الايمان ولو بالباطل الذي يبشر به دجال .

وفي الدول الشيوعية نبهت الهزة التي أحدثها انتخاب بابا من أصل بولندي إلى عمق الحس المسيحي في شرق أوروبا الذي تسيطر عليه الأحزاب الشيوعية الالحادية وذكرت الناس كيف اضطر ستالين بعد أكثر من عشرين عاماً من التبشير الالحادي إلى الافراج عن دين الروس والسماح للشباب الروسي بالموت في سبيل روسيا على يد الكاهن المسيحي .

ويبدو أن الذين أصدروا وثيقة حقوق الانسان قد أضافوا له بنداً سرياً هو حرية العقيدة مكفولة للجنس البشري إلا الاسلام لأن صحافة بريطانيا تصر على وصف المطالبين بحرية العبادة الاسلامية في تركيا باليمين الفاشي الرجعي ، مع أن ملكة بريطانيا تحمل رسمياً لقب حامية العقيدة المسيحية ولبريطانيا أسقف رسمي وكنيسة رسمية هي كنيسة انكلترا ، وفيها تتوج ملكة أو ملك بريطانيا الذي يحرم عليه الزواج من كاثوليكية ، وفي كل مكان يوصف جنرالات الجيش باليمينية والرجعية إلا جنرالات تركيا فهم يتشرفون باليسارية والتقدمية في صحافة الغرب .

من السذاجة القول بأن الحكاية كلها مجرد مؤامرة دبرتها هذه المخابرات أو تلك فالحنين إلى الدين ظاهرة حقيقية وطبيعية تفرض نفسها على واقعنا جميعاً ولكن الفارق بين المتخلفين والمتقدمين ، هو أن المتقدمين لا يقفون أمام الظواهر الجديدة موقف المذهول ولا موقف المبهور بل يحاولون فهمها والاستفادة منها ، والدين حقيقة أزلية في حياة شعوب هذه المنطقة فإذا كان التطلع إلى العالم الآخر أو ما وراء المادة ظاهرة انسانية عرفتها كل الشعوب في كل العصور وفي كل مكان إلا أن الدين الكامل ظهر في هذه المنطقة وانطلق منها إلى كل مكان في أرجاء

المعمورة والانتفاضة الدينية اليوم طبيعية ومفهومة الدوافع ، بعد فشل العلمانية الغربية والماركسية السوفييتية في حل مشاكل الجماهير ، وعجزهما عن طرح قيم ومفاهيم قادرة على كسب وتحريك ضمائر الجماهير أو تطوير سلوك القيادات فكان من الطبيعي أن تعود هذه الجماهير للحقيقة الوحيدة التي امتحنت وتثبتت عبر القرون التي شهدت مجدها وسيادتها واستقلالها وأن تسقط كل القيادات الحديثة التي ثبت عجزها عن التحديث وتعود الجماهير تبحث عن قياداتها في المسجد والكنيسة أو لقيادة الحركات التي تنتسب للمسجد والكنيسة حتى وإن كانت بعيدة عن روح الاسلام والمسيحية .

لماذا كلما تحدثنا عن نمو الشعور المسيحي قفز إلى ذهننا خطر الحرب الطائفية ، والعودة إلى محاكم التفتيش ؟ ألم تبدأ النهضة في الغرب بحركات الاصلاح الدينية وبانتعاش الحس المسيحي ؟ فلماذا يكون تدينهم تقدماً وحضارة سيطرت على العالم ثلاثة قرون أو أربعة وتديننا تخلفاً وفتناً وانتحاراً بالاحقاد ، ولماذا كلما تحدثنا عن المد الاسلامي قفز إلى إعلامنا وحوارنا حديث رجم الزاني ، وقطع يد السارق ، ألا يضم مجتمعنا إلا الزناة واللصوص ولا قضايا معلقة فيه تبحث عن حل إلا قضايا الجنس وعورة المرأة وقطع اليد . اليست قيم هذا الدين هي التي أقامت أول حضارة تقر بالتعايش بين الأديان وبالحقوق المدنية المتساوية مهما اختلفت العقائد والأجناس . أليس هذا هو الدين الذي آمن بالعلم والتعليم والانفتاح على كل منجزات البشرية للتعلم منها حتى ولو كانت في الصين الوثنية .

يقولون إن الاسلام لا يحتاج لحركة اصلاح بل المطلوب هو العودة لروح الاسلام وتعاليمه الحقة وهذه هي حركة الاصلاح فلا أحد يتحدث عن تغيير النصوص أو تعديل الصلاة ، ولكن كما أن أجمل بيوت العالم

الاسلامي هي قصور المغرب حيث التراث محتفظ به بكل تفاصيله جنباً إلى جنب مع كل احتياجات الحياة العصرية . فكذلك المجتمع الذي تتطلع إليه الجماهير يستند إلى تراثها إلى الحد الذي تحس فيه الجماهير بالالفة والاطمئنان والاعتزاز بالملكية أو ميراث الآباء والجدود ، ولكنه أياً يجب أن يكون مجتمعاً عصرياً ليس فقط من ناحية استخدام التكنولوجيا المعاصرة ولا حتى انتاجها فهذه قضية لا تغيب عن فطنة أية قيادة وهي مضطرة إذا كانت جادة في اكتساب التكنولوجيا ولكن العصرية التي نريدها هي التي تحل أيضاً مشاكل الجماهير ، وقضاياها المعلقة الاجتماعية والاقتصادية والدينية .

كيف يمكن أن يعبأ الحس الديني للجماهير لبناء المجتمع العلماني العصري الذي يمارس فيه كل مواطن حقوقه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمدنية بلا تمييز ، مجتمع يستند إلى الشريعة ويحترم كل شريعة مجتمع يستند إلى الدين ويعطي الحرية لكل المتدينين من كل دين)[1] .

مر معنا عندما بينا في استعراضنا لرأس الدين الإسلامي في مشاكل حياتنا المعاصرة وبينا موقفه الفكري الخاص وبينا في بعض المراحل عداء البعض لحضارة الإسلام وحربه له ومحاولة تدميره واعتبار أهله من الكفار رغم أن المسلمين موحدين توحيداً صافياً ليس فيه أسرار ولا ألغاز ولا تفسيرات وتأويلات ورغم استعمار الغرب لكل بلاد المسلمين وانتصاره عليهم عسكرياً وحضارياً ومادياً وسياسياً بالحيلة والمكر والقوة وتحزيب الأحزاب والتعاون مع الشيطان ، رغم كل ذلك فاننا اليوم وبعد انقضاء فترة

---

(١) ما احلى الرجوع اليه : مقال الاسبوع في مجلة الحوادث اللبنانية ، الصادرة بتاريخ ١٩٧٩/١/٥ العدد ١١٥٧ .

الاستعمار وانقضاء فترة الحروب الدينية والاستعمارية وبعد انقضاء فترة الجهل والتعتيم الاعلامي والتضليل الجماهيري إذ اصبحت حرية القول والكتابة والنشر والاطلاع على الحقائق وحرية اعتناق أي عقيدة خاصة في الدول الغربية رسمياً وفي جميع أنحاء الأرض على النطاق الشخصي ، اننا اليوم لم نعد ننظر إلى الغرب على أنه العدو المتربص ولا المشاكس المخاصم المعاند الذي يبغي بنا الشر والأذى والضرر ، ان الضعيف اليوم وأمس وغداً مأكول منهوب حتى من عصابات وشذاذ آفاق فما بالك من دول متحضرة متمدنة قوية ، بل اننا ننظر للغرب وللعالم اجمع على أنهم جميعاً أخوة لنا في الانسانية ما عدا من يحتل أرضنا ويشرد شعبنا ويقتل أولادنا ويدمر امكانات تقدمنا ويستثمر ثرواتنا لحساب اغراب عن ارضنا علينا التعاون والتآزر مع بقية الشعوب لجعل الحياة على كوكب الأرض سعيدة ملؤها الخير والمحبة والحرية لا ظالم فيها ولا مظلوم لا طامع فيها ولا ضعيف مطموع فيه لا حروب ولا إبادة ولا قنابل ذرية أو هيدروجينية أو نيوترونية تقضي على الجنس البشري دون الابنية والعمارات والشوارع والسدود فما فائدة كل ذلك دون الانسان ، ننظر للغرب على أنه محتاج لنا كما نحن محتاجون له نحن نحتاج لصناعة الغرب ورقيه الصناعي والتقني وأساليب الانتاج الحديثة نحتاج إليه في مساعدتنا لاستغلال ثرواتنا الطبيعية لاستصلاح صحارينا واستغلال مياهنا التي تذهب هدرا في البحار ونحن وأرضنا محتاجون لكل نقطة ماء منها نحن نحتاج للغرب في تبادل المواد والسلع التي تجعل حياة الانسان على الأرض اكثر راحة واكثر سعادة واكثر هناءة، والغرب يحتاج إلينا في أن نعلمه حقيقة خالق الكون الذي نعيش فيه وكيفية صلة روحه بخالقه ، نعلمه سبب وجوده على الأرض وسلوكه الأمثل مع اخيه الانسان ومع نفسه ومع خالقه ، وفي أن نقنعه في أنه مخلوق مثل سائر سكان كوكب الأرض عليه مساعدتهم والعيش معهم والتعاون معهم لا

السيطرة عليهم واستغلالهم واعتبارهم أدوات انتاج أو مستهلكين لانتاجه السلعي ، فمن هو الاميركي المتحضر الآن انهم أحفاد مجموعة مغامرين هربوا من الاضطهاد الديني الموجود في أوروبا والتي كانت فيها الكنيسة تضطهد العلماء والمصلحين والمفكرين بالتعاون مع الامراء والاقطاعيين حلفائهم السياسيين والاقتصاديين الامراء أسياد الأرض والانتاج والكنيسة سيدة العقيدة والعلم والمال ، واستقبلت امريكا أيضاً بعض الهاربين من الجوع والفقر في جميع انحاء العالم سافروا إلى الأرض الجديدة المكتشفة ليجدوا فيها رزقهم وحياتهم فلما اعترضهم أهل البلاد الاصليين الذين كانوا يعيشون في بحبوحة في أرض شاسعة قليلة السكان ، لم يتعاملوا معهم برفق ولين وتعاون بل بابادة وقتال وافناء حتى لم يبق منهم إلا آثار وقتل الباقي ، وعمل المهاجرون الجدد في الأراضي الشاسعة الموروثة عن سكان البلاد الاصليين في زراعتها ولم يجدوا من بينهم من يقوم بكل الأعمال الزراعية المطلوبة فقاموا عوضاً عن أن يبعثوا إلى مواطنيهم في أوروبا مشجعين على الهجرة والعمل وامتلاك الأرض الجديدة واستثمارها وإنما أرسلوا بواخر قرصانية اجرامية اخذت تصطاد الانسان تصطاد بشرا شبابا هم زهرة مواطني افريقيا ودولها السائرة في مسار الحضارة والتقدم ، فمات من مات منهم دفاعا مشروعا عن نفسه ومات الكثير منهم خلال عملية النقل اللاانسانية من افريقيا إلى اميركا ومن بقي منهم اعتبروهم عبيدا مماليك اجراء اقنان لزراعة الأرض لحساب السادة الجدد فقراء ومضطهدي الأمس ولكن التاريخ لا يمكن أن يعيد أوضاعا ظالمة انتهت واندثرت حتى تأتي دولة حديثة لتعيد العبودية إلى الانسان بعد أن أنهاها الإسلام منذ ما يزيد على الألف عام ، لم تستطع هذه الأوضاع الخاطئة من الاستمرار كثيراً فتحرر الزنوج في اميركا ولكنهم حتى الآن لا يمكن أن نقول أنهم دخلوا كل ميادين الحياة الصناعية والعلمية والتقنية مثل اخوتهم

البيض في اميركا ودول غرب أوروبا وحتى في بعض دول أفريقيا وآسيا التي ما زال البعض فيها حتى الآن يعاكسون منطق الحق والعدالة والدنيا كلها باقامة دولة تحكم الافريقيين والآسيويين وتتعالى عليهم في بلادهم كما في روديسيا وجنوب أفريقيا واسرائيل ، ايحق بعد ذلك أن يقف الاميركي الغني الآن المدجج بالسلاح ويدعي أنه أصبح معلم الشعوب ومحررها في كل الميادين صحيح أنه متقدم صناعيا وزراعيا وتقنياً ولكنه ما زال حتى الآن متخلفاً فكريا وحضاريا وإنسانياً . ومن هو الأوروبي المتحضر اليوم أنه من احفاد من احرق باسم التدين المسيحي عالماً حياً لأنه يقول أن الأرض كروية معلقة في الفضاء وليست مركز الكون وهو جاليليو ، وهو من قاد حربا تدميرية ادت إلى قتل خيرة ابناء العرب المسلمين الاندلسيين وطرد احد عشرمليوناغيرهم واجبر الباقي الذين لم يهاجروا على تغيير دينهم واسمائهم واحدث لأول مرة في تاريخ البشرية محاكم خاصة للتفتيش على من يكتم اسلامه ممن بقي في بلاده الذي استمر فيها ثمانمائة عام ليقتلوه لهذا بقيت اسبانيا حتى الآن متخلفة لم يقبلها الغرب كدولة غربية علما بأنها تنتمي جغرافيا إلى القارة الأوروبية ولها حدود برية طويلة مشتركة مع فرنسا والتي هي من أهم دول أوروبا ولم تستطع أن تجاري الغرب لا في الثورة الصناعية ولا في الثورة التقنية الفنية وذلك بسبب ان بناء الحضارات لا يقوم على الحقد والتشفي والقتل والابادة إنما على الاستفادة من جميع الطاقات والامكانات لزيادة البناء وتحديث الحياة فلو أن الاسبان بعد انتصارهم حكموا البلاد واستثمروها لحسابهم بالاستعانة بالعلماء والخبراء والزراع والفنيين الموجودين لسبقت اسبانيا أوروبا كلها ولكنها عميت بالحقد وسكرت بالانتصار والانتقام فكان مصيرها التخلف والفقر وقلة ذات اليد وبعد ذلك دهمتها الحروب الأهلية ثم الديكتاتورية العسكرية ثم أعمال العنف من بعض القوميات المتميزة

وهي بذلك لم تخرج عن إطار دول العالم الثالث المتخلفة بجميع أوضاعها . والأوروبي أيضاً هو من جيش الجيوش لمحاولة إعادة عقارب الزمن إلى الخلف وإعادة استعمار الشرق والتوسع على حسابه بدعوى عصبية دينية جاهلة أدى ذلك إلى الفتك بامكانات المنطقة وهدر طاقاتها بحروب صليبية استمرت ٢٠٠ سنة انتهت بانتقال بذور الحضارة العربية إلى أوروبا وتخلف العالم الإسلامي الذي انهكته الحروب المتتالية ومقتل خيرة شبابه وزهرة بناة حضارته وذلك ما اعترف به كتاب الغرب انفسهم . إذن فلنتعاون معا لأن الغرب أقرب الينا بايمانه بالله وبايمانه برسل الله وبايمانه بالحرية وبالانسان ، نتعاون معا بأن نتعلم من الغرب فنون الصناعة والانتاج والزراعة الحديثة والاستثمار والحاسبات الالكترونية ، ولتتعلم منا أيها الغرب الانسانية والاخاء ومعرفة الله والعالم وتتعلم منا الحب حب الله خالق كل شيء حب الانسان اخيك على الأرض مهما اختلف لونه وشكله وزيه ودرجة حضارته وتقدمه وحب الحياة وأعمار الأرض لتتحقق إرادة الله في خلقه لهذا الانسان ومن ثم لننطلق معا في تحسين الحياة الأرضية في انتشال جميع البشر من البؤس والجوع والتشرد والحرمان وللتعاون على استثمار خيرات الأرض لصالح جميع سكان الأرض ولتحقيق الأمن والامان من الظلم والطغيان والحروب والاستغلال وفي تحقيق حرية الانسان في أن يعرف نفسه ويعرف عالمه ويعرف ربه بدون كبت أو سجون أو معتقلات ، أيضاً ننطلق لنحاول معا الاتصال بخلق الله في فضائه الرحب كما قال تعالى ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ ٤٢ ـ ٢٩ ويشاء الله جمعنا مع ما بث في السموات عندما نشاء نحن ونستعد لذلك ونهيء وسائل تحقيق هذا الاتصال ولكن بعد أن نحل عقدنا ومشاكلنا وتفككنا على الأرض ، إذ كيف نستطيع أن نسمي حالتنا الآن

حضارة ولدى دولنا الكبرى المتقدمة المتحضرة مخزون من الأسلحة والقنابل المدمرة ما تستطيع قتل جميع من في الأرض ست مرات .

١ ـ وقد بدأت بوادر هذا اللقاء والتعاون على ثلاثة اتجاهات :

ايمان كثير من ابناء الغرب بالاسلام على الرغم من تخلف المسلمين وتقدم الغربيين وبدون أي مجهود مركز من ابناء المسلمين ، فلقد وصل الغربيون عن طريق حبهم للمعرفة والاطلاع وتوفر الكتب والمراجع والجامعات كمراكز علم وتنوير وانتهاء العصبية المتخلفة التي تحجب العقل السليم عن البحث العلمي النزيه وبسبب ايضاً فراغ حياة الغربي الروحية والقلبية ووجود المنهج العقلي السليم في البحث العلمي كل ذلك أدى بكثير من الغربيين إلى اكتشاف الاسلام والايمان به والدعوة إليه ، ففي اليابان أشهر الوزير الياباني السابق للبريد والمواصلات اسلامه في ١٧ / ١٢ / ٧٨ وتسمى باسم محمد كوميامًا وهو أول شخصية سياسية بارزة في اليابان يعتنق الدين الحنيف ويشغل حاليا منصبين مهمين في اليابان في الحزب الديمقراطي الليبرالي الحاكم هما رئيس مجلس ابحاث النقد ورئيس وكالة العلوم والتكنولوجيا وقال في حديث مع صحافي عربي[١] لقد ترسخ لدي الاعتقاد بأن الإسلام هو دين الإنسانية بأجمعها وربع سكان العالم اليوم هم مسلمون وقد أردت مشاركتهم ويرجع الفضل في إسلامي إلى البروفسور الحاج شوقي فوتاكي رئيس المؤتمر الاسلامي الياباني وصديقي الذي يكرس وقته لخدمة المرضى والمراجعين في مستشفاه في حي شنجيكو بطوكيو وفي نشر الدعوة الاسلامية على مدار السنة بدون يوم اجازة واحد وقد بلغ عدد الذين اعتنقوا الإسلام على يده

---

(١) جريدة القبس الكويتية : أول سياسي ياباني اعتنق الإسلام ، محمد كومباما العدد ٢٣٨٠ ـ ١٩٧٩/١/٨ .

اكثر من (٢٥) ألف ياباني في غضون السنوات الخمس الاخيرة وقرأت القرآن الكريم المترجم إلى اللغة اليابانية من قبل الحاج عمر ميتا مسلم ياباني ، وأن القرن الحادي والعشرين الذي نطل عليه هو قرن الدين حتما وهذا يعني تنمية القيم الروحية بعد مراجعة الحضارة المادية والإسلام هو دين الانسانية باجمعها وهو دين القرن العشرين فإن المليار مسلم سوف يتضاعفون وسيدخل الإسلام ملايين كثيرة وأنا مؤمن بالتضامن الإسلامي العالمي .

وفي فرنسا دخل كثير من الفرنسيين في الإسلام يتوافدون على البلاد العربية للغوص في علوم الاسلام والتعرف عليه بشكل اعمق من الاطلاع النظري من الكتب والمراجع ، وفي اميركا نفسها يقبل كثيرمن الاميركيين البيض والافارقة على اعتناق الاسلام وتبنيه كدين شخصي والدعوة له وينتشر الإسلام أيضاً ويكتسب مؤمنين جددا في قارة أفريقية وفي جميع أنحاء العالم .

٢ ـ اعتراف الفاتيكان نفسه والحركة المسيحية بالإسلام دينا سماويا وبمحمد رسولاً نبياً[١]

(بلغة هذا الزمان فإن ما حدث في قرطبة كان بمثابة اعلان لفض الاشتباك بين المسيحية والإسلام وتوقيع لاهوتي بالأحرف الأولى على نبوة محمد يحدث لأول مرة منذ قرون ويفتح الباب لمرحلة وفاق من نوع آخر بين الديانتين الأعظم جرى هذا كله على مدى اسبوع حافل بالمفاجآت والمعاناة والاثارة تحولت خلاله قاعة بلدية قرطبة الى كرسي اعتراف كبير

---

(١) فهمي هويدي : « لأول مرة منذ قرون علماء اللاهوت يدافعون عن محمد ويعترفون بنبوته في المؤتمر الاسلامي المسيحي في قرطبة » مجلة العربي الكويتية العدد ٢٢٣ ، حزيران / يونيو ١٩٧٧

جلس الجميع فوقه وقالوا شهادتهم ثم انفض المؤتمر الإسلامي المسيحي الثاني ليعود إلى جولة جديدة بعد عامين ، خلال الأسبوع الأخير من شهر نيسان ١٩٧٧ التقى في عاصمة الاندلس فريق من رجال اللاهوت والمثقفين المسيحيين مع فريق آخر من المفكرين والعلماء المسلمين ليشاركوا في محاولة فريدة من نوعها تستهدف تقييم النبيين محمد وعيسى من وجهة نظر كل فريق ، لماذا اختاروا هذا الموضوع بالذات لأن شخصية النبي محمد مقدمة إلى العالم المسيحي بصورةمشوهةإلى حد كبير حولها نسجت الكثير من الافتراءات والأكاذيب والخرافات التي نشأت كلها من الفكر المتعصب الذي ساد الغرب منذ بدأ الإسلام يدخل أوروبا وكانت هذه الافتراءات إحدى وسائل تعبئة الجماهير ضد المد الإسلامي ، إن الكلام الذي قيل في المؤتمر الثاني يعد نقطة تحول كبيرة في الفكر المسيحي والنظرة المسيحية إلى النبي محمد يكفي أن يقف رجال اللاهوت بكل ما يمثلونه من وزن ديني وفكري ليعترفوا بنبؤة محمد وبدوره الهائل في تاريخ الإنسان ، وقال مقرر المؤتمر لقد كلفنا فريقا من الباحثين بدراسة ٢٥٠ كتابا يتداوله التلاميذ في مختلف مراحل التعليم باسبانيا وطلبنا منهم حصر العبارات والوقائع التي تقدم الإسلام ونبيه بصورة مشوهة إلى التلميذ تمهيدا لتصحيح تلك الوقائع واستبعاد كل ما هو مختلق ومكذوب منها .

وجاء في قرارات مجمع الفاتيكان الثاني الذي استمر ثلاث سنوات من ٦١ حتى ٦٤ « ان الكنيسة تنظر أيضاً بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحي القيوم الرحيم القادر على كل شيء خالق السماء والأرض الذي كلم الناس والذي يخضعون لأوامره الغيبية بقلوب راضية كما خضع له إبراهيم الذي يحتل مكانة خاصة في العقيدة الإسلامية انهم يعظمون المسيح كنبي وإن كانوا لا يعترفون به كإله يحترمون أمه البتول مريم واحيانا يذكرونها بكل تقوى ثم انهم يرتجون اليوم الآخر يوم يجزي

الله جميع الناس بعد البعث وهم بالتالي يقدرون الحياة الاخلاقية ويعبدون الله خاصة بالصلاة والزكاة والصيام وإذا نشأت عبر القرون خلافات وعداوات غير قليلة بين المسلمين والمسيحيين فإن المجمع الفاتيكاني المقدس يدعو الجميع إلى نسيان الماضي ومحاولة التفاهم المتبادل الصادق والعمل المشترك لنصرة وتأكيد العدالة الاجتماعية والقيم الاخلاقية والسلم والحرية لجميع الناس » .

سجل الكاردينال انريكي ترانكون رئيس اساقفة اسبانيا الذي بدأ كلمته بذكر اسم الله الرحمن الرحيم واسم سيدنا المسيح قال إن شهادة عيسى المسيحية تنطلق من الإيمان بوحدة الله آمنا بالله وحده هذا ما نعلنه بكل قوة مع اخواننا المسلمين وكاتباع المسيح نؤمن بالله الأحد المنزه خالق السماء والأرض المثيب الرحيم الغفار وفي استطاعتنا أن نتبنى كل اسماء الله الحسنى التي يطلقها المسلمون على الله الواحد آله إبراهيم واسحاق ويعقوب وعيسى ومحمد والمسلمين . .

قدم أحد كبار رجال اللاهوت الاسبان هو الدكتور ميجيل كروت ايرناندث بحثا رد فيه على بعض الأفكار السائدة فقال : « إن نصوص التوراة والاناجيل لا تشير إلى أن طريق النبـوة قد أغلق بنبوة يعقوب ولا بنبوة عيسى ، وان بعض العبرانيين كانوا يرفضون عملياً احتمالات مجيء انبياء جدد بعد يعقوب وليذكر الجميع أن عيسى الناصري اتهم وحوكم باعتبار أنه كافر وليس باعتباره نبياً ، إن كل الدلائل التاريخية والاجتماعية بل وحتى من وجهة النظر الدينية المسيحية فإن محمدا يعد نبياً حقيقياً وأشار الدكتور ايرناندث إلى أنه نشر دراسة في سنة ١٩٦٨ تؤكد هذه الحقيقة وبعد هذه الشهادة ملأ الدكتور ايرناندث ٦ صفحات في فضائل النبي محمد الاجتماعية والسياسية (القدرة على تحليل بناء مجتمع شبه الجزيرة العربية الحكمة السياسية ورجل للدولة المقدرة غير العادية على

تحريك الجماهير ، ثم فضائل النبي الشخصية (الجلد ، الاعتدال ، الحكمة ، العدالة) ثم فضائله اللاهوتية بالتعبير المسيحي الشائع العقيدة والأمل والمحبة) .

إن هدف الحوار كله هو تعميق الفهم وتبديد المخاوف واقتلاع جذور الحساسية والرفض لتمتد جسور المودة والتعاون بين بني الانسان مهما اختلفت مواقفهم المذهبية والعقيدية ، وهناك واقع آخر يفرض ضرورة الحوار بين الإسلام والمسيحية طرحه أمام المؤتمر الدكتور اجنايفوا نايت استاذ تاريخ الثقافة بجامعة مدريد مصحوبا بخريطة احصائية دقيقة فقال : « إن الإسلام هو اكبر قوة حية اليوم وهو الذي يدفع تيارات العالم الثالث ، إذ أنه ينتشر أساسا في ٤٢ دولة من خلال ٧٢ مذهبا تتفرع عنه ، إن ربع سكان الكرة الأرضية الآن (ألف مليون) ينتمون إلى الإسلام والربع الآخر يعتنق المسيحية والربع الثالث موزع بين الهندوكية والبوذية واليهودية والمجوسية والربع الأخير يعتنق الشيوعية أي أن الشيوعية انتقلت خلال ١٠٠ سنة من لا شيء إلى السيطرة على ربع الكرة الأرضيةوينتهي هذا العرض إلى أن الشيوعية تتقدم فقط في الدول المسيحية والبوذية ولما كانت اليهودية والهندوكية والمجوسية ديانات محلية لم تتأثر كثيراً بالمد الماركسي فإن الإسلام يصبح الدين الوحيد الذي يتقدم ولا يتراجع خصوصا وأن هذا الدين الإسلامي قادر على مواجهة الشيوعية والرأسمالية في آن واحد وفي أفريقيا نجد الآن أن هناك شخصا واحدا يعتنق المسيحية مقابل شخصين يعتنقان الإسلام ثم يصل إلى هدفه عندما يقول أن هناك خطرا ماثلا يهدد العقيدة الجامعة (يعني الإيمان بالله) وهو واقع يجب أن يتنبه إليه الجميع ويتكاتفوا من أجل صده بالحوار والتعاون الدائمين . .) .

ومن ذلك أيضاً المهرجان العالمي الإسلامي الذي عقد في لندن عام

١٩٧٦ وفي تحقيق حول هذا المؤتمر العالمي يمكننا مطالعة ما يلي[١] :

(مع بداية الربيع ونسماته عاشت بريطانيا وعاصمتها لندن على مدى الشهور الثلاثة الماضية في مهرجان العالم الاسلامي اهم حدث ثقافي عالمي حتى اننا نستطيع أن نقول وبلا مبالغة ان عام ١٩٧٦ هو عام الحضارة الاسلامية بكل فنونها وعلومها وزخمها وتراثها وعطائها الانساني العظيم لقد فتحت لندن كل متاحفها تعرض الروائع الإسلامية التي جاؤ وا بها من شتى أنحاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي اتت هذه الكنوز الثمينة من بلادها في الشرق وكأنما حملت معها شمسه فانقشعت السحب من سماء لندن وانقشعت معها الصورة القاتمة للعالم الإسلامي في عيون الأوروبيين صورة ذلك العالم القديم المليء بالاسرار والأساطير ومجتمع الحريم وحكايا ألف ليلة وليلة عالم السلاطين والعبيد والظلم والقهر فقد كان هذا هو الشرق والإسلام في خيال الأوروبي ، فقد فتحوا عيونهم فجأة مع الربيع على عروض المهرجان الإسلامي وعرفوا كيف قدم هذا العالم للانسانية حضارة عريقة اثرت حياتهم واضافت اليها الكثير ، حضارة اشرقت وابدعت وابتكرت حينما كانوا هم في سبات العصور الوسطى لقد ظلت أنظار تسعة ملايين نسمة هم سكان لندن المدينة العملاقة وزوارها ولمدة ثلاثة شهور متواصلة مشدودة شدا إلى لوحات الاعلانات الملونة ذات الزخارف العربية الإسلامية تدعوهم لزيارة المتاحف والمعارض والمكتبات التي عرضت فيها منجزات عالم الإسلام وكنوزه الحضارية .

بالأمس قال بعض المنصفين فضل العلماء العرب والمسلمين على

---

(١) محمد حسني زكي : حضارة الاسلام في بلاد الضباب ، استطلاع مجلة العربي الكويتية في عددها رقم ٢١٢ ، تاريخ : تموز / يوليو ١٩٧٦ .

الغرب فضل لا ينكر بالأمس قالوها وذكروها في كتبهم العلمية ولأول مرة نقف وجهاً لوجه مع ألوف الزائرين الذين جاؤ وا مثلنا ليشاهدوا منجزات الحضارة الاسلامية في مجال العلوم وتطوير أدوات الحياةوخصصت خمس قاعات تحمل العناوين التالية (١) الانطلاقة (٢) ملكوت السماء (٣) الأرض (٤) الحياة (٥) التكنولوجيا . وأقاموا عند المدخل بوابة كبيرة على الطراز الاسلامي تؤدي إلى قاعة صغيرة وتقع عيناك أول ما تدخل على كتاب الله داخل صندوق اسطواني من البلور يسقط عليه أو يخرج منه شعاع مضيء وهو مخطوط من العصر المملوكي كتب بالخط الكوفي المذهب ونقرأ الآية الكريمة ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾ ٣٩ ـ ٩ وبجوارها ترجمة لمعانيها بالانجليزية ارتبط العلم في الإسلام إذا بالدين الذي يحث الناس على الثقافة وطلب المعرفة والمعرفة تشمل العلوم الدينية والدنيوية وذلك في ضوء تعاليم القرآن الكريم ﴿ **وقل ربي زدني علما** ﴾ وقد حثت الأحاديث الشريفة على طلب العلم. طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وقد علقت لوحات تبين هذا المعنى وبجوارها علقت اربع خرائط فوسفورية تبين الأولى انتشار الأسلام في العالم وتوضح الثانية المناطق التي تتحدث اللغة العربية والثالثة تبين كمية الأمطار والانهار في العالم الإسلامي أما الرابعة فتوضح طرق المواصلات بين البلاد الإسلامية ، لقد كان للعلماء المسلمين صولات وجولات في مختلف فروع العلم والمعرفة وشملت ابحاثهم الطب والرياضيات والموسيقى والفلك وازدهرت العلوم الإسلاميةوالكيمياءوالجغرافيا والفيزياء والبصريات وذلك في القرون التاسع والعاشر والحادي عشر وهكذا ساهمت انجازاتهم العلمية في تقدم العلم في الغرب ، متى واين بدأ المسلمون علومهم حتى هذه لم تفت القائمين على المهرجان لقد كانت المساجد كما نعلم هي المكان الذي تتلمذ فيه المسلم الباحث عن العلم

والمعرفة والجامع الأزهر كان أول جامعة انشئت بالمفهوم الحديث (٣٥٠هـ - ٩٧٠ م) وقد عرضت صورتان كبيرتان واحدة للجامع الأزهر والأخرى للمدرسة المستنصرية بعد ترميمها كنموذجين للمدارس الإسلامية .

ووقفنا أمام صفحة أخرى مشرقة للعلماء المسلمين في مجال الرياضيات هي قصة أبي عبد الله الخوارزمي الذي كان أول من استعمل كلمة الجبر مؤلف كتاب حساب الجبر والمقابلة القرن (٣هـ - ٩ م) وقد ترجم كتابه إلى اللاتينية وعرضت النسخة المترجمة في المعرض وبجانب الخوارزمي شاهدنا صورة اخرى مشرقة أيضاً لعمر الخيام الذي فاقت شهرته العلمية شهرته الأدبية وعرض له مخطوط من القرن السابع بعنوان الجبر لعمر الخيام .

كما اهتم المسلمون بفلاحة الأراضي وريها وقد أقاموا السدود والآبار العميقة والقنوات الجوفية لتجنب فقدان الماء بالتبخر ويضم المعرض نموذجا من وسائل الري استخدمت في بغداد في القرن الرابع الهجري (١٠ م) كما عرض نموذج لمقياس النيل عند الروضة في وقت الفيضان استعمل في عهد الخليفة المتوكل وعرض نموذج آخر لآلة لرفع الماء صنعت حسب مواصفات المخترع المسلم الجازري ، التي شرحها في كتاب في معرفة الحيل الهندسية وقد اخترع عدة آلاف واجهزة وعرضت له آلة لقياس كمية الدم التي تؤخذ من المريض أما اختراعه الذي حاز اعجاب المشاهدين وبهرهم فهو الساعة الدقاقة وهي ساعة مائية تحدد الوقت وتقدم إشارات تقوم بأدائها دمى لدوران دائرة البروج وتعاقب الشمس والقمر في مدارهما الفلكي ويضم المعرض عدة نماذج لمصنوعات النسيج الفاخر والبلور الصافي والورق الناعم وقد نقل الأوروبيون صناعة الورق عن المسلمين ، ولم يقتصر عرض هذه المنجزات العلمية على النماذج

والمخطوطات فقد اقيمت عروض سينمائية تبين وتشرح كثيرا من طرق الزراعة في الأقاليم الإسلامية وطرق العلاج الطبية وصورا للعمليات الجراحية منقولة من المخطوطات وقد صاحبت هذه العروض تعليقات مبسطة ومعزوفات من القطع الموسيقية الشرقية كل هذه الانجازات العلمية الباهرة عرضت وسط قاعات زينت جدرانها بالزخارف الإسلاميةوالنقوش العربية . .) .

ومن ذلك الكتاب الهام الصادر عن الفاتيكان تعريفا بالإسلام وتعليما للمسيحي كيف يعامل المسلم وكيف يفهم دينه عام ١٩٧٥ وهذا نصه مع مقدمته[١] والكتاب بعنوان (ارشادات وتوجيهات من أجل حوار بين المسيحيين والمسلمين) .

(نقدم في هذا الكراس الارشادات التي من شأنها أن توحي وتقود العلاقات بين مسيحيين ومسلمين ونحن مدينون بهذه الدراسة إلى الأب جوزف كوبوك والسيد لويس غارديه وقد تعاونا فيها مع مجموعة مستشارين ومراسلين من أصحاب الخبرة والشكر هنا لجميع الذين حققوا هذه الدراسة التي نؤمن جداً بأنها ستهيّىء لود عميق بين مسلمين ومسيحيين . وهذه الدراسة من غير شك والذين اعدوها يعون ذلك جيداً ليست سوى مجرد خطوة أولى ولنا الأمل بأن تأتي ملاحظات أخرى فيما بعد لتسمح بالتقدم في حوار إسلامي مسيحي أكثر وضوحاً وكذلك أكثر شمولاً . ومهمة الملاحظة هي إذن للمتابعة ولسوف تكون دقيقة جداً وذات نفس طويل انها ليست منوطة بالديوان وحده ولا بالمسيحيين وحدهم بل هي مهمة مشتركة بين لاهوتيين وفلاسفة وخبراء في الحوار على جميع المستويات مسيحيين

---

(١) اعتراف من الفاتيكان بأن المسيحيين اخطأوا بحق المسلمين . مجلة الحوادث العدد ٩٦٠ تاريخ ٤/٤/٩٧٥ .

ومسلمين بحيث يتعين علينا أن نفكر ونعمل من أجل بناء مجتمع دولي إنساني يشعر فيه كل أمرىء بأنه مفهوم من الآخرين ومحترم ومحبوب .

وإذ نتوجه هنا بصورة خاصة إلى المسيحيين لا يسعنا إلا أن نتمنى بأن تمهد قراءة هذه الصفحات لحوار مع الديوان حتى نصل معا إلى تنقية نظرتنا إلى عالم الإسلام وبذلك نتهيأ لحوار حقيقي مع المسلمين في إطار الاخلاص للحقيقة والصداقة الأكثر تحررا من كل هوى . بول كارديناال ماريلا رئيس ديوان الشؤ ون غير المسيحية » ونص الكتاب

الجزء الأول

موقف المسيحيين من الحوار

إن كلمة حوار قد تتسبب في اثارة اشكال من سوء الفهم ، أكثر الأحيان نحصرها في تبادل كلمات بين خبراء منصرفين إلى حوار حول موضوع محدد يحتاج للتوضيح والحوار الذي نتصوره هنا نغطي حقلاً أكثر اتساعاً إنه يتضمن أكثر اللقاءات تواضعاً حول المواضيع الأكثر تداولاً في الحياة اليومية كذلك حول تبادل الرأي على الصعيدين العلمي والثقافي وميزة الحوار ليست في الموضوع بحد ذاته ، ولكن في طريقة استقبال الطرف الآخر من خلال الموضوع ويحدث أحياناً أن يكون حوار بين رفيقين في ورشة يتصافحان افضل من أن يكون حوار بين عالمين مأخوذين بالمناقشة . ولذلك فإن كل انسان مهما كان ترتيبه الاجتماعي ومستواه الثقافي مدعو إلى الحوار ويتعين باستمرار أن تكون في ذهن المرء هذه الفكرة التي تعتمد عليها هذه الصفحات وخصوصاً إذا شت الفكر عن ظروف الواقع اليومي بسبب الامعان في التحليل . من اجل ذلك يغيب الحوار اكثر في المشاكل القديمة التي كانت تشغل اجدادنا ويتعين علينا أن

نعرفهم لنفهم الآثار التي تركوها في أنفسنا وفي الآخرين مما يغيب في المشاكل الجديدة التي تعالجها صيغة مشكوك فيها ومختلفة عن الماضي ، موضوعنا إذن هو الانسان كما هو اليوم وكمـا يشتهي أن يكون . هذا الحضور الكامل عند الآخرين يتضمن قبل كل شيء ارادة الحياة مع الآخرين وارادة أن نكون نفسياً من عالمهم مع الاحتفاظ بالأمانة للنفس وللايمان كل واحد يحقق تبعاً لطاقاته هذا التكامل مع عالم الآخرين أي معرفة اللغات والثقافات الماضي والحاضر والظروف الحالية للمعيشة والآمال من اجل الغد .

هذا الموقف هو قضية جوهرية فحتى الآن وفي أكثر الأحيان لم يجن المسلمون من العالم المسيحي ـ ويجب أن نقول ذلك بشجاعة ـ سوى القليل من المشاركة الوجدانية قليلون هم الذين أبدوا اهتماماً بهم صحيح أنَّ الرهبان والراهبات عن طريق أعمال التعليم والمساعدة أظهروا لهم المزيد من الاهتمام لكن جهدهم ظل بالنسبة لامتداد الحاجات مجرد عمل جزئي والغربيون مهتمون بالشؤون الاسلامية ومستشرقون كانوا غالبا في الماضي أكثر اهتماماً بموضوع دراساتهم من الأشخاص انفسهم وهذا ما يأخذه عليهم المسلمون في أيامنا والغربيون كذلك قد تعرف اليهم المسلمون وحكموا عليهم حتى الآن في كثير من الأحيان من خلال بنيتهم الاستعمارية . وباختصار يمكن الجزم بكل تأكيد بأن المسيحيين لم يحققوا في مجموعهم هذا الشرط الأساسي ، بأن يكونوا حاضرين في عالم الاسلام كما هو على حقيقته ، وما دام هذا الجهد لم يبذل فلن يكون هناك على المدى الطويل أي حوار ممكن فكيف السبيل إلى تحقيق هذا الحضور في العالم الاسلامي على اساس مواقفنا .

بعض المواقف التطبيقية :

١ ـ استقبال الفريق الآخر :

لقد كان بين مسلمين ومسيحيين في غالب الأحيان ما عدا بعض اجزاء العالم الاسلامي الأكثر عزلة عن الغرب المسيحي ماض من المقاومة والصراع مؤلم جداً وكان المجتمعان في أكثر الأحيان منطويين على نفسيهما ووضع مثل هذا لا يسمح بالحوار ولا بد من الوصول إلى تجاوزه . وعلينا نحن المسيحيين تتوقف مسألة القيام بالخطوة الأولى من غير أن نحاول معرفة ما اذا كان ذلك منطقياً أمام الحكمة الانسانية ينبغي أن نقود بكل جرأة انطلاقة أمل لاهوتي نحو الحياة والمستقبل مواظبين على هذا الاتجاه مهما كان الوقت الذي نحتاجه لذلك . من هنا يبدو استقبال الطرف الآخر اساس البحث الرئيسي والمحدد ومعرفة استقبال الطرف الآخر لا تعني فقط الترحيب بالضيف العابر الذي يدق على بابنا إنها نادرة تهذيب تمهيدية يكون لها وقع في المجتمعات الاسلامية حيث تعتبر الضيافة فضيلة تجري ممارستها بلباقة متناهية وأصالة ممتدة الجذور ، من أوسع المصادر الدينية والاستعداد لاستقبال الطرف الآخر يعني كذلك ، قبول الطرف الآخر كما هو بثقافته وتاريخه ومشاعره ونياته الفكرية . وفي ذلك يمكن الذهاب بعيداً إنه ليس مجرد مسألة توافق أي بشكل آخر أن نكون خارج انفسنا ويجد الآخر مع البقاء كما نحن .

ليس هناك حوار حقيقي من غير حد أدنى من الترحيب والمشاركة الوجدانية .

٢ ـ قبول المسلم كما يريد أن يكون :

لا يكفي أن يكون هناك قلب من غير روح ويتعين أن يخضع لقيادة الذكاء فلا يمكن استقبال الطرف الآخر إلا في حدود معرفتنا له . أولى مهمات المسيحي ستكون اذن محاولة معرفة شريكه المسلم لا كما هو

فحسب بل كما يريد لنفسه أن يكون وهذه المعرفة يجب ألا تكون معرفة عالم الاجتماع بما فيها من برودة وجفاف . بل يتعين أن تكون معرفة الصديق الذي يحاول أن يعرف ويجد ما عند صديقه من شيء أفضل . بالنسبة للبعض منا يمكن لذلك أن يعني انقلاباً كاملاً في مواقفه والحوار بالنتيجة يفرض علينا نظرة للغزو أو محاور يجب دفعه إلى الكلام بل النظرة إلى رفيق نقتسم وإياه في جو مساواة أخوية أفضل ما في وجودنا المشترك ينبغي علينا أن نكون في موقع الذي يؤدي الخدمات فحتى نفهم الفريق الآخر كان المستشرق لويس ماسينيون يقول : يجب ألا نضمه إلينا بل يجب أن نكون ضيوفاً عليه . وحتى نصل إلى هذا الهدف يتعين أن يتعرف كل منا إلى الآخر ، ومن هنا بالنسبة الينا تنبع الأهمية الكبرى لمعرفة ثقافة محاورينا ومحيطهم الاجتماعي والثقافي وتاريخهم ومسراتهم وآلامهم . وقد يتاح للبعض منا أفضلية الذهاب بعيداً في هذه المعرفة سواء عن طريق مؤلفات الحقوق والفلسفة واللاهوت التي تناولت النفس الاسلامية أم عن طريق دراسة اللغة التي تكشف كثيراً عن طرق التفكير كما أن الآخرين قادرون على اكتساب المعرفة التطبيقية والاخبارية للبيئة من خلال العلاقات اليومية والاحداث المعاشة والمهم لأولئك ولهؤلاء أن يكتشفوا الانسان كما يعيش وكما يشتهي أن يكون ومعرفة الماضي هنا أقل أهمية من معرفة ذلك الانسان المتجه إلى المستقبل مثلنا أملاً بالحصول على المزيد من العدالة اوالحقيقة والمحبة ذلك الانسان بالتحديد هو الذي يتعين معرفته لأنه هو وهو بالذات المهيأ ليكون طرفاً لحوار صادق حقيقي . أين نحن شخصياً وجماعياً من هذا الموقف إزاء المسلمين ؟ من المهم جداً أن نطرح هذا السؤال فمراجعة الحياة على مستوانا نحن قد تساهم في كشف العديد من حالات التقصير ومن خلال الموقع الذي نحن فيه اليوم وتقريباً في كل مكان يتبدى لنا أن مهمتنا الأولى ليست اقناع المسلمين بأن يدخلوا معنا في

حوار لأن الحوار كالصداقة لا ينشأ إذاً تحت الضغط أو وسائل النصح بل ينطلق قبل كل شيء من تغيير تدريجي لذهنية اخواننا المسيحيين . هذا هو المهم في الدرجة الأولى ، وكما أن المهمة واسعة كذلك هي طويلة النفس ، سنجد الفرصة من غير شك للعودة إلى تفصيل أهمية اعادة النظر في ذهنياتنا وافكارنا عن الاسلام والمسلمين ولكن دعونا نكتفي الآن بالاشارة إلى أهمية هذا التحول بالنسبة لمن يريد أن يلتقي عند شريكه المسلم صورة الانسان كما هو لا الصورة المتخلفة المتوارثة عن الماضي أو المعرضة للتشويه بفعل الأحكام السابقة أو الوشايات .

٣ ـ تحضير النفس لدراسة جدية :

يتعين أولاً الوصول إلى معرفة كافية للغة أو اللغات ومعرفة كافية على الأقل للثقافة الاسلامية بقيمها الروحية والجماعية وتاريخها ومشاكلها المعاصرة والاكتفاء ببعض الافكار الدخيلة (وغالباً ما تكون غير صحيحة بالمرة) على الرؤ ية للاسلام من شأنه أن يؤدي إلى مأزق وكم يؤلمنا نحن عندما نرى مسلماً سليم النية ينطوي على فكرة عن المسيحية لا نعترف بها أبداً . وهذه الشكوى عند المسلم من أن العقل الأوروبي يخطىء في معرفته وفهمه إنما ينزعج منها إلى أقصى حد ، وليس هناك شيء كهذا يمكن أن يعقد الحوار ويؤدي به إلى مناقشة عقيمة لنعرف إذن لا كيف نصغي إلى التفسيرات التي تعطى لنا في نطاق الايمان فحسب بل كيف نرى بأم أعيننا ما كانت عليه الثقافات والحضارات الاسلامية عبر السنين . علينا اذن أن نعرف كيف نصغي وكيف نختار موقعنا ، وهذا لا يمكن أن يتيسر إلا إذا بذلنا الجهد للمعرفة ولدراسة هذه القيم بكل تقدير ومعها ذلك الماضي الذي يزهو به المسلم وهنا ليس مطلوباً أن نتوجه فقط بأفكارنا إلى المبشر أو الراهب أو الراهبة أو المناضل من أجل علمانيته الذين يعيشون الانجيل في أوساط المسلمين على أساس الحب الذي يكنه لهم يسوع ،

بل نتوجه بهذه الأفكار كذلك إلى كل مسيحي كائناً من كان ، تجعله مهماته الزمنية على صلة مستمرة بالعالم الاسلامي بدون معرفة على الاقل كافية لا يمكن له أن يحس بالاحترام المطلوب وبدون احترام لا يمكن ان يعيش المشاركة الوجدانية .

٤ ـ معرفة الأخذ من الآخر :

عندما انشىء علاقات مع الآخرين فأنا لا آتي أولاً لأعطي بل لآخذ ولا لأعلم بل لأتعلم لا لأتكلم بل لأصغي وأفهم ، . في الواقع يشق علينا بفعل العظمة التي نعيشها أن نعتبر الآخرين معلمين لنا لكن الموقف يحتاج إلى تواضع فكل الأديان عندها شيء تقوله لنا وتعبئنا به ، كلها تدعونا إلى إعادة التفكير في التعبير عن ايماننا وفق صيغ جديدة تقودنا إلى اكتشاف الرؤى الكائنة في الظل والمعزولة إلى حد بعيد عن حياتنا اليومية . فهل عند الاسلام ما يساعدنا مثلاً على تنقية ايماننا من المفاهيم التي لعبت فيها صفات تشبيه الخالق بالانسان دوراً في التعتيم على أسرار الألوهية السامية ، وفي اكتساب ادراك للحضور الالهي العاجل في حياتنا أكثر نبضاً وفي احياء حس العبادة أو الاستسلام إلى المشيئة الالهية داخل اعماقنا ؟ هذه الثروات الروحية هي نتاج اللقاء مع الآخرين في جو من المشاركة الوجدانية التي يفرزها الود بقدر ما يفرزها الاحترام . وهي لا يمكن أن تتكامل إلا إذا تبادلنا التقدير وآمنا بأن المسلم قادر على الاقتراب من الله بالصلاة . من منكم إذا سأل الرب رغيفاً أعطاه حجراً؟ والرغيف الموهوب مجاناً كما للمسلم كذلك للمسيحي وجد ليقتسم . ذات يوم قال عربي مسيحي وباللغة العربية : لست أنا من يملك الحقيقة إنما الحقيقة تملكني .

ليس في مرادنا أن نبحث في هذا الموضوع من زاوية لاهوتية وإنما

من خلال مظهرة المحسوس التاريخي وعلى مستوى الثقافة الدينية ، ويتعين علينا منذ الآن أن نفهم الاسلام من خلال هذا المنظار كدين حافل بالقيم الممعنة في السمو والجلالة : عبادة الله التسبيح بحمده ، الانصياع لمشيئته . إن الكنيسة الكاثوليكية ـ كما أعلن المجمع الفاتيكاني الثاني ـ لا تترك شيئاً مما هو حق ورائع في الأديان : إنها تكن كل تقدير صادق لوسائل العمل والعيش والأنظمة والعقائد التي وإن كانت تختلف معها في كثير من النقاط لا بد وأن تحمل معها غالباً شعاعاً من الحقيقة يشرق على كل البشر .

وهذا المفهوم من الاحترام يجب ألا يبحث على الانتهازية ، ولا على الصداقة التي يمكن أن تربطنا بهذا وذاك ، بل على التسليم بأن الاسلام بشكل محسوس وفي موقف محدد هو عون للبشر على أن يقتربوا من الله وعلينا أن نحترم معتقدات البشر الذين يعتبرون أنه ليس هناك طرق اخرى للوصول إلى الله إن الاديان بالنسبة لأي مسيحي ليس لها قيمة دينية إلا إذا كانت سائرة إلى تحقيق التنظيم الالهي لحياة البشر .

على أن هذا الموقف الذي ندعو إليه في الحوار لن يلغي نقاط عدم التفاهم فثمة سلبية ثقيلة في العلاقات بين مسيحيين ومسلمين لا يمكن تذويبها إلا مع الزمن وعن طريق استلطاف منزه عن الهوى يأخذ فيه المسيحيون زمام المبادرة تجاه المسلمين ويبقى في النهاية رغم كل شيء أن الحوار الديني أو الروحي مغامرة يجب أن نعد لها العدة سواء من الوجهة المسيحية أم الوجهة الاسلامية فالحوار تقشف قاس إنه يطهرنا حتى في نوايانا أنه أولاً معركة شد أنفسنا وشد خلافاتنا الخاصة في الرأي وضد آرائنا المسبقة .

والمهم بعد ذلك هو اعطاء الدليل على التجدد في حوارنا مع

الآخرين يجب أن نقتنع بأن الثقة تجر الثقة وبأن التجديد سيكون معدياً . من هنا فإن العمل سيكون غالباً طويل النفس بحيث يفرض استقامة الذكاء وكثيراً من المحبة ويفرض أيضاً كثيراً من التواضع .

في الأساس يجب أن يكون الحوار تلبية لرغبة المسلمين ، إنهم ينتظرون من جانبنا حواراً في مناخ الود جاء في القرآن (سورة المائدة) ﴿ لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وإنهم لا يستكبرون ﴾ وفي آية أخرى (سورة الحديد) ﴿ وأنزلنا عليهم (اي المسيحيين) الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ﴾.

كلمة واحدة تختصر موقف المسيحي من الحوار هي « المحبة في الحقيقة » وكان القديس غسطين يقول « وحدها الحقيقة تنتصر على الانقسام وانتصار الحقيقة هو المحبة ».

الجزء الثاني
معرفة قيم الاسلام

الاسلام هو دين إنه أيضاً من حيث الشيوع أمة وثقافة وحضارة وسجلوا هذا جيداً : إن الموضوع يتعلق بثقافة وحضارة تدينان بالكثير من غير شك (شأن كل ثقافة وكل حضارة) للاسهام الغربي : الاغريق ، الامبراطورية البيزنطية ، فارس القديمة ، الهند ، وفي أيامنا الغرب المعاصر . هذا مع العلم بأن الانفصال عن الجذور التاريخية يعني أن المرء غير مهيأ لفهم الذهنية الاسلامية في العمق ومهما كانت قوى التأثير فإن في الانجازات الاسلامية الدنيوية المختلفة خصائص يجب أن نعرف كيف نعترف بها . من ذلك تلك الوحدة في المشارب التي يعز على المرء

أن يحيط بها أو يصفها ولكنه يعترف بأنها حقيقة .

خذوا مثالاً من أمثلة كثيرة : باكستاني شاب مجاز في العلوم الطبيعية سافر إلى المغرب في رحلة دراسية بعد أن عاش طوال سنوات في فرنسا التي أحبها فشعر وكأنه قد عاد إلى بيته كان يجهل لغة المغرب وتاريخها من غير شك ، ولم يكن من أصل عربي ، ومع ذلك وجد نفسه قادراً على التكيف بنظام الحياة هناك ، وبطريقة المعيشة والتفكير وكلها تتناغم مع أجوائه الباكستانية لقد عرف الاسلام القديم ظاهرة الاقليمية ودرسها ووحد بين الأعراق المختلفة وبين الفرق الدينية .

والتقسيم الحالي للعالم الاسلامي إلى دول مستقلة (وأحيانا متخاصمة) يقوي بدون شك نزعة الاقليمية ولكنه لا يغير من الوحدة الروحية والزمنية والعلاقات بين الانسان وخالقه . انطلاقاً من هذا المفهوم يعتبر الاسلام خير امة أخرجت للناس ﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ سورة آل عمران ، في هذه الأمة المنظمة يتعين تحقيق ما نسميه « الرغبة في التعايش » مع الاسلام كما قال المستشرق لويس ماسينيون . والأمة هنا ليست اشارة إلى الدولة بالمعنى العصري والقانوني للكلمة فهي يمكن أن تتوافق كما كان الحال في الأزمنة الأولى للاسلام مع معنى امبراطورية واحدة أو امبراطوريتين كما في زمن بغداد وقرطبة أو كما هو زماننا مع مجموعة سلطنات وممالك وجمهوريات والخمسمائة مليون مسلم حاليا موزعون على اعراق وثقافات مختلفة تتعين معرفة كل خصائصها فإذا كان العالم العربي والمستعرب مثلاً يقبض على زعامة العالم الاسلامي فإنما تبقى هناك مجموعات متماسكة جداً لا تنتسب إلى العرق العربي : ١٥٠ مليون مسلم باكستاني وهندي ، و ١٠٠ مليون اندونيسي فضلاً عن حوالي ٦٠ مليوناً في افريقيا السوداء والاسلام الايراني

بمضمونه الديني نفسه يكاد يختلف إلى حد ما عن المذهب الديني العام (اشارة فاتيكانية إلى السنة والشيعة) ولكن مع ذلك تبقى أمة النبي وتتعرف في انصهار روحي وزمني سواء بسواء . ويقول لويس ماسينيون : المسيحية مرتكزة على شخص هو السيد المسيح أما الاسلام فمرتكز على كتاب هو القرآن .

الجزء الثالث

كيف نتحدث عن القرآن

القرآن عند المسلم هو كلام الله ، لذلك فإن المسلم الورع يحيطه بعبادة حقيقية والمسلم غير الملتزم وايمانه مشكوك فيه يحيطه بكل احترام وإنه ليؤلم المسلم كل مسلم ويثيره أن يسمع انساناً من الغرب يردد وهذا شائع جداً . هكذا قال محمد في القرآن ، ففي العقيدة الاسلامية إن واضع القرآن هو الله وليس محمداً والقرآن الذي انزل على النبي على حد تعبير اللغة التقنية العربية عبر عنه ماسينيون بقوله « إنه املاء فوق الطبيعة » وعندما يقرأ المسلم آية قرآنية فإنه يمهد لها بعبارة «قال الله تعالى » وطبيعي ألا ينتظر من محاوره المسيحي أن يقول ذلك لكننا يمكن أن ننصح المسيحي المحاور بأن يقول « قال القرآن » أو ما شابه ذلك .

إن القرآن يقطع باستمرار بالسلطة المطلقة لله الواحد الأحد وحرية الانسان المسؤول عن اعماله فقد جاء في القرآن ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ سورة الصافات وأن الإعلان عن الأديان غير المسيحية يجب أن يساعدنا أيضاً على فهم المسلمين من حيث طاعتهم بكل روحيتهم للمراسم الالهية تماماً كطاعة ابراهيم لخالقه وابراهيم من الأنبياء المعترف بهم في الاسلام .

الجزء الرابع
رسالة الأنبياء

إن القرآن يفرد صفحات طوالاً لأنبياء التوراة بحيث يأتي نبي مكة ليكمل الرسالة . والنصوص القرآنية المتعلقة بالأنبياء إنما تستهدف ثلاثة أمور : إظهار استمرار الرسالة القرآنية مع تراث التوراة وتحذير أهالي مكة من عصيان النبي الذي ارسل إليهم تماماً كما حصل للشعوب القديمة التي دمرت نتيجة لرفضها انبياءها ثم إحاطة المؤمنين بالنماذج كاملة الشخصيات الدينية . ورسالة الأنبياء الوارد ذكرهم في القرآن هي رسالة القرآن نفسها دعوة البشر إلى الايمان بالاله الواحد والخضوع لتعاليمه والاهتداء برسوله .

(ويشرح كتاب الفاتيكان بعد ذلك ، دور كل رسول وفق النصوص القرآنية ويعرض للخلاف في تعريف السيد المسيح فهو في الانجيل ابن الله وفي القرآن نبي الله وكلمة الله وروح من عنده ، ولكن الكتاب نفسه يعود بعد صفحات من الحديث عن تاريخ الاسلام مروراً ببني عثمان إلى الموضوع الأساسي الذي هو الحوار).

الجزء الخامس
كيف نهيء انفسنا للحوار ؟

الحوار بالنسبة الينا شيء رزين تمتد حدوده إلى أعماق ثقافتنا وعقيدتنا وهو ـ ودعونا نقول بلا تردد ـ معركة شد أنفسنا أكثر مما هي مجابهة للفريق الآخر (كلمة مجابهة هنا مأخوذة بمعنى فلسفة الحوار) فما هي اذن العقبات التي تتأذى بها محاولة التفاهم مع الآخرين ؟

قد يكون من نوع الشرح الطويل أن نبرز اللائحة لنقاط الخلاف والأحكام المسبقة والمظالم التي أثارت في الماضي تلك السلبيات بين مسيحيين ومسلمين وما تزال تضغط بثقلها على علاقاتنا بدرجات مختلفة .
إن النص المجمعي (نسبة إلى مجمع الفاتيكان) يطلب من حيث المبدأ أن تتجاوز خلافات الماضي وأن نتحول نحو المستقبل إذا كان هناك عبر القرون ـ يقول النص ـ فتن كثيرة وأحقاد قد نشأت بين المسيحيين والمسلمين فإن المجمع الفاتيكاني يدعو الجميع إلى نسيان الماضي وإلى السعي للتفاهم المتبادل وإلى حماية العدالة الاجتماعية والترويج لها بالنسبة لجميع البشر كذلك القيم الاخلاقية والسلام والحرية » هذه الجملة التي ترددت كثيراً في الصحافة العربية إبان انعقاد المجمع ، أوجدت اهتماماً بالغاً عند المسلمين ورأوا فيها مرحلة جديدة من العلاقات بين المسيحيين وبينهم . ومع ذلك إذا كنا نريد أن يكون نسيان الماضي كما طلب المجمع أمراً واضحاً فإنه من المفيد أن نعرف أهم الأحكام المسبقة ونقاط عدم التفاهم التي تجرها معنا بحركة لا شعورية في أكثر الأحيان ، إنها أمور يجب أن تزول حتى يكون الحوار من جانبنا على الأقل ممكنا وأن تكون مبادرتنا إلى هذا الحوار مقبولة عند المسلمين .

الجزء السادس

الاعتراف بمظالم الماضي

إننا مسيحيون نتوجه إلى المسيحيين وعليه يتعين علينا قبل كل شيء أن نفكر في عقبات الحوار التي تتعلق نوعاً ما بنا ونفكر كذلك في المظالم التي ارتكبها غرب الثقافة المسيحية بحق المسلمين .

يجب أن ندرك أولاً أن القرون الماضية شأنها في ذلك شأن السنوات

المعاصرة قد خلقت في الذهنيات ولا سيما في مناطق معينة حقداً عميقاً على الغرب لقد كان هناك على مر الزمان في دمشق وبغداد أو في طليطلة (الأندلس) حقبات سعيدة إنما قصيرة من التعاون الاسلامي الغربي ولكن هذا الماضي السعيد لا يتوصل مع ذلك إلى تجريد ذاكرة المسلمين من الانطباع بأن المسيحيين قد عطلوا انطلاقة حضارتهم أولا عن طريق الحملات الصليبية التي تسببت في انهاء المع حقبة في التاريخ الاسلامي ، وثانياً عن طريق الاستعمار الذي كما يشكو المسلمون قد أعاق نهضتهم التي اخذت مكانها في القرن التاسع عشر ، وحرمهم من قطف ثمارها المنتظرة ولا ينبغي علينا هنا أن ننصرف إلى التحاليل التاريخية الصغيرة بل علينا أن نفهم شريكنا في حساسيته .

لقد استيقظ هذا الحقد مرة واحدة في السنوات الأخيرة خلال معارك التحرر لم تبق هناك مجلة أو جريدة أو زعيم سياسياً كان أم دينياً إلا وربط بين ذلك الماضي البعيد وبين الأحداث الحالية وكان هذا الربط بالنسبة إليهم إحدى الحجج العاطفية لوضع الشرق في مجابهة الغرب حتى المناورات السياسية والاقتصادية التي يمارسها الغرب في عصرنا هذا بما في ذلك المناورات الموجهة من قبل ملحدين ذائعي الصيت جرى اعتبارها على اساس أنها شكل آخر من اشكال الصليبية .

هذا الشعور بالتأكيد حي عند العرب أكثر من أي فريق آخر فنحن نجده أقل حدة عند الشعوب غير العربية وهؤلاء ليس للصليبية اية صلة بتاريخهم ولكن الاستعمار الغربي جعلهم يعيشون تجربة التفوق الغربي المذل لحضارتهم . والآن تطرح أخطر مسألة : مسألة دولة اسرائيل : اننا نعرف جميعاً كم تثقل هذه المسألة على العالم العربي في الشرق الأدنى بصورة خاصة وعلى الأمة العربية بصورة عامة . ونعرف بالتالي ما هي مسؤوليات الغرب في هذا الموضوع ولسنا هنا في صدد تشريع سياسة بل

في صدد البحث عن ارشاد انساني ومسيحي الا حكامنا .

فإذا حدث واثير هذا الموضوع في اتصالاتنا مع المسلمين يكون من الأفضل ألا نصدر أي حكم إلا على أساس المحبة والعدالة والكرامة ونحن بدون شك لا نملك وسائل حل هذه المشكلة المستعصية (أو مشكلة فلسطين) لكن ذلك لا يمنعنا من أن نقف إلى جانب الأكثر تألماً وأن نعرب عن المشاركة الوجدانية التي يجب ألا تقوم على الكلمات وحدها .

وهنا وقبل كل شيء دعونا نعترف شرعياً بالتجاوزات التي ارتكبها الغرب أو نبرهن على أننا قد فككنا ارتباطنا بذهنيات الماضي وببعض حالات السلوك الحالي ، وهنا يبدو من المهم أن نبقى موضوعيين ، وأن نضع الوقائع في اطارها الصحيح . وهاجس الموضوعية هذا يبقى واحداً من أفضل الوسائل لرفع حالات سوء التفاهم أو التناقضات ومن المفيد أن يكون المرء صريحاً وخصوصاً إذا كانت صراحته مقترنة بالفطنة . ولكن يجب أن نمضي في ذلك قدماً . فالمسلمون على اقتناع من الداخل بأن المسيحيين إذا اعتبروهم أو أحبوهم كأشخاص فليس معنى ذلك أنهم يقدرونهم ويحبونهم كأمة ، ومن هنا يجب أن نسعى جهدنا لاعادة النظر في مواقعنا هذا إذا كنا فعلاً راغبين في أن نقطع علاقاتنا بماض يسبب في انشاء حفرة لا تزال تمعن في العمق بين الشرق المسلم والغرب وكمسيحيين يترتب علينا بصورة خاصة ، أن نهتم بالشخصية الاجتماعية لشعوب المسلمين وبمشاكلهم الدينية والاجتماعية مع ايجاد الحلول لها على طريقتنا واكثر من ذلك لا يكفي أن نحب المسلمين بل يجب أن نتوصل إلى احترام الاسلام نفسه ، بما يمثله من قيمة روحية عظيمة ومن كثب في تطوير المفهوم الديني للعالم بالقياس بالوثنية والاشراك بالله . بذلك نتجاوز الموقف السياسي للصليبيين والعقبات الاستعمارية توسلاً لموقع أكثر عافية وأكثر حملاً للحقيقة . ولعلنا بهذا الموقف العادل

للمسيحي أن نقود المسلم إلى اكتشاف ما هي الكنيسة ؟ (يمر الكتاب بعد ذلك على قضية التوحيد عند المسلمين كما عند المسيحيين واليهود ويستشهد بسورة ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وعن التقارب بينهم عدة مواقف ووصايا بين القرآن والانجيل والتوراة)

خلاصة

لا نكون قد اعترفنا بالاسلام حقيقة إذا لم نعتبره عقيدة دينية قبل كل شيء . ولا يمكن أن نلتقي حقيقة بالمسلمين كيفما كانوا إذا لم نكتشف فيهم القيم الدينية التي تنظم حياتهم . إذا قبلنا بأن نمارس الحوار من خلال هذه الرؤية لا يكون المسلم الذي نلتقيه عندئذ في تصورنا ذلك الخصم والصراعات العابرة او الحاضرة وذلك المنافس في مشاريعنا وهذا الشاهد العجول على ثقافة بين باقي الثقافات بل يكون رجل العقيدة والايمان الذي يمتثل لمشيئة الله حتى الرمق الأخير ، عندئذ نكون قد اكتشفنا في هذا المؤمن أخا . وهذا مما يغير كلياً نظرتنا إلى العالم الاسلامي ويفتح لنا أخيراً الأبواب لحوار حقيقي)

٣ ـ الرواد الغربيين الذين اعترفوا للنبي وللاسلام بالاهمية والتفوق : الغربيون

ظهر أخيراً كتاب[١] في الولايات المتحدة الاميركية اسمه « المائة » ويقع في ٥٧٢ صفحة من الحجم الكبير وموضوعه أهم مائة رجل في التاريخ الانساني كله ، والكاتب يحدد من يعتقد أنهم أهم مائة في التاريخ الانساني كله شاملاً كل المجالات من سياسة وحرب وعلم

(١) Michel Hart The 100 Hart publishing Co. New York 1978.

وأدب وفن وفكر وعلم وأخذ على عاتقه أيضاً أن يرتب المائة بترتيب اهميتهم الأول ؟ فلان والثاني فلان والثالث وهكذا والمؤلف رجل علم من المختصين في علوم الفضاء ومن العاملين البارزين في علوم الأقمار الاصطناعية[1] والصواريخ في امريكا ولكننا نلاحظ من دراسته أنه من ذوي الاهتمامات المتعددة فلدية شهادة في الرياضيات من جامعة كورنيل (١٩٥٢) وشهادة في القانون من جامعة نيويورك (١٩٥٨) وشهادة في الفيزياء من جامعة اديلغي (١٩٦٩) ودكتوراه في الفلك من جحامعة برنتون (١٩٧٢) أما حياته العملية فقد عمل في مركز أبحاث الفضاء العسكرية في ميريلاند والمركز القومي لدراسات طبقات الجو كولورادو وفي أكبر مرصد للأفلاك في كاليفورنيا ، وهو الآن مسؤول علمي عن التطبيقات العلمية لعلوم الفضاء في ميريلاند . ويقول المؤلف إنه تأثر لكلمة شهيرة للفيلسوف الانجليزي فرنسيس بيكون التي يقول فيها « القراءة تصنع الانسان الكامل » فانطلق يقرأ في كل مجال اتيح له . وقد حدد المؤلف معياراً يختار على أساسه المائة الأوائل فهو لم يرشح على حياة البشرية كما وكيفاً وطولاً وعرضاً وعمقاً ، بصرف النظر عن نوع التأثير وهو معيار مدى تأثيرهم في حياة انسانية أو في حياة قطاع كبير من الانسانية سلباً أو ايجاباً فالمؤلف بذل جهداً جباراً خارقاً في قراءة تاريخ العالم وحضارته بكل وجوهها ، والمؤلف مهما كانت النتيجة التي وصل إليها فقد كان على درجة عالية من التجرد وعدم التحيز أو أنه حاول أقصى ما يمكن أن يحاوله انسان .

والدليل على ذلك أنه اختار الأول في الأهمية في التاريخ الانساني كله نبي الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، وأنه وضع نبي اليهودية

---

(١) أحمد بهاء الدين المائة الأوائل مجلة العربي الكويتية العدد ٢٤١ ديسمبر كانون أول ١٩٧٨ .

موسى في الرقم السادس عشر بعد بوذا واينشتين وماركس ولينين وأرسطو وباستور وجاليليو وغيرهم ، وبرر اختيار الأول بقوله : (ان اختياري محمداً ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي ، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة ولكنهم ماتوا قبل اتساعها ، كالمسيح في المسيحية أو شاركهم فيها غيرهم ، أو سبقهم إليهم سواهم كموسى في اليهودية . ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية كاملة وتحددت كل أحكامها وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته ولأنه أقام إلى جانب الدين دولة جديدة فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً وحد القبائل في شعب والشعوب في أمة ووضع لها كل أسس حياتها ورسم أمور دنياها ، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم ايضاً في حياته فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمها .

إن معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم في بيئة متقدمة ، تبرر ظهور العظماء فيها ، ولكن محمداً هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداءالمجردة تماماً من كل مقومات الحضارة والتقدم . ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة بما لا يقال ، وفي تاريخ الغزو في كل زمان ومكان يكون الغزو عسكرياً ولكن في حالة الرسالة المحمدية ، فإن معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت تماماً وتغيرت لغة ودياناً وقومية من العراق وسوريا إلى آخر الشاطىء الأفريقي غرباً إلى السودان جنوباً وبقيت أمة واحدة تتكلم لساناً واحداً إلى الآن فهناك اليوم وبعد ١٤٠٠ سنة خمسمائة مليون مسلم ، ولكن هناك بينهم حوالي مائة وخمسين مليون عربي وهي معيار في قياس اثر الرسالة أي استمرارها الزمني وثباتها ليس له مثيل في تاريخ الفتح

في العالم ، كذلك لا يوجد نص في تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد وبقي بحروفه كاملاً دون تحوير كل هذا الزمن سوى القرآن الذي نقله محمد الأمر الذي لا ينطبق على التوراة مثلاً أو الانجيل . هكذا نجد أن فتوحات العرب التي بدأت في القرن السابع الميلادي قد بقيت تلعب دوراً هاماً في التاريخ الانساني حتى يومنا هذا ، ومن أجل هذا النفوذ الديني والدنيوي فإنني وجدت أن محمداً هو صاحب الحق الوحيد في أن اعتبره صاحب أعظم تأثير على الاطلاق في التاريخ الانساني .

وبعد موت محمد صلوات الله عليه يقفز المؤلف قفزة هائلة ليضع في الرقم الثاني له مباشرة اسحق نيوتن (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧) الذي يرى أنه أعظم عالم على الاطلاق . يقول إنه ولد يتيماً مثل محمد ولكنه في سن الثامنة عشرة دخل جامعة كامبريدج وبسرعة هائلة استوعب كل ما هو معروف من العلوم والرياضيات ، وبدأ ابحاثه المستقلة وبين سن الحادية والعشرين والسابعة والعشرين ، كان قد وضع أسس كل النظريات العلمية التي خلقت الثورة العلمية والصناعية التي عرفها العالم ، وكان طبيعياً أن يشرح المؤلف المسيحي للقارىء الأمريكي المسيحي لماذا وضع المسيح في المرتبة الثالثة ، إنه يقول إن تأثير المسيح والمسيحية معروفان وإن المسيحية كدين تضم الآن أكبر عدد من الاتباع في العالم ولذلك فالسؤال هو لماذا لم يضعه في المرتبة الأولى . يقول إن أول سبب هو أن المسيحية بعكس الاسلام لم تقم بجهد رجل واحد مثل محمد ، بل قام بالجهد اثنان عيسى وبولس الرسول فالمسيح في رأيه هو الذي وضع القيم الأخلاقية الأساسية للمسيحية ، وأفكارها الأساسية عن السلوك الانساني ، ولكن الفقه المسيحي صاغه وفصله بولس الرسول كما أن بولس الرسول ، أضاف إلى ذلك فكرة قدسية المسيح التي لم يقل بها أحد قبله كذلك فإن بولس الرسول هو الذي كتب جزءا كبيراً من العهد الجديد وهو الذي كان

أقوى معبر ومبشر بالمسيحية في القرن الميلادي الأول ، لقد مات المسيح في سن صغيرة نسبياً ستة وثلاثون عاماً ولم يترك بعده سوى عصبة قليلة من الاتباع والتلاميذ مات المسيح وأتباعه ليسوا أكثر من فرقة صغيرة من فرق اليهودية ، ولكن بولس هو الذي ناضل في الدعوة وجمع الأنصار ، وتوجه بها إلى اليهود وغير اليهود أي إلى كل البشر . وبهذا تمت وأصبحت إحدى الديانات الكبرى في العالم ، وبولس هو الذي أسس الكنيسة بالمعنى الذي عرف بعد ذلك ولكنه يقول إنه لم يضع بولس قبل المسيح لأنه بدون المسيح ما ظهر بولس ، ويقول المؤلف كما أنه لا يمكن أن ينسب إلى المسيح مسؤولية كل اعمال المسيحيين خصوصاً حروبهم المذهبية الرهيبة واضطهادهم لليهود فإنه ليس صحيحاً بالمثل القول أن النهضة العلمية الحديثة أثر من آثار المسيحية لمجرد أن النهضة العلمية هذه ظهرت في أوروبا المسيحية ، بل على العكس فقد اقترن تحول اوروبا إلى المسيحية بهبوط ذريع في حرية العلم والتفكير العلمي ، ومن الملفت للنظر أن المؤلف اختار من أبطال الحضارة الاسلامية رجلاً وضعه بين المائة الأوائل وأعطاه الرقم الحادي والخمسين هو عمر بن الخطاب ولا ننتظر طبعاً أن ينظر المؤلف المسيحي الأميركي مهما بذل من جهد إلى التاريخ نظرتنا إليه ، ولكن اختياره عمر بن الخطاب بالذات من التاريخ الاسلامي يدل على جهد عظيم . فلا أظن أن مؤرخاً إسلامياً يمكن أن يختار في العظمة وعمق التأثير بعد محمد عليه السلام إلا عمر بن الخطاب ، وقد ورد اسم محمد الفاتح الامبراطور المسلم العثماني فاتح القسطنطينية بين المائة معطياً له الرقم التاسع والستين لما كان لفتح القسطنطينية من أثر على مسيرة التاريخ الانساني بعد ذلك . . .)

إذن منطلقنا الآن مع الغرب التعاون الكامل في اقتباس الفن الصناعي الانتاجي والزراعي والحاسبات الالكترونية واستخدام الذرة في

تحسين البيئة والحياة وأساليب الاتصال الحديثة ، وفي اطلاع الغربيين على حضارتنا على تراثنا وتاريخنا ومبادئنا وعقائدنا ، وعلى القرآن الكريم ، وعلى سيرة الرسول العظيم وجهاده وآرائه في جميع الشؤون فمن آمن منهم بدعوتنا أصبح أخاً لنا في الانسانية وفي الدين ، ومن لم يؤمن فله دينه ولنا ديننا ولا نقايض على ديننا بأي شيء ولا نتهاون في الحفاظ عليه ولا نعادي أحداً ولا نتكبر على أحد ولا نستعدي أحداً علينا ولو خالفنا ولم ير رأينا ولم يؤمن بعقيدتنا طالما أنه لا يريد بنا شراً ولا استغلالاً ولا استعماراً بأي شكل من الأشكال .

أما بالنسبة للشيوعية فلسنا هنا بصدد البحث والتحليل للنظرية الماركسية وللتنظيمات الشيوعية وتفاصيل الأفكار وردود الاسلام عليها ، لأن ذلك يتطلب بحثا مفصلا خاصا وأحسن ما قرأت في ذلك العدد ٤١١ من سلسلة اقرأ الصادرة عن دار المعارف بمصر بعنوان تقدميون إلى الخلف للمؤلف الدكتور ابراهيم دسوقي اباظة ، ولكنني أركز هنا على موضوع العلاقة بين الاسلام والشيوعية كمبدأ والعلاقة مع الدول الشيوعية كتطبيق ، ولأن الشيوعية أكدت باستمرار أنها جاءت أصلاً لمحاربة جميع الأديان ثم فرعاً لبناء دولة شيوعية تسودها المساواة الكاملة وبحبوحة العيش للجميع وسيطرة العمال على جميع المقدرات لأنهم الأحق بذلك ، فهم الكثرة الكثيرة ولأنهم بناة الانتاج على سواعدهم نهضت الأمة ، فكيف يستطيع مسلم أن يعتنق الشيوعية وهي أصلاً تحارب دينه ، إلا إذا أراد أن يتخلى عن دينه وليؤمن بالشيوعية من أجل أن يتحقق له حلم بناء الدولة الشيوعية ، أي ليحصل على رغيف خبز ومأوى عندما يحين دوره أو قرعته وبعض الخدمات الاجتماعية ، ويفقد بذلك حريته وكيانه ويسلم قياده ومصيره ومصير أبنائه إلى سلطة قهرية متحكمة لها امتيازاتها الفوقية دون بقية الناس .

لكننا مصرون على التمسك بديننا وعلى تطبيق أحكامه كلها التي نعتقد أنها في مجال التكافل الاجتماعي فوق الشيوعية وتتجاوزها في احترامها للانسان ضعيفاً بأخذ الحق له ورحمته والاحسان إليه وتكريمه وقوياً في إلزامه بأداء واجباته كاملة تجاه اخوته وأبناء وطنه وأقاربه . بذلك يتحقق توازن كريم في المجتمع ليس فيه قهر ولا عداء لله ولدينه ولا ظلم من فئة لفئة أو غيرها، بالاضافة إلى أن الاسلام تضمن أموراً كثيرة في تنظيم جميع شؤ ون الحياة غير ميدان التكافل الاجتماعي ، بذلك يثبت التشريع الاسلامي أنه تشريع إلهي محكم ، يفوق أي تشريع بشري وصالح للانسان ، لأنه مرسل من رب الانسان وخالقه ومن أدرى بالشيء إلا موجده وصانعه .

ثم إنني لم أجد أي علاقة بين الكفر بالله وبالأديان جميعاً وبين نوعية ملكية وسائل الانتاج هل هي للأفراد أو للدولة أو للمجتمع أو للحزب ، أو لأي جهة أخرى ، فليمتلك من يمتلك ولتسحب الملكية ممن تسحب وليبقى الله العظيم خالقاً للأشياء ومالكيها ، آمنوا بدين الاسلام أو دين المسيح أو دين موسى أو أي نبي آخر ، ولم أجد أي سبب يدفع بأدعياء الفلسفة المادية لعداء فكرة وجود الله طالما أن جهدهم محصور بالملكية والمواد والانتاج ومصلحة العمال في الأرض فقط . لكن ماركس اليهودي موجد الفلسفة المادية هرب من مناقشة الأديان وقال بأنه ليس مضطراً ولا حاجة به للتفسير المتافيزيقي أو ما وراء الطبيعة أي وراء الانسان وكوكبه ووراء الكون كله وهو محق بذلك فذهنه محصور بالثورة الصناعية الأوروبية وما نتج عنها من ظلم للانسان وقهر فبحث عن طريقة يعطي الثورة الصناعية مداها دون ظلم للعمال واستغلال لهم ، إلا أنه جنح بدون مبرر وأعطى تفسيراً متافيزيقياً للكون والتاريخ وهذا من التناقضات الكثيرة التي حفلت بها الفلسفة المادية لماركس كيف يهرب من مناقشة الأديان والتوحيد ووجود

الله بحجة أنه لا علاقة له بالتفسير لما وراء الطبيعة ثم يوجد أفكاراً كثيرة محددة لما وراء الطبيعة يجعل من الطبيعة تتحكم وتتصرف.

هل في عيون الملحدين عماء أم في عقول الملحدين غباء
أيصح عقلاً أن عقلاً مبدعاً قد أوجدته طبيعة بلهاء
وإذا الطبيعة أدركت وتصرفت قلنا الطبيعة والاله سواء

ولكننا نحترم ارادة الشيوعيين في بلادهم ونطلب صداقة جميع الدول والشعوب ونحترم نصرة الدول الشيوعية لقضايانا العادلة ورغبتهم بمساعدتنا لا بالأسلحة ولكن بفنون ومعامل صنع المعادن أو الفنون الانتاجية الصناعية ووسائل استثمار واستخراج الثروات الطبيعية وصنع واستخدام الحاسبات الالكترونية ولا ينقصنا المال لذلك ، ولا ينقصنا مبادلة هذه العلوم إما بالمواد الأولية المتوفرة ببلادنا أو بالمال على ألا يؤدي ذلك إلى الضغط على عقائدنا بهدف تغييرها .

وكذلك فإن العربي الصادق في عروبته يرى في الاسلام تراثه وتاريخه وأمجاده وثقافته وتكوينه النفسي والفكري والمضمون الاسلامي للعروبة ، لا يكلف العربي غير المسلم شيئاً في دينه ولا عباداته ولا حريته الشخصية ولا سلوكه الاجتماعي ولا يفرض عليه أية التزامات تأباها عقيدته . وقد عاشت جميع الكنائس العربية في ظل الاسلام وحده ، بينما استؤصلت كل الكنائس المعارضة في خارج الدولة الاسلامية وفي ظل الحكم المسيحي ، ولولا الحكم الاسلامي لما عاشت الكنيسة القبطية والرومانية والمارونية والروم والكاثوليك والايفانجيليكية والبرستيبرية . فقد كفلت حرية العقيدة وحرية العمل والتآخي الوطني في ظل تاريخ حافل بالفتن والقسوة والتآمر والظلم والحقد والتفاوت في الحقوق فكيف يخشى المسيحي الذي نجا من ذلك كله ، كما يدعي أعداء العروبة والاسلام . كيف يخشى في القرن العشرين قرن الديمقراطية والتحرر. وقد قال مكرم

عبيد أنا مسلم وطناً ونصراني ديناً . وقال امين نخلة المسيحي الماروني أما أن يكون فينا عربي من لحمنا ودمنا ثم يغدو ولا يمت إلى محمد بعصبية ولا إلى محمد وقومية محمد فهو ضيف ثقيل علينا غريب الوجه بيننا ، بهذه البساطة كانت قضية الصلة بين العروبة والاسلام عند ذوي النوايا البريئة ، ويمكن القول إن العربي هو من يفكر عربياً والفكر قد يكون شعورياً أو لاشعورياً كما هو معروف ، المهم أن هناك مكونات نفسية وعقائدية تترسب في ضمير الأمة ولعلها أكثر نقاء وتجسداً في جماهيرها الواسعة . وهذا ما نعنيه بتفكير الأمة ، إن مفاخر الأمة العربية السالفة هي انتصارات الاسلام ، مثل تحرير بلاد الشام والرافدين والشمال الافريقي من الاستعمار الروماني وتحرير بقية الشعوب غير العربية من ظلم حكامهم وبطشهم وتسخيرهم لهم ومنع النور والتحرر عنهم هي امجادنا الخالدة في الأندلس حيث تم بناء حضارة متقدمة في وسط أوروبا الجاهلة في عصورها الوسطى هي سحقنا للغزو الصليبي الاستعماري الأول هي فتح اوروبا والتحدث بالعربية في جنوب فرنسا وايطاليا وحكم سويسرا ثلاثة قرون ، وإذا أردنا أن ننتشي بانتصاراتنا كاملة إلى ما هو أبعد من نصف قرن ، فلا بد أن نعتبر وحدة التاريخ هي اسلاميته ، وعند المصريين نجد أن دخول المسلمين كان اشراقة تاريخية بها دخلت مصر في الاسلام والعروبة ، وعند المصريين الأقباط نفس الشيء بها تحررت كنيستهم وعاد بطركهم المختفي في الصحراء[1]

ملخص القول :

لقد انتهى عصر الولاء العاطفي للدين هذا الولاء الذي كان سائداً في بلاد المسلمين منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية ، وما شاب هذا الولاء

---

(١) محمد جلال كشك : « القومية والغزو الفكري » دار الارشاد ، بيروت ١٩٧٠ .

العاطفي من تعطيل للعقل ومن سلوكيات عملية تناقض تعاليم الدين وأهدافه وجوهره ، لقد ظن البعض لدوافع شتى بأن الدين هو الذي كان وراء هذه السلوكيات الخاطئة والتخلف الفكري والعملي والجهل ، فتاهوا في البحث عن البديل في الغرب والشرق في القومية وفي الجنس وفي اللون ثم في الفلسفة الاجتماعية والاقتصادية واخذوا بذلك فرصتهم كاملة وتبعهم الناس جرياً وراء الأفضل والأحسن وسعياً نحو التقدم والسيادة ، ولكن بعد مرور أكثر من ثلاثين سنة ، لم نحصل على شيء ، بقينا متخلفين ممزقين ضعفاء فاشلين في كل شيء وسبقتنا جميع الأمم الصغيرة منها والكبيرة ، التي استقلت قبلنا والتي استقلت بعدنا من الصين إلى كوريا من اليابان إلى هونغ كونغ من الفلبين إلى فورموزا (تايوان) من جنوب افريقيا إلى روديسيا من كوبا إلى الأرجنتين والبرازيل ، كل هذه الدول أصبحت منتجة ، أصبحت صناعية ، أصبحت مستقلة اقتصادياً ومصدرة ، وتنافس كبرى الدول في العالم ، إلا نحن المسلمين بشكل عام والعرب بشكل خاص ، أفلست معنا كل الطرق البديلة في تحقيق التقدم والاستقلال والحرية والكرامة للمواطن وللبلد ، عندها عاد الناس والمستشرقون والعلماء والجامعات لأعادة النظر في تعاليم الدين وفي جوهره وخاصة القرآن الكريم وللتأكد من إجابة السؤال الملح: هل تعاليم هذا الدين الاسلامي التي حققت للعرب عزاً ومجداً وحضارةً ودولة عظيمة هي سبب تخلفنا ، أم أنها ما زالت بنفس القدر من الجمال والكمال بحيث إذا طبقت ونفذت تنفيذاً عقلياً سليماً أدت إلى نفس النتائج التي وصل إليها العرب الأوائل ؟

عند ذلك وبعد الدراسة توضحت الحقيقة للجميع لأبناء الاسلام والعروبة ولغيرهم بأن سبب تخلفنا هو جهلنا العام ، هو تعطيل عقولنا ، هو اتباعنا الأعمى لكل ما هو ضار بنا ، وبأن ديننا ما زال صافياً نقياً كاملاً

يحتاج لفهم صحيح وتطبيق سليم حتى يقودنا إلى عزنا وتقدمنا ورقينا ، وإن الأمم الأخرى التي أعملت عقولها بشكل حر وصحيح وصادق ، فاقتبست حضارتنا عندما ترجموا امهات كتبنا كإحياء علوم الدين للامام الغزالي ، والمؤلفات العلمية لابن سينا والفارابي والخوارزمي وغيرهم إلى مختلف لغاتهم وطبقوا منها الشيء الكثير حتى لتجد الآن أن السلوك اليومي للانسان الأوروبي الحالي يتطابق في كثير من المظاهر مع الفكر الاسلامي فلا كذب ولا غيبة ولا نميمة ولا إخلاف موعد ولا تدخل في حياة الآخرين ولا إيذاء للجوار مع الاهتمام بالعمل المنتج وعدم اضاعة الوقت وعدم التكبر عن أي لباس أو مكان وعدم التظاهر الكاذب بغير الواقع وعدم الدس والخديعة مع التواضع واحترام الآخرين .

كل ذلك دفع بالأجيال الجديدة وبالمتنورين والعقلاء إلى إعادة النظر في موقفهم من الدين الاسلامي وبإعادة طرح الحل الاسلامي لمشاكلنا طالما أن هذا الحل مقبول من جميع الناس ، وطالما أن هذا الحل قد تم فهمه فهماً صحيحاً عقلياً ، لا تخلف فيه ولا جمود ولا تعصب فيه ولا عدوان بل رحمة ومحبة واخاء وطالما أن هذا الحل يحقق انسجام الذات العربية ويربطها ربطاً صحيحاً بحضارتها وبآبائها وأجدادها بحيث يتحقق أن الخلف صنو السلف بأن الجيل الجديد ابن شرعي ومشرف وجدير بحمل اسم العروبة صانعة الحضارة للجيل الأول عندما اقترنت هذه العروبة بالاسلام الحي الحقيقي .

وإن اختلاف الخلق في اللون والعرق الجنس واللغة لهو ثراء خلقي مبدع حققه الله عز وجل في مخلوقه الانسان ، إذ يرى العالم بأن هذا الانسان الذي يتطابق مع أخيه الانسان في أي مكان من أنحاء الكرة الأرضية يتطابق معه في أجزاء الجسم الخارجية والداخلية تمام التطابق

فكل جسم انساني مكون من الأعضاء الخمسة ومن الداخل من نفس التركيب ايضاً عظام وأعصاب وعضلات وعروق وأجهزة وتعمل كل هذه الأجهزة وفق نفس القوانين الكيميائية والكهربائية والميكانيكية ، ومع هذا التطابق في الأجزاء والتركيب والعمل إلا أنك لن تجد انساناً يشبه الآخر في مظهره الخارجي . وهناك مجموعات متمايزة الأشكال والأنواع والألوان ، فهناك العروق بألوانها الأبيض والأسود والأسمر والأحمر والأصفر ، وهناك الفئات القصيرة والمتوسطة والطويلة ، وهناك أنواع من الأشكال الخارجية كثيرة ثم كل مجموعة من الناس تستطيع تبادل افكارها ومعلوماتها بلغات شتى تكتب بأشكال متمايزة وتقرأ بطرق مختلفة يتقنها ابناؤها ويجهلها غيرهم ، هذا الثراء الخلقي المعجز لله عز وجل لخصه الله تعالى في القرآن الكريم بقوله :

﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ ٣٠ ـ ٢٢

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ ٤٩ ـ ١٣

والهدف من هذا الثراء الخلقي هو ما حدده القرآن أيضاً في الآية الثانية أي أن الهدف من هذا الاختلاف هو التعارف والتعارف يقتضي المحبة والود والاتصال والتعاون ولا يعني أبداً تكبر قوم على قوم ونوع على نوع وجنس على جنس ، إذ أن التفاضل بين الناس بالتقوى والعمل الصالح ، وهي جهد الانسان الشخصي لا بالنوع ولا باللون ولا باللغة وهي خصائص موروثة لا دخل لجهد الانسان الشخصي في تحصيلها .

إن التحركات التي ألمحنا إليها في الخاتمة من اعتناق كثير من أبناء الأمم الأخرى للاسلام على الرغم من بعد المسلمين عن اسلامهم وعلى

الرغم من تخلفهم وتأخرهم ، لأنهم درسوا الاسلام من مصدره ومن مثاليته كما هي في القرآن الكريم وفي التاريخ الاسلامي المجيد لا من واقع أغلب المسلمين اليوم .

ومن اعتراف المؤسسات الدينية المسيحية عن علم وتبصر بالاسلام كدين سماوي وبمحمد عليه الصلاة والسلام كرسول ونبي عظيم واهتمام المؤسسات العالمية الجامعية منها والرسمية بحضارة الاسلام وتاريخه والعلوم التي فجرها . كل ذلك يجب أن يدفعنا دفعاً قوياً نحن المسلمين والعرب إلى إعادة النظر في موقفنا من الدين الاسلامي عن طريق إعادة دراسته وفهمه فهماً صحيحاً والعمل بمقتضى هذا الفهم بصدق واخلاص وتفان وتحويل كلامنا وعملنا في حياتنا اليومية بحسب النهج الاسلامي القويم ، لأن في ذلك حياتنا وبقاءنا وتقدمنا وإن لم نفعل ذلك فنهايتنا الأنقراض والفناء وأن نتحول إلى لاجئين متسولين لا كرامة لنا ولا وطن ولا كيان ولا احترام بين الأمم والشعوب كما حدث . ولنا مشاهد لمسلمي الأندلس ولعرب فلسطين وجنوب سوريا ولبنان وسيناء ومدن قناة السويس وفي التشاد . وهكذا كل شعب يتيه عن هويته وذاتيته فيفنى كما يحدث الآن للشعب الكمبودي .

وإن عودتنا لتطبيق النهج الاسلامي على حياتنا اليومية بمختلف مظاهرها لن يضر أحداً ولن يؤذي أحداً لأن الاسلام لا تعصب فيه إذ التعصب هو الانتصار لمذهب ما مع احتقار الآخرين غير المقتنعين به ، وهذا يختلف عن التمسك الذي هو التقيد التام بالعقيدة مع احترام عقائد الآخرين وحياتهم الخاصة ، وإن العربي غير المسلم الذي يحترم أيضاً عقيدة الناس ويحافظ على دولته ويناصرها ويحميها لهو مواطن شريف وأخ في العروبة والوطنية والانسانية له ما لنا وعليه ما علينا ، وسيجد في تاريخ

أمته العربية الاسلامية فخراً له ومجداً وفي الحضارة العربية الاسلامية عزاً له ومجالاً كبيراً للمشاركة في اثراء هذه الحضارة وزيادة رقيها كما فعل كثير من اخوتنا آباء الكنيسة الذين كان لهم باع طويل في دراسات اللغة العربية وآدابها وفي مختلف الفروع العلمية كالطب والصيدلة والعلوم المالية ، وكما بين لنا القرآن ذلك في آياته الكريمة إذ يقول في محكم قرآنه العزيز :

﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين﴾ ٥ ـ ٨٢ ، ٨٥

﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ٢ ـ ٦٢

﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ٥ ـ ٦٩

صدق الله العظيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المـــراجع

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ تفسير القرآن الكريم
أحمد مصطفى المراغي (**تفسير المراغي**) نشر مصطفى البابي الحلبي / القاهرة ١٩٦٩
٣ ـ ابن تيمية (**الحسبة ومسؤولية الحكومات الإسلامية**) دار الاسلام / القاهرة ١٩٧٣
٤ ـ أبو الأعلى المودودي (**تفسير سورة النور**) دار الفكر / بيروت ١٩٥٩
٥ ـ ابراهيم طحاوي (**الاقتصاد الاسلامي** ١ ، ٢) مجمع البحوث الاسلامية / القاهرة ١٩٧٤
٦ ـ ابراهيم دسوقي أباظة (**تقدميون إلى الخلف**) دار المعارف بمصر سلسلة اقرأ / ١٩٦٦
٧ ـ أحمد أمين (**فجر الاسلام**)
٨ ـ أحمد أمين (**ضحى الاسلام** ١ ، ٢ ، ٣)
٩ ـ أحمد أمين (**ظهر الإسلام** ١، ٢، ٣، ٤) مكتبة النهضة المصرية / ١٩٦٦

١٠ ـ السيد فرج (**القيادة والحرب عند العرب**) دار المعارف بمصر سلسلة اقرأ / ١٩٧٥

١١ ـ أمين دويدار (**صور من حياة الرسول**) دار المعارف بمصر / ١٩٦٨

١٢ ـ البشري الشوربجي (**التسعير في الاسلام**) شركة الاسكندرية للطباعة / ١٩٧٣

١٣ ـ ابن خلدون (**المقدمة**) دار احياء التراث العربي

١٤ ـ اسماعيل صبري عبد الله (**نحو نظام اقتصادي عالمي جديد**) الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٧٦

١٥ ـ بدوي عبد اللطيف (**النظام المالي الاسلامي المقارن**) المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية / القاهرة ١٩٧٢

١٦ ـ بدوي عبد اللطيف (**الميزانية الأولى في الاسلام**) المكتب الفني للنشر / القاهرة ١٩٦٠

١٧ ـ توماس أرنولد (**الدعوة إلى الاسلام**) مكتبة النهضة المصرية / ١٩٧١

١٨ ـ جلال مظهر (**مآثر العرب على الحضارة الأوروبية**) مكتبة الأنجلو مصرية / ١٩٦٠

١٩ ـ جلال كشك (**القومية والغزو الفكري**) دار الارشاد / بيروت ١٩٧٠

٢٠ ـ جلال كشك (**النكسة والغزو الفكري**) مكتبة الأمل / الكويت ١٩٦٩

٢١ ـ جلال كشك (**ودخلت الخيل الأزهر**) الدار العلمية / بيروت ١٩٧٢

٢٢ ـ جلال كشك (**الماركسية والغزو الفكري**) مكتبة الأمل / الكويت ١٩٦٩

(دراسات في الاسلام) المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية القاهرة
٢٣ ـ محمد فهمي عبد اللطيف (الأفغاني فيلسوف الأمة العربية) العدد ١٨٤
٢٤ ـ محمود السعيد الطنطاوي (أضواء على تاريخ الطب) العدد ١٨٣
٢٥ ـ خليل محمد خليل (التمثيل في القرآن) العدد ١٨٢
٢٦ ـ أحمد محمد الحوفي (التوبة والمغفرة) العدد ١٨٩
٢٧ ـ محمد رجاء الحنفي (نماذج من البطولات الاسلامية) العدد ١٧٤
٢٨ ـ سعد عبد السلام جيب (الشورى في الاسلام) العدد ١٨٩
٢٩ ـ محمد عبد الواحد الحجازي (مقومات البناء الحضاري في الاسلام) العدد ١٨١
٣٠ ـ شوقي اسماعيل شحاته (مفاهيم ومبادىء الاقتصاد الاسلامي) العدد ١٨٢
٣١ ـ ابراهيم عز العرب (على طريق الله) العدد ١٨٨
٣٢ ـ محمود محمد نور (تحليل النظام المالي في الاسلام) العدد ١٧٧
٣٣ ـ الشيخ منصور الرفاعي (المرأة ودورها في الهجرة) العدد ١٧٨
٣٤ ـ رينيه ديكارت (مقالة الطريقة لحسن قيادة العقل والبحث عن الحقيقة) اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية / بيروت ١٩٥٣
٣٥ ـ شاتلييه (الغارة على العالم الاسلامي) المطبعة السلفية / القاهرة ١٩٦٦
٣٦ ـ شوقي أبو خليل (الاسلام وحركات التحرر العربية) دار الرشد / دمشق ١٩٧٦
٣٧ ـ عبد الحليم محمود (الحمد لله هذه حياتي) دار المعارف بمصر / ١٩٧٦

٣٨ ـ عبد السميع المصري (**مقومات الاقتصاد الاسلامي**) مكتبة وهبي / القاهرة ١٩٧٥

٣٩ ـ عثمان الشرقاوي (**الاسلام والحياة الزوجية**) دار الكاتب العربي / ١٩٦٧

٤٠ ـ عماد الدين خليل (**المأسورون**) دار الارشاد / بيروت ١٩٧٠

٤١ ـ عماد الدين خليل (**عماد الدين زنكي**) الدار العلمية / بيروت ١٩٧١

٤٢ ـ عماد الدين خليل (**ملامح الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز**) الدار العلمية / ١٩٧١

٤٣ ـ ملكولم الكس (**مذكرات**) دار الآداب / بيروت ١٩٦٨ .

٤٤ ـ محمد متولي الشعراوي (**منهج التربية في الاسلام**) دار الاعتصام / القاهرة ١٩٧٦

٤٥ ـ الشيخ محمد عيد الشافعي (**المنهج الصوفي في الفقه الاسلامي**) المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية / القاهرة ١٩٧٥

٤٦ ـ الشيخ محمد المدني (**المجتمع الاسلامي كما تنظمه سورة النساء**) المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية / القاهرة ١٩٧٣

٤٧ ـ محمد بن الخطيب (**حقائق ثابتة في الاسلام**) المطبعة المصرية ومكتبتها / ١٩٧٤

٤٨ ـ محمد بن الخطيب (**الحب الاسلامي**) المطبعة المصرية ومكتبتها / ١٩٧٥

٤٩ ـ محمود حمدي زقزوق (**المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت**) مكتبة الانجلو المصرية / ١٩٧٣

٥٠ ـ محمود صبيح (**ابو بكر الصديق**) دار الثقافة العامة / القاهرة ١٩٧٣

٥١ ـ محمد بشير الباني (**نظرات في القضاء**) دار العروبة للطباعة والنشر / دمشق

٥٢ ـ محمد اقبال (**تجديد الفكر الديني في الاسلام**) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / ١٩٦٨
٥٣ ـ محمد بلتاجي (**منهج عمر بن الخطاب في التشريع**) دار الفكر العربي / القاهرة ١٩٧٠
٥٤ ـ محمد فاروق النبهان (**الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الاسلامي**) دار الفكر / بيروت ١٩٧٠
٥٥ ـ محمد العمادي (**التنمية الاقتصادية والتخطيط**) دار الحياة / دمشق ١٩٦٨
٥٦ ـ مصطفى السباعي (**اشتراكية الاسلام**) الدار القومية / القاهرة ١٩٦٠
٥٧ ـ مصطفى عبد الواحد (**الأسرة في الاسلام**) مكتبة المتنبي / القاهرة ١٩٧٢
٥٨ ـ مقداد الجن (**منهاج الدعوة إلى الاسلام في العصر الحديث**) المطبعة المصرية ومكتبتها / ١٩٦٩
٥٩ ـ ليلى الصباغ (**المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني**) وزارة الثقافة / دمشق ١٩٧٣
٦٠ ـ نجيب الكيلاني (**عمالقة الشمال**) المختار الاسلامي / القاهرة ١٩٧٤
٦١ ـ نجيب الكيلاني (**رمضان حبيبي**) المختار الاسلامي / القاهرة ١٩٧٤
٦٢ ـ نجيب الكيلاني (**ليالي تركستان**) المختار الاسلامي / القاهرة ١٩٧٤
٦٣ ـ نجيب الكيلاني (**عذراء جاكرتا**) المختار الاسلامي / القاهرة ١٩٧٤
٦٤ ـ يوسف القرضاوي (**الحل الاسلامي فريضة وضرورة**) مكتبة وهبة / القاهرة ١٩٧٥

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

محتويات الكتاب

الفصل الأول : موجبات التقدم والسعادة ٩
١ ـ اهمية اكتشاف الطرق العلمية ٩
٢ ـ كيف نحقق النجاح ١٢
٣ ـ هل تتعارض الحرية مع العقيدة ١٦
الفصل الثاني : مظاهر تخلف العالم الاسلامي ٢٥
أولاً : المظاهر الاجتماعية للتخلف ٢٦
١ ـ التفرق والتجزئة ٢٦
٢ ـ التخلف العلمي الثقافي ٣٢
الشعبة الأولى التعليم ٣٤
الشعبة الثانية الثقافة ٥٢
الشعبة الثالثة الاعلام ٥٤
٣ ـ مشاركة المرأة في الانتاج ٥٨
٤ ـ تعطل طاقات الأمة عن الانتاج وصرفها لما سمي الفن ٩١
٥ ـ مجلس الشورى كتمثيل نيابي سليم للدول النامية ٩٦
٦ ـ فقدان الاخلاق الاسلامية ذات المردود الاقتصادي ... ١٠٥

ثانياً : المظاهر الاقتصادية للتخلف ١٠٨
١ ـ انخفاض مستوى الدخل الفردي الحقيقي ١٠٨
٢ ـ عدم التناسب في توزيع الدخول ١٠٩
٣ ـ البطالة الهيكلية وقلة العمالة الماهرة ١١٠
٤ ـ عدم كفاية التجهيزات الرأسمالية ١١٠
٥ ـ بدائية طرق الانتاج وسيطرة التقاليد عليها ١١٠
٦ ـ سوء استثمار الثروات الطبيعية ١١١
٧ ـ الاختلال الهيكلي للسوق ١١١
٨ ـ التبعية الخارجية مع الحاجة إلى القطع الاجنبي ١١٢
٩ ـ نقص في المسح الاقتصادي والاجتماعي ١١٢
١٠ ـ نظرة الشعب إلى نفسه ١١٣
١١ ـ عدم توفر الادارة الصالحة لتنظيم جهود الجماعة ... ١١٣

الفصل الثالث : الاطار الفكري للنظام الاقتصادي الاسلامي .. ١١٥

البحث الأول : الملكية ١١٧
البحث الثاني : الاستخلاف ١٢٣
البحث الثالث : كسب العيش ١٢٦
البحث الرابع : نعم الله الاقتصادية المتاحة لبني آدم ١٣٠
البحث الخامس : درجات الناس ١٣٩
البحث السادس : الله هو الرزاق ١٤١
البحث السابع : كيف نحصل على الرزق ١٤٧
البحث الثامن : اسباب زوال النعم ١٥٢
البحث التاسع : الحث على الانفاق ١٥٩
البحث العاشر : انواع الانفاق المطلوبة من كل مسلم ... ١٦٩

البحث الحادي عشر : لمن نعطي انفاق المسلمين ١٩٠
البحث الثاني عشر : الأخلاق الاسلامية ذات المردود الاقتصادي ١٩٨
١ ـ الأمانة ١٩٩
٢ ـ كتابة الدين ٢٠٠
٣ ـ تحريم الربا ٢٠٥
٤ ـ عدم اكل المال الحرام السحت ٢١٨
٥ ـ عدم التطفيف ضبط المكيال والميزان ٢٢١
٦ ـ عدم بخس الناس أشياءهم ٢٢١
٧ ـ تحريم القمار الميسر ٢٢٨
٨ ـ تحريم البخل ٢٣٣
٩ ـ التخطيط ٢٣٤
١٠ ـ عدم التلهي بالأمل والتمتع والاكل ٢٣٦
١١ ـ الخوف الدائم من عدم قبول الانفاق ٢٣٧
١٢ ـ الاشارات الاقتصادية في اسماء بعض السور وذكر المعادن والسدود ٢٣٨
الفصل الرابع : النظام الاقتصادي الجديد وفق الاطار الفكري ٢٤٥
أولا : التجارة الخارجية والجمارك ٢٤٧
ثانيا : التجارة الداخلية والتموين ٢٥٣
ثالثا : المصارف ٢٥٩
رابعاً : التأمين ٢٦٣
خامساً : السياسة النقدية ٢٦٤
سادساً : السياسة الضريبية ٢٦٨
سابعاً : الزكاة ٢٧٠

ثامناً : الاسكان ٢٧٣
تاسعاً : الرواتب والأجور ٢٧٦
عاشراً : التخطيط الاقتصادي والاجتماعي ٢٧٧
حادي عشر : الرقابة المالية الاقتصادية ٢٨٩
ثاني عشر : الانتاج المادي ٢٩٨
الخاتمة ٣١٧
المراجع ٣٦٣

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com